

الدكتور عاي عبد الواحد داني

الأسفار المقدسة  
في  
الأديان السابقة للإسلام

دار تحفة مصر للدراسات والنشر  
النجامة - القاهرة

Wāfi, alī 'Abd al-Wāhīd

# الأسفار المقدسة

في الأديان السابقة للإسلام

al-Asfār al-muqaddasah fi al-adyān  
al-sābiqah lil -Islām

تأليف

الدكتور علي عبد الواحد وافي

دكتور في الآداب من جامعة باريس

عضو "المجمع الدولي للعلم الاجتماع"

رئيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بجامعة القاهرة سابقاً

الطبعة الأولى

١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

Egypt

١٩٦٤

ملئزم الطبع والنشر

مكتبة نهضة مصر بالجيزة

١٨ شارع كامل صدقي

LOAN STACK

مطبعة لجنة البيان العربي

٢٧ شارع الوهاب، القاهرة

٢٧٠٧٩

BL 71

W31

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

ترجع أهم الديانات السابقة للإسلام التي وصلت إلينا أسفارها المقدسة كاملة أو غير كاملة إلى أربع ديانات ، وهي اليهودية والنصرانية والزرادشتية الفارسية والبرهمية الهندية .

ويطلق على الأسفار المقدسة للديانة اليهودية اسم « العهد القديم » Ancien Testament . ومن أهم أسفار هذا العهد مجموعة تسمى كتب موسى أو الأسفار الخمسة أو التوراة .

ويطلق على الأسفار المقدسة للديانة النصرانية اسم « العهد الجديد » Nouveau Testament . ومن أهم أسفار هذا العهد مجموعة تسمى الأناجيل .

ويراد بكلمة « العهد » في هاتين التسميتين ما يرادف معنى الميثاق ؛ أي إن كلتا الطائفتين من الأسفار تمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس ؛ فأولاهما تمثل ميثاقاً قديماً يرجع إلى عصر موسى ؛ والأخرى تمثل ميثاقاً جديداً بدأ بظهور عيسى .

وجرت العادة أن يجمع أسفار المهدين معاً في كتاب واحد يطلق عليه اسم « الكتاب المقدس » La Bible .

وقد تألف من بحوث أحبار اليهود وربانيهم وفقهاءهم في شئون عقائدهم حواشائهم وتاريخهم مجموعة أسفار أطلق عليها اسم « التلمود » (أي التعاليم) واعتبرت شارحة ومبينة ومفصلة لما ورد في أسفار « العهد القديم » ، وأنزلها معظم فرق اليهود منزلة لا تقل كثيراً عن منزلة « العهد القديم » نفسه .



ويطلق على الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية الفارسية اسم « الأستاق » وهو تعريب لكلمة « الأقسما » Avesta (ومعناها الأصل أو الأساس).  
وأما الأسفار المقدسة للديانة البرهمية الهندية فيطلق عليها اسم « القيذا » Veda (ومعناها المعرفة أو العلم).

ومن أسفار « القيذا » استمدت «قوانين مانو» Lois de Manou التي تنسب لمشرع هندي قديم اسمه « مانو » أو « مانافا » وهي تفصيل وشرح وبيان لما اشتملت عليه أسفار « القيذا » من عقائد وعبادات ومعاملات ونظم اجتماعية وتاريخ . ويفضل البرهميون هذه القوانين منزلة التقديس كذلك ، حتى لقد اعتقدوا أن مؤلفها أحد الآلهة المنبتقين عن الإلاه الخالق وهو براهما .

فديننا إذن ست مجموعات من أسفار هذه الديانات الأربع : منها مجموعتان للديانة اليهودية وهما أسفار « العهد القديم » وأسفار « التلمود » ؛ ومجموعتان كذلك للديانة البرهنية وهما أسفار « القيذا » و «قوانين مانو» ؛ ومجموعة للديانة المسيحية وهي أسفار « العهد الجديد » ؛ ومجموعة للديانة الزرادشتية وهي أسفار « الأستاق » .

وسنقف على أسفار كل ديانة من هذه الديانات الأربع فصلا مستقلا نعرض في بعض فقراته لبيان الأسفار نفسها وفي بعضها الآخر لتحقيقات تتعلق بتصنيفها وجمعها واللغات التي ألقت بها والتي ترجمت إليها وما تشتمل عليه من عقيدة وشريعة وقصص والشعوب التي اختصت بها وموقف الإسلام منها وما يتصل بهذه الأمور .

والله أسأل أن يكتب لنا التوفيق والسداد ويهيء لنا من أمرنا رشداً

دكتور علي عبد الواهر وافي

# الفصل الأول

## أسفار الديانة اليهودية

ستمهد لموضوع هذا الفصل بفقرتين : نلقى في أولها نظرة مجملة على تاريخ  
عني إسرائيل ، لأنهم هم الذين تنسب إليهم هذه الديانة وهم الذين اختصوا  
بأسفارها ؛ ونذكر في الفقرة الأخرى كلمة موجزة عن اللغات العبرية والآرامية  
واليونانية ، لأنها اللغات التي استخدمت في تأليف هذه الأسفار وشرحها  
وترجمتها (١).

ثم نقف الفقرات التالية على التعريف بأسفار العهد القديم وأسفار التلمود ،  
وهما المجموعتان اللتان تتألف منهما أسفار الديانة اليهودية ، مع تحقيقات تتعلق  
بتأليف هذه الأسفار ، وتاريخ تأليفها ، واللغات التي ألقت بها والتي ترجمت  
إليها ، وما تشتمل عليه من عقيدة وشريعة وقصص ، والأسفار الأخرى غير  
المعتمدة عند اليهود ، والأسفار التي تعمد أحبارهم إخفاءها ، والفرق اليهودية  
وما بينها من خلاف في العقائد والشرائع وصلة ذلك بالأسفار ، وموقف الإسلام  
من هذه الأمور .

(١) سنفيدنا الفقرة الأخيرة كذلك عند الكلام على أسفار العهد الجديد (أسفار الديانة  
المسيحية) في الفصل الثاني من هذا الكتاب ؛ لأن هذه اللغات نفسها هي التي استخدمت في  
أسفار هذا العهد .

### نظرة مجملّة في تاريخ بني إسرائيل

هاجر يعقوب ( الملقب بإسرائيل ) هو وأولاده من بلاد كنعان ( فلسطين ) وما إليها ) إلى مصر على أثر ما حاق بموطنهم القديم من مجاعة وما أصاب مراعيها من جفاف<sup>(١)</sup>. وكان الوزير الأول بمصر هو يوسف عليه السلام أحد أبناء يعقوب نفسه. فأكرم مشوى أبيه وأخوته ، وعظّف عليهم قلب فرعون ملك مصر ، وأقطعهم بأمره أرضاً في أخصب البقاع<sup>(٢)</sup>. وظلت سلالات بني إسرائيل بمصر حيناً من الدهر تنعم بكرم المصريين ورعايتهم وتقديرهم لجهودهم وكفأيتهم ، حتى لقد وصل كثير منهم إلى أعلى الدرجات والمناصب<sup>(٣)</sup>. ثم تغير موقف المصريين منهم فيما بعد إلى تقيض ما كان عليه ، لخشيتهم من تكاثر عددهم الذي زاد على عدد المصريين أنفسهم ومن استفحال نفوذهم في البلاد<sup>(٤)</sup> ، فأصبحوا موضع مقتهم واضطهادهم ، يسومونهم سوء العذاب ، يذبجون أبناءهم ، ويستعجبون نساءهم ، ويتخذون منهم خدماً وعبيداً ، ويسخرونهم في أشق الأعمال<sup>(٥)</sup>. وبقي بنو إسرائيل أمداً طويلاً يرزحون تحت نير هذا الاستعباد ، وتنوشهم معاول هذه الإبادة ، حتى أرسل الله إليهم وإلى فرعون وقومه رسولين إسرائيليين من نسل لاوى ( ليثى Levi ) أحد أبناء يعقوب هما موسى وأخوه هارون عليها السلام ، يبلغانهم رسالة التوحيد ، ويدعوانهم إلى عبادة الله وحده ، وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان.

(١) سفر التكوين ، إصحاح ٤٧ فقرة ٤ .

(٢) سفر التكوين ، إصحاح ٤٧ فقرة ١١ .

(٣) انظر في هجرة يعقوب وأولاده إلى مصر سورة يوسف من القرآن الكريم .

وسفر التكوين من إصحاح ٤٦ إلى آخر السفر .

(٤) سفر الخروج ، الإصحاح الأول ، فقرة ٩ .

(٥) انظر في ذلك القرآن الكريم ، سورة البقرة آية ٤٩ ، والإصحاح الأول من سفر الخروج .

والسكواكب وأرواح الموتى والملوك والحيوان والنبات ، ويقدمان لهم شريعة سماوية سمحة ، هي الديانة اليهودية ، تفصل ما ينبغي أن يكونوا عليه في شئون دينهم وديانهم ، فأمن بها بنو إسرائيل ، وكذب بهما فرعون وقومه إلا قليلا منهم . وظل موسى وهرون وقومهما بنو إسرائيل بعد ذلك في مشادات مع فرعون وقومه حتى أتيح لهم الخروج من مصر إلى صحراء سيناء في قصة مشهورة ذكرت وقائعها في كثير من سور القرآن الكريم ، وتحدث عنها بتفصيل « سفر الخروج » وهو أحد أسفار العهد القديم .

وقد استحال بنو إسرائيل في أثناء الفترة التالية لخروجهم من مصر حتى استقرارهم في أرض كنعان ، وتبلغ حوالي أربعين سنة ، إلى قبائل من البدو الرحل ، يضربون في صحراء سيناء والمناطق المتاخمة لها ، متنقلين في أرجائها ، « تأهين » حسب تعبير القرآن الكريم في دروبها وفيافها <sup>(١)</sup> . وكان موسى قد طلب إليهم دخول الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم ، وهي أرض فلسطين ، وقتال أهلها ، ووعدهم بالنصر ، فتقاعسوا عن ذلك جبنا وخورا ، فكاتب الله عليهم هذا التيه ، حتى يفنى هذا الجيل الجبان ، وينشأ جيل آخر ربي على التبخشن وتمرس بشئون القتال <sup>(٢)</sup> .

وفي أثناء هذه الفترة توفي هارون ثم موسى عليهما السلام ، ولما سكن بعد أن أكمل الله لبني إسرائيل دينهم وأتم عليهم نعمته ، وبعد أن تلقى موسى من ربه التوراة « فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » <sup>(٣)</sup> . وقد استوعبت جميع

(١) انظر آية ٢٦ من سورة المائدة : « قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض » .

(٢) انظر التصوير الرائع للحوار الذي جرى بين موسى وقومه إذ يستعجمون على دخول الأرض المقدسة ، وهي أرض فلسطين ، وهم يقاعسون عنها خوفا من أهلها ، في آيات ٢٠ — ٢٦ من سورة المائدة .

(٣) آية ٤٤ من سورة المائدة : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ... الآية »

تفاصيل هذه الديانة عقائدها وشرائعها وأخلاقها وقصصها: « وكتبنا له في الأواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء » (١).

وحوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد أغار بنو إسرائيل بقيادة يوشع Josue خليفة موسى بعد وفاته على بلاد كنعان ( فلسطين وما إليها وهي الأرض المقدسة التي وعدهم الله بها ) واحتلوها واستولوا على جميع ما فيها من خيرات وثروات ، بعد أن أبادوا معظم أهلها واستعبدوا من أبقوا عليه منهم . فانتهت لديهم بذلك حياة الخشونة والبداوة والتنقل ، وافتتحوا عهد الدعة والحضارة والاستقرار ، وسكنوا المدن والقرى والمنازل والقصور التي ورثوها عن الكنعانيين . وأخذت مزاوتهم لثمنون دينهم تسير على طريق منظم تحت إشراف أحبارهم وربانهم وفقهاءهم وسنة مساجدهم ومدابحهم ؛ وكان معظم هؤلاء يتألفون من نسل لاوى أحد أبناء يعقوب وهم رهط موسى وهارون . أما رؤساؤهم السياسيون فكانوا في صدر هذه المدة من القضاة Judges ؛ ثم لما اتسع نفوذ بني إسرائيل أصبح رؤساؤهم السياسيون ملوكا ذوى سلطان كبير ، ومنهم داود وسليمان عليهما السلام .

وفي سنتي ٥٩٦ و ٥٨٧ قبل الميلاد أغار بختنصر Nabuchonosor ملك بابل على فلسطين ، فأزال ملك بني إسرائيل ، وأسر منهم عددا كبيرا أجالهم إلى بابل ( ومن ثم اشتهر ذلك في التاريخ باسم نفي بابل ) حيث ظلوا في الأسر زهاء خمسين سنة حتى تغلب كورش Cyrus ملك الفرس على البابليين عام ٥٣٨ قبل الميلاد ، فأطلق سراح اليهود ، ورجع كثير منهم إلى فلسطين ، واستعادوا بعض أوضاع حياتهم الأولى ، ولكنهم فقدوا استقلالهم ، ولم ينعموا به بعد ذلك إلا فترات قصيرة . فوقعوا أولاتهم تحت سيطرة الفرس ، وظلوا كذلك زهاء قرنين كاملين ، ثم وقعوا تحت سيطرة المقدونيين خلفاء الاسكندر الأكبر ، ثم تحت سيطرة الرومان .

(١) آية ١٤٥ من سورة الأعراف .

وفي سنة ١٣٥ بعد الميلاد أخذ الرومان في عهد الإمبراطور هادريان Hadrien ثورة قام بها اليهود (من ١٣٠ إلى ١٣٥) واستخدموا في إخمادها أعنف وسائل البطش ، فدمروا بلادهم ، وأخرجوهم من ديارهم ، فأصبحوا مشتتين هائمين على وجوههم في مختلف بقاع الأرض حتى يومنا هذا، على الرغم من إنشاء دولتهم المزعومة . ومن هجرة شرذمة من أفاقيهم إلى بلادها .

وإلى إجلال بني إسرائيل من بلادهم في هاتين المرتين يشير القرآن الكريم إذ يقول : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علوماً كبيراً . فإذا جاء وعد أولاهما بسنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد نجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً . ثم ردنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكتثر نفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ( أي وعد المرة الآخرة وهو الجلاء الثاني ) ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبرأوا ما علوا تتبيرا » (١) .

وقد تنكب بنو إسرائيل الصراط المستقيم ، وخرجوا على تعاليم دينهم . وعقائده عدة مرات في عهد موسى نفسه ومن بعده ، حتى لقد عبدوا العجل وهرون بين ظهرانيهم وموسى يتلقى الألواح من ربه . وبعث الله فيهم من بعد موسى وهرون عدة رسل وأنبياء يهدونهم سواء السبيل ، ويحاولون إنقاذهم مما انحدروا إليه من كفر وضلال ، فما كانوا يلاقون منهم إلا الإعراض والتكذيب ، بل كانوا يلاقون منهم أحياناً التعذيب والتقتيل . وفي هذا يخاطبهم القرآن الكريم إذ يقول : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ؛ أفكلمنا جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم

استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ؟! » ؛ ويقول مبيناً تكذيبهم للقرآن ولأسفارهم نفسها وتمردهم على موسى والأنبياء من بعده : « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين . ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ، خذوا ما أتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا ، وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ؛ قل بئس ما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين »<sup>(١)</sup> .

### نظرة مجملة في اللغات العبرية والآرامية واليونانية

استخدم في تأليف أسفار الديانة اليهودية وفي شرحها وترجمتها الأولى ثلاث لغات ، وهي العبرية والآرامية واليونانية . ولذلك رأينا التمهيد لدراسة هذه الأسفار بكلمة مجملة عن هذه اللغات الثلاث . وسنفيد من هذا التمهيد في دراسة العهد الجديد الذي سنتحدث عنه في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، لأن أسفار هذا العهد كذلك قد استخدم في تأليفها وترجمتها الأولى لغتان من هذه اللغات الثلاث . وهما الآرامية واليونانية .

#### اللغة العبرية :

تطلق اللغة العبرية على لغة فرع واحد من العبريين ، وهو فرع بني إسرائيل . وذلك أن الأمم العبرية تتألف من بني إسرائيل وشعوب أخرى كآل أدوم وآل مؤاب وآل عمون . واسكن لا يطلق اسم اللغة العبرية إلا على لغة بني إسرائيل وحدهم . وقد اجتازت هذه اللغة مراحل كثيرة تأثرت في كل مرحلة منها ، في مفرداتها وقواعدها وأساليبها ، بعدة مؤثرات أهمها الشؤون السياسية وما طرأ على

(١) آيات ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٣ من سورة البقرة .

وحدة بني إسرائيل واستقلالهم وعلاقتهم بالشعوب الأخرى واحتكاك لغتهم وثقافتهم بلغاتهم وثقافتهم . فاللغة مرآة ينمكس فيها ما يكتنف الناطقين بها في حياتهم الاجتماعية والعقلية من ظروف ومؤثرات . وترجع أهم مراحل هذه اللغة إلى عصرين رئيسيين :

العصر الأول من نشأة هذه اللغة ( حوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ) إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، أى طوال المدة التى كانت العبرية فى أثنائها لغة حية يتكلم بها بنو إسرائيل . وفى المرحلة الأولى من هذا العصر ، وهى المرحلة السابقة لنفى بابل ( أى السابقة لسنة ٥٨٧ قبل الميلاد ) كانت العبرية فصيحة خالصة من الشوائب ؛ بينما أخذت بوادر التأثير باللغة الآرامية تنفذ إليها فى أثناء المرحلة الأخيرة ، وهى اللاحقة لهذا النفى . وتسمى العبرية فى هذا العصر بمرحلتيه « العبرية القديمة » أو « عبرية العهد القديم » ، لأن أهم ما وصل إلينا من آثارها فى هذا العصر بمرحلتيه هى أسفار « العهد القديم » .

والعصر الثانى يبدأ من العهد الذى انقرضت فيه اللغة العبرية من التخاطب لدى بني إسرائيل ، وحلت محلها فى ألسنتهم اللغة الآرامية ، واقتصر استخدام العبرية على الكتابة وشئون الدين ، أى من أواخر القرن الرابع قبل الميلاد . وتمتاز العبرية فى هذا العصر بشدة تأثرها باللغة الآرامية و ببعض اللغات الهندية الأوروبية التى احتك اليهود بأهلها احتكاكا سياسيا أو ثقافيا وخاصة اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية . وتسمى العبرية فى أثناء المرحلة الأولى من هذا العصر ، وهى المرحلة التى تنتهى بالقرن السادس الميلادى . « العبرية الربانية » أو « التلمودية » ؛ لأن أهم ما وصل إلينا من آثارها فى هذه المرحلة يتمثل فى بحوث « الربانيين » فى أسفار « المشناة » من « التلمود » كما سيأتى بيان ذلك <sup>(١)</sup> .

(١) انظر فى تفاصيل الأئمة العبرية وأدوارها وخصائصها ورسمها كتابنا « فقه اللغة » .



### اللغة الآرامية :

أصبحت اللغة الآرامية بعد تغلبها على اللغة العبرية في فلسطين وما إليها وعلى اللغة الأكادية ( أو البابلية الآشورية ) في مناطق العراق ، أى منذ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، اللغة السائدة في التخاطب والكتابة في جميع بلاد العراق من جهة وفي سوريا وفلسطين وما إليهما من جهة أخرى .

و باللغة الآرامية كتب من أول الأمر بعض فصول وقرات في بعض أسفار العهد القديم ( بعض فصول من سفرى عزرا ودانيال وقررة واحدة من سفر أرميا ) ؛ وكتب بها من أول الأمر كذلك إنجيل متى في العهد الجديد .

و باللغة الآرامية شرحت أسفار « المشناة » اليهودية ، وسمى شرحها هذا « الجازا » ( وتألف من المتن العبرى وهو « المشناة » والشرح الآرامى وهو « الجازا » ما يسمى « التلمود » ) .

و إلى اللغة الآرامية ترجمت أسفار العهد القديم من أصلها العبرى أحيانا ومن ترجمتها اليونانية أحيانا ، وترجم إليها كذلك أسفار العهد الجديد من أصلها اليونانى <sup>(١)</sup> .

### اللغة اليونانية :

كانت اللغة اليونانية لغة الحديث والكتابة في جميع البلاد اليونانية الأصل وفي جميع مستعمرات اليونان بأندونيسيا وأفريقيا ، كما كانت لغة الآداب والثقافة والعلوم في كثير من البلدان غير اليونانية اللسان ، وخاصة في بلاد العراق والشام وفلسطين وشمال أفريقيا ، بل في مصر نفسها ؛ فقد كان المصريون في عهد البطالسة إلى الفتح العربى يستخدمون المصرية القديمة في تخاطبهم وحديثهم العادى ، بينما كانوا يستخدمون اليونانية في شئون الكتابة والثقافة والآداب والعلوم .

(١) انظر في تفاصيل اللغة الآرامية وأدوارها وفروعها كتابنا « فقه اللغة » ،

وباللغة اليونانية ألفت جميع أسفار العهد الجديد ما عدا إنجيل متى ، فالراجح ، أنه أنف بالآرامية ثم ترجم إلى اليونانية ، وإن كان الأصل الآرامى لم يصل إلينا .

وإلى اللغة اليونانية تمت أقدم ترجمة لأسفار العهد القديم من أصلها العبرى . وهى الترجمة السبعينية ( وهى التى تمت فى سنتى ٢٨٢ و ٢٨٣ على يد اثنين وسبعين حبراً من يهود مصر بأمر بطليموس فيلادلف ، ومراعاة لعدد من قام بها سميت الترجمة السبعينية ( Version de Septante ) . وإلى اللغة اليونانية تمت كذلك أقدم ترجمة لإنجيل متى فى العهد الجديد من أصله الآرامى .

ومن اللغة اليونانية ترجمت أسفار العهدين القديم والجديد إلى اللغة اللاتينية . وعن اليونانية واللاتينية ترجمت هذه الأسفار إلى معظم لغات العالم قديماً وحديثاً (١) .

— ٣ —

العهد القديم

اعتمد اليهود فى أسفارهم تسعة وثلاثين سقراً أطلق عليها فى العصور المسيحية اسم «العهد القديم» Ancien Testament للتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون . من أسفارهم التى أطلقوا عليها اسم «العهد الجديد» Nouveau Testament . واعتبروا هذه الأسفار التسعة والثلاثين أسفاراً مقدسة أى موحى بها .

ويراد بكلمة «العهد» فى هاتين التسميتين — كما ذكرنا ذلك فى مقدمه هذا الكتاب — ما يرادف معنى الميثاق ، أى إن كلنا المجموعتين تمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه alliance : فأولاهما تمثل ميثاقاً قديماً من عهد موسى ؛ والأخرى تمثل ميثاقاً جديداً من عهد عيسى .

(١) انظر فى تفاصيل اللغة اليونانية وفروعها وآدابها كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الخامسة ص ١٨١ ، وكتابنا « الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى » .

وتنقسم أسفار العهد القديم أربعة أقسام :

( القسم الأول ) كتب موسى أو الأسفار الخمسة أو « البانتاتيك » .

( Pentateuque : du grec « Penta » — cinq, et « teukhos » — livre )

وهي سفر التكوين وسفر الخروج وسفر التثنية وسفر اللاويين وسفر العدد وتشمثل هذه الأسفار الخمسة على التوراة في نظر اليهود .

أما سفر التكوين ( Génèse ) فيقص تاريخ العالم من تكوين السماوات والأرض ( ومن ثم سمي سفر « التكوين » ) إلى استقرار أولاد يعقوب أو إسرائيل ( وهو اسم آخر أو لقب ليعقوب ) في أرض مصر ، مع تفصيل في قصص آدم وحواء ونوح والطوفان ونسل سام ( أحد أبناء نوح ، وهو الذي انحدر منه شعب بني إسرائيل ) وخاصة إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف والأسباط ، وإجمال فيما عدا ذلك .

وأما سفر الخروج ( Exode ) فيعرض تاريخ بني إسرائيل في مصر وقصة موسى ورسالته وخروجه مع بني إسرائيل ( ومن ثم سمي سفر « الخروج » ) وتاريخهم في أثناء مرحلة « التيه » التي قضاها في صحراء سيناء واستغرقت أربعين عاما ، وهي التي يشير إليها القرآن الكريم إذ يقول : « قال فإنها محرمة عليهم » ( أى أرض الميعاد ، وهي بلاد كنعان التي وعدهم الله بها ) « أربعين سنة ينهيون بني الأرض »<sup>(١)</sup> . وبجانب هذه القصص يشتمل سفر الخروج على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات . . . وما إلى ذلك .

وأما سفر التثنية فقد شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب

(١) آية ٢٦ من سورة المائدة .

والسياسة وشئون الاقتصاد. والمعاملات والعقوبات والعبادات . . . وهلم جرا .  
وسمى « التثنوية » لأنه « يعيد » ذكر التعاليم التي تلقاها موسى من ربه وأمر  
بتبليغها إلى بني إسرائيل .

(Deutéronome, du gree «deutéronómion : seconde loi)

وأما سفر اللاويين (Lévitiques) فقد شغل معظمه بشئون العبادات وخاصة  
ما تعلق منها بالأضحية والقرايين والحرمات من الحيوانات والطيور . واللاويون  
هم نسل « لاوى » أو « ليثى » Lévi أحد أبناء يعقوب ، ومنهم موسى وهرون .  
وكان اللاويون سدنة الهيكل والمشرفين على شئون المذبح والأضحية والقرايين  
، والقوامين على الشريعة اليهودية . ومن ثم نسب إليهم هذا الكتاب الذى شغل  
معظمه بما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات .

وأما سفر العدد (Nombres) فقد شغل معظمه بإحصائيات عن قبائل بني  
إسرائيل وجيوشهم وأموالهم وجميع ما يمكن إحصاؤه من شئونهم (ومن ثم  
سمى سفر « العدد » ) وبأحكام تتعلق بطائفة من العبادات والمعاملات .

(والقسم الثانى) يسمى بالأسفار التاريخية ، وهى اثنا عشر سفرا تعرض  
لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين وبعد استقرارهم في  
فلسطين . وتفصل تاريخ قضائهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة في شئونهم .  
وهى أسفار يوشع Josue والقضاة Judges وراعوث Ruth وصموئيل ( سفران )  
والملوك ( سفران ) وأخبار الأيام ( سفران ) وعزرا Esdras ونحميا Néhémie  
وإستير Esther .

(والقسم الثالث) يسمى أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية ، وهى أناشيد  
ومواعظ معظمها ديني مؤلفة تأليف شعرياً في أساليب بليغة ، وعددها خمسة  
أسفار ، وهى سفر أيوب Job ومزامير داود Psalms وأمثال سليمان Proverbs

والجامعة من كلام سايمان Eclésiaste ونشيد الأناشيد لسليمان  
Cantique des Cantiques

(والتقسيم الرابع) يسمى أسفار الأنبياء ، وعددها سبعة عشر سفرا يعرض  
كل منهما لتاريخ نبي من أنبياء بني إسرائيل الذين أرسلوا إليهم بعد موسى وهرون ،  
وهي أسفار أشعياء Esaïe وأرمياء Jérémie ومرأى أرمياء Lamentations de Jérémie  
وحذقيال Ezechiel ودانيال Daniel وهوشع Osée ويوثيل Joël وعاموس  
Amos وعوبديا Abdias ويونس Jonas وميخا Michée وناحوم Nahm ،  
وحبقوق Habakuk وصُفُنِيَا Sophonie وحجِّي Aggée وزكريا Zackarie  
وملاحي Malachie .

\* \* \*

هذا ، وقد ذكر كثير من مؤرخي العرب بين أسفار العهد القديم كتباً  
ليست منه ، وإنما تعد من الكتب الخفية التي سنتكلم عليها في الفقرة السابعة  
من هذا الفصل ، كسفر يهوذا أو يهوديت وكتب السكابين وسفر يسوع بن  
سيراخ ، كما ذكروا كتباً لا وجود لها بين الكتب المعتمدة ولا بين الكتب  
الخفية عند اليهود كالسفر الذي سموه سفر بنيامين ، وأغفلوا ذكر طائفة من  
الأسفار المعتمدة ، وحرفوا كثيراً من أسماء ما ذكروه منها<sup>(١)</sup> .

— ٤ —

التوراة أو أسفار موسى أو الأسفار الخمسة

وتاريخ كل سفر منها

هذا وأهم أسفار العهد القديم هي أسفار القسم الأول التي ينسبها اليهود إلى  
موسى ويعتقدون أنها بوحي من الله وأنها تتضمن التوراة . ولكن ظهر للمحدثين

(١) انظر مثلاً ابن خلدون في المقدمة ، وانظر تمليقاتي في هذا الصدد على مقدمة ابن  
خلدون بصفحات ٥٩٣ — ٥٩٥ ( الجزء الثاني ، طبعة لجنة البيان العربي ) .

من الباحثين من ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار ، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتواريخ ، والبيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها ، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير ( وعصر موسى يقع على الأرجح حوالى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد ) ، وأن معظم سفرى التكوين والخروج قد ألفت حوالى القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن سفر التثنية قد ألفت في أواخر القرن السابع قبل الميلاد ، لم وأن سفرى العدد واللاويين قد ألتا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد لى بعد النفى البابلى الذى سبقت الإشارة إليه في الفقرة الأولى من هذا الفصل ( وهو إجلال بنى إسرائيل إلى بابل سنة ٥٨٧ قبل الميلاد ) ، وأنها جميعا مكتوبة بأقلام اليهود ، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل ، كما سنذكر ذلك عند كلامنا على العقيدة والشريعة في أسفار اليهود . فهى إذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة التي يذكر القرآن أنها كتاب سماوى مقدس أنزله الله على موسى . وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ؛ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون»<sup>(١)</sup> ، وإذ يقول : «... والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ؛ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه»<sup>(٢)</sup> . وإذ يقول : « فما نقصهم ميتاقتهم » ( يعنى اليهود ) « لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا خطأ مما ذكروا به »<sup>(٣)</sup> . وقد رأى عليه الصلاة والسلام ورقة من التوراة فى يد عمر فأمره بإلقائها وألا يضيع وقتها

(١) آية ٧٩ من سورة البقرة .

(٢) آية ٤٦ من سورة النساء .

(٣) آية ١٤ من سورة المائدة .

بغى قراءة ما بها من كذب وتحريف ، ثم قال : ألم آتكم بها بيضاء نقية ؟  
والله لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا اتباعي ، ؛ أى إن هذه التوراة المزعومة  
ملطخة بسواد التحريف والتغيير ؛ وقد أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم فى  
المقرآن مخلصا لما كانت تشتمل عليه التوراة من عقيدة وشريعة وقصص ، فأحيها  
بغى صورتها الصحيحة نقية بيضاء ، وأن موسى لو بعث الآن لتبرا من توراتهم  
.واتبع قرآن محمد .

وعلى أساس هذه التحقيقات الحديثة بشأن التواريخ التى ألفت فيها هذه  
الكتب الخمسة ، وضعنا سفر التثنية فى ترتيبنا قبل سفرى اللاويين والعدد لأنه  
قد ألفت فى عصر سابق للعصر الذى ألفت فيه هذان السفران ، وإن كان الترتيب  
التقليدى للعهد القديم يضعه فى أواخر الأسفار الخمسة .

بقية أسفار العهد القديم

وتاريخ كل سفر منها

وعلى أساس هذه التحقيقات الحديثة نفسها يرجح الباحثون أن قسما من  
الأسفار الأخرى للعهد القديم قد ألفت فى الفترة الواقعة بين النصف الأخير من  
القرن التاسع وأوائل السادس قبل الميلاد ، ويشمل هذا القسم أسفار يوشع  
والقضاة وصموئيل والملوك والأمثال ونشيد الأناشيد ومعظم أسفار الأنبياء ، وأن  
قسما آخر منها قد ألفت فى الفترة الواقعة بين أوائل القرن السادس وأواخر القرن  
الرابع قبل الميلاد ؛ ويشمل هذا القسم أسفار يونس وزكريا وقسما من  
سفر دانيال .

## اللغات التي ألفت بها أسفار العهد القديم والتي ترجمت إليها

دونت جميع أسفار العهد القديم بلغة واحدة وهي اللغة العبرية . وإذ كانت التراكيب والأساليب وبعض المفردات تختلف باختلاف هذه الأسفار دونت على العصور التي ألفت فيها كل سفر منها . ولا يستثنى من ذلك إلا بعض أجزاء يسيرة ألفت من أول الأمر باللغة الآرامية وهي بعض أجزاء من سفر عزرا Esdras ودانيال وبقرة واحدة من سفر أرمياء Jérémie وكلمتان اثنتان في سفر التكوين وردتا باللغة الآرامية عن قصد . ويرجح الباحثون أن ما ألفت بالآرامية مباشرة من سفر عزرا يرجع تاريخ تدوينه إلى حوالي سنة ٣٥٠ قبل الميلاد وأن ما ألفت بها من سفر دانيال يرجع تاريخ تدوينه إلى سنة ١٦٧ أو ١٦٦ قبل الميلاد .

وقد أخطأ بعض مؤرخي العرب إذ قرروا أن جميع أسفار العهد القديم قد ألفت باللغة العبرانية .

\* \* \*

وأقدم ترجمة للعهد القديم هي الترجمة اليونانية التي اشتهرت باسم « الترجمة السبعينية » Version de Septante وهي التي تمت في سنتي ٢٨٢ و ٢٨٣ قبل الميلاد على يد اثنين وسبعين حبراً من يهود مصر بأمر بطليموس فيلادلف . ثم ترجمه أحرار اليهود من مدرسة بيت المقدس من العبرية إلى « اللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة » وهي إحدى لهجات اللغة الآرامية وكانت مستخدمة في منطقة فلسطين وما إليها ، وساروا في ترجمتهم هذه على منهج خاص يختلف عن



منهاج الترجمة المعتادة . فكانوا يدونون الآية بنصها العبري ثم يذهبونها  
بترجمتها إلى اللغة الآرامية . وقد أطلق على كتبهم هذه اسم « الترجوم » ومن  
أشهرها ترجمون أنقلوس Onclous وهو ترجمة لأسفار التوراة وحدها ( الأسفار الخمسة -  
أو أسفار موسى التي يتألف منها القسم الأول من أسفار العهد القديم وتتضمن  
التوراة ) ، وترجوم يونانان وهو ترجمة لبقية أسفار العهد القديم . وقد ألفت  
ترجماتهم هذه في الفترة الواقعة بين أوائل القرن الثاني وأواخر القرن الخامس بعد  
الميلاد وتم معظمها في القرنين الرابع والخامس الميلاديين .

وفي هذه الفترة نفسها ( بين أوائل القرن الثاني وأواخر القرن الخامس بعد  
الميلاد) ترجمت مدرسة الكنيسة المسيحية السريانية العهد القديم (مع العهد الجديد) ،  
إلى اللغة السريانية وهي إحدى شعب اللغة الآرامية . ولم يترجموه عن العبرية  
مباشرة كما فعل أحبار اليهود من مدرسة بيت المقدس ، وإنما ترجموه عن الترجمة  
السبعينية اليونانية . والترجمة السريانية ترجمة حرفية لا تكاد تبين عن روح  
اللغة العبرية التي ألفت بها هذه الأسفار .

وترجم المسيحيون بفلسطين العهد القديم (مع العهد الجديد) إلى اللهجة الآرامية  
الفلسطينية الحديثة ، وهي إحدى اللهجات الآرامية التي كانت مستخدمة في  
فلسطين وما إليها كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وذلك بعد أن استقلوا في ثقافتهم  
وشئونهم الدينية عن الكنيسة السريانية ، وقد تم لهم هذا الاستقلال في أواخر  
القرن الخامس الميلادي . ولم يترجموه عن العبرية مباشرة كما فعل مواطنوهم اليهود  
من مدرسة بيت المقدس وإنما ترجموه عن الترجمة السبعينية اليونانية . كما فعل  
السريان . وجاءت ترجمتهم هذه ترجمة حرفية كالترجمة السريانية ، بل تزيد  
في حرفيتها عن الترجمة السريانية وتقل عنها في مبلغ إياتها عن روح اللغة العبرية .  
وأساليبها . وقد استغرقت تراجمهم للعهد القديم والجديد مدة طويلة تمتد من  
القرن الثامن إلى الحادي عشر بعد الميلاد .

وفي القرون الأولى بعد الميلاد ترجمت أسفار العهد القديم من ترجمتها اليونانية  
السبعينية إلى اللغة اللاتينية ؛ وعن الترجمتين اليونانية واللاتينية ترجمت هذه الأسفار  
إلى معظم لغات العالم قديماً وحديثاً ،

- ٧ -

الأسفار « الخفية » عند اليهود

وبجانب هذه الأسفار التي يتألف منها العهد القديم توجد أسفار يهودية  
قديمة أخرى لم يدخلها اليهود في أسفار هذا العهد . ويطلقون عليها اسم  
« الأسفار الخفية » .

(Apocryphe, du grec : «apokruphos», de «apokruptien = cacher).

وبعض هذه الأسفار الخفية غير مقدس ولا معتمد في نظر اليهود ، بينما بعضها  
الأخر مقدس أى معترف بأنه موحى به ومعتمد في نظرهم ، ولكن رأى أحبارهم  
موجب إخفائه في الهيكل ، وقرروا أنه لا يجوز أن يقف عليه الجمهور ولأن يدرج  
في أسفار العهد القديم . وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول في صدد اليهود:  
« وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل إليه على بشر من شيء ؛ قل من أنزل  
الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون  
كثيراً » (١) ، وإذ يقول : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً  
سما كنتم تخفون من الكتاب » (٢) ، وإذ يقول : « إن الذين يكتُمون ما أنزلنا  
من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم  
اللائعون » (٣) ، وإذ يقول : « إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون

(١) آية ٩١ من سورة الأنعام .

(٢) آية ٥٠ من سورة المائدة .

(٣) آية ٥٩ من سورة البقرة .

به ثمناً قليلاً أو لثك ما يأكلون في بطونهم إلا الفار . ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولم عذاب ألم<sup>(١)</sup> .

ومن هذا يظهر أن السفر قد يكون خفياً ومقدساً في آن واحد عند اليهود . وفي هذا يختلف الاصطلاح اليهودي بعض الاختلاف في مدلول كلمة « الخفي » عن الاصطلاح المسيحي . فالمسيحيون يطلقون كلمة « الخفي » apocryphe على كل سفر يرون أنه غير مقدس أى غير موحى به ، سواء أكان في نظرهم صحيحاً في حقائقه وفي نسبه إلى مؤلفه ، أم كان في نظرهم غير صحيح في حقائقه أو في نسبه إلى مؤلفه أو في كليهما كما يجيل برنابا وكتاب أعمال الرسل لبرنابا ؛ فإن المسيحيين لا يعترفون بصحة ما جاء فيهما ولا بصحة نسبتها إلى برنابا كما سيأتى . بيان ذلك في الفقرتين السابعة والثامنة من الفصل الثانى من هذا الكتاب .

- ٨ -

أسفار « التلمود » وتاريخ تأليفها

تألف من بحوث أحبار اليهود وربانيهم وفقهاءهم المتمين إلى فرقة الفريسيين ( أشهر فرق اليهود كما سيأتى الكلام على ذلك في الفقرة الأخيرة من هذا الفصل ) في شئون العقيدة والشريعة والتاريخ المقدس وما إلى ذلك ثلاثة وستون سفراً ألقت في القرنين الأول والثانى بعد الميلاد ، وأطلق عليها اسم « المشناة » بمعنى المثني أو المكرر أى إنها تكرار وتسجيل للشريعة ( Michna - répétition des lois , ou seconde loi ) ؛ ثم شرحت هذه المشناة فيما بعد وأطلق على هذه الشروح اسم « الجمارا » أى الشرح أو التعليق Gémara - commentaires . وألقت هذه الشروح في فترة طويلة تمتد من القرن الثانى إلى أواخر السادس بعد الميلاد . وتألف من المثني والشرح ( أى من المشناة والجمارا ) ما أطلق عليه اسم « التلمود » بمعنى التعاليم Talmud - enseignement

(١) آية ١٧٤ من سورة البقرة .

اللغات التي ألفت بها أسفار التلمود والتي ترجمت إليها

ألفت أسفار « المشناة » باللغة العبرية ، وألفت شروحيها المسماة « الجمارا »  
باللغة الآرامية ، فكان يدون الآتين بلغته العبرية ثم يشرح بالآرامية .

وتسمى اللغة العبرية التي ألفت بها أسفار المشناة باللغة الربانية ، كما سبقت  
الإشارة إلى ذلك في الفقرة الثانية من هذا الفصل . وهي تختلف اختلافا غير يسير  
عن اللغة العبرية التي ألفت بها أسفار العهد القديم . وذلك أن تأليف أسفار  
المشناة قد حدث بعد أن انقرضت العبرية من لغة التخاطب لدى بني إسرائيل  
وحلت محلها في ألسنتهم اللغة الآرامية ، واقتصر استخدام العبرية لديهم على  
ميادين الكتابة وخاصة في شئون الدين . ومن ثم تمتاز اللغة العبرية التي ألفت  
بها المشناة بشدة تأثرها باللغة الآرامية ، كما يبدو فيها كثير من مظاهر التأثير  
ببعض اللغات الآرية - الهندية - الأوربية التي احتك اليهود بأهلها احتكاكا  
سياسيا أو ثقافيا وخاصة اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية . فمع أن المشناة قد  
دونت باللغة العبرية فإن كثيرا من المفردات التي وردت فيها متبسة من الآرامية ،  
وتشتمل كذلك على عدد غير يسير من الكلمات اليونانية واللاتينية والفارسية .  
ولكن هذا لا ينقص شيئا من قيمتها اللغوية والتاريخية ؛ وذلك لأن ما بهامن  
مفردات أجنبية لا يعد شيئا مذكورا بجانب ما استخدمته من المفردات العبرية  
التي لا يوجد بعضها في العهد القديم نفسه .

وأما شروح المشناة وهي المسماة « الجمارا » وهي التي ألفت باللغة الآرامية ،

فقد قامت بها مدرستان :

(إحداها) مدرسة يهود فلسطين . وقد ألفوا شروحهم هذه باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة وهي اللهجة نفسها التي استخدمها هؤلاء في ترجمة العهد القديم كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفقرة السادسة من هذا الفصل . واستغرق لديهم تأليف هذه الشروح فترة طويلة تمتد من القرن الثاني إلى أواخر الخامس بعد الميلاد . وإن كان معظمها قد تم في القرنين الرابع والخامس الميلاديين . وتألف من شروحهم هذه مع المتن نفسه ( أى مع أسفار المشناة ) ما يعرف بتلمود بيت المقدس .

(والأخرى) مدرسة يهود بابل . وقد ألفوا شروحهم هذه باللهجة الآرامية الجنوبية الشرقية ( وهي إحدى لهجات اللغة الآرامية ) ، وشرعوا فيها منذ أوائل القرن الرابع بعد الميلاد ولم يفرغوا منها إلا في القرن السادس الميلادي . وتألف من شروحهم هذه مع المتن نفسه ما يعرف بتلمود بابل . وعن اللغتين العبرية والآرامية ترجم التلمود إلى كثير من لغات العالم قديماً وحديثاً .

### العقيدة في أسفار اليهود وتطورها

كانت الديانة اليهودية في أصلها ، كما نبيئنا بذلك القرآن ، ديانة توحيد تتصف فيها الذات العلية بصفات الوحدة والكمال ، والتجرد من جميع مظاهر النقص ، والمخالفة للحوادث في كل شيء ، كما هو الشأن في الدين الإسلامي .

ولكن يظهر من التأمل في أقدم أسفار توراتهم المزعومة أن فكرة الألوهية لديهم كانت قد انعكست في عصر تدوينهم لهذه الأسفار ، فتصوروا الله تعالى في صور مجسمة ، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب

والغفلة والجهل ، وظهر تصورهم هذا في كثير من قصص هذه الأسفار .  
فن ذلك مثلاً ما يرويه سفر التكوين في قصة آدم وحواء وإخراجهما من الجنة ، إذ يذكر أن الله تعالى قد نهاهما عن الأكل من شجرة المعرفة ، وخوفهما مضللاً بهما ومخفياً عنهما حقيقة هذه الشجرة ، فذكر لها أن الأكل منها يقضى إلى الموت ، مع أن الأكل منها يقضى إلى رقى التفكير وانحسار أغطية الجهل وانبثاق نور المعرفة . ولكن الإلاه كان يريد إبقاء جاهلين حتى لا يشاركاه في صفة من أخص صفاته . ولما أغرى الشيطان حواء بالأكل من هذه الشجرة وانساق معها زوجها ، أدركا ما كانا يجهلانه من قبل ، فعرفا أنهما مكشوفتا السوءتين وأنه لا يليق أن يقابلا ربهما على هذه الصورة . ولما قدم الإلاه نحوهما مخترقا طرق الجنة ، وسمما صوته وحركته في أثناء سيره ، اختبأ حتى لا يراهما عريانين ، وأخذاً يخلصان على عورتيهما من ورق الجنة ، فناداهما ربهما وأخذ يستجوبهما ، واستنتج من فعلتهما ومن استجوابهما أنه لا بد أن يكونا قد أكلتا من شجرة المعرفة ، وأن ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما ، وأن الإنسان قد أصبح بذلك « أخذ الآلهة لتمييزه بين الحسن والقبيح » ، وأنه قد أصبح لزاماً أن يطرد الإنسان من الجنة ، حتى « لا تمتد يده إلى شجرة أخرى هي « شجرة الخلد » فيكفل لنفسه أرقى صفات الإلاه وهو البقاء <sup>(١)</sup> .

وقد عرض القرآن في أكثر من سورة بعدة مواقف من قصة آدم وحواء وأكلهما من الشجرة وخروجهما من الجنة بدون أن يبدو في أى موقف من هذه المواقف ما يتعارض مع كمال علم الله وقدرته ومخالفته للحوادث .

ومن ذلك أيضاً ما يرويه سفر التكوين في قصة إهلاك قوم لوط وتدمير قريتي سودوم وجوموره Sodome et Gomorre إذ يذكر أن ثلاثة رجال ،

(١) الإصحاح الثالث من سفر التكوين .

وهم الله وملكان معه ، قدموا على إبراهيم وهو جالس أمام خيمته ، وأن إبراهيم قد عرف الله من بينهم ورجاه أن يستريحوا عنده قليلا من وعشاء سفرهم ، وقدم إليهم ماء لشربهم وغسل أرجلهم وفضأ وعجلا حنيذا لطماسهم ، فانتحى ثلاثهم تحت ظل شجرة ، وأخذوا يأكلون مما قدمه إليهم ، وإبراهيم جالس على مقربة منهم .

ثم تفقد الإلاه زوجه سارة وسأله عنها وأخذ يبشرها ويبشر إبراهيم بأنه سيمر بهما في هذا الموعد نفسه من السنة القادمة فيجدهما قد رزقا غلاما زكيا . ثم اشتبك معه إبراهيم في نقاش وجدال ومساومة حول القريتين اللتين يريد إهلاكهما بغية أن يثنيه عن ذلك لأن بعض أهلها أتقياء ولا يصح أن يؤخذ المحسن بذنب المسيء (١) .

وقد ذكر القرآن هذه القصة على حقيقتها فيبين أن الذين وفدوا على إبراهيم كانوا ملائكة مشكلين في صورة آدميين ، فظنهم بشرا ، فقدم إليهم طعاما ، فلم تصل أيديهم إليه ، لأن الملائكة لا يأكلون . وفي هذا يقول القرآن الكريم : « ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ... » (٢) .

ومن ذلك أيضا ما يقرره سفر التكوين من أن الله بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام استراح في اليوم السابع وكان يوم سبت وأن الله قد بارك هذا اليوم من أجل ذلك فحرم فيه العمل (٣) ، أي إنه كالبشر في حاجة إلى الراحة بعد بذل الجهود في عمل ما . وعلى زعمهم هذا يرد الله تعالى في القرآن

(١) الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين .

(٢) انظر آيات ٦٩ — ٧٦ من سورة هود .

(٣) الفقرات الأولى من الإصحاح الثاني من سفر التكوين .

الكريم إذ يقول : « ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب »<sup>(١)</sup>

بل إن هذه الأسفار لتدل على أنهم كانوا يعتقدون تعدد الآلهة. فكانوا يرون أن ثمة إلهًا خاصًا بشعب إسرائيل يختلف عن آلهة الشعوب الأخرى .

ثم أخذ تصورهم للذات العلية يرقى شيئًا فشيئًا ويتخلص من شوائب النقص والتجسيم ، كما يبدو ذلك في أحدث أسفار توراتهم المزعومة كأسفار التثنية والعدد واللاويين .

غير أنه قد بقي لديهم الاعتقاد بأن لهم إلهًا خاصًا بهم وهو إله إسرائيل وأنهم هم أولاده وأحبائه وأن لغيرهم من الأمم آلهة أخرى . ولم يتخلص إلههم هذا كل التخليص من جميع صفات الحوادث ، بل ظل عالقا به ، في نظرهم ، بعض هذه الصفات . فمن ذلك أن أحدث أسفار توراتهم المزعومة وهو سفر اللاويين يذكر في أكثر من موضع أن « الضحايا المحرقة » (وهي التي تحرق أجزاؤها في المذبح تحت إشراف إحد اللاويين ) يرتاح لها الإله ويفيد منها ويتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها ، وأنه يفض كل الغضب إذا لم تقدم إليه أو إذا قدمت إليه في صورة غير الصورة المقررة في شريعتهم ، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين فيرسل عليهم نارا تحرقهم<sup>(٢)</sup> . وعلى مزاعمهم هذه يرد الله تعالى في القرآن الكريم إذ يقول : « لن ينال الله لحومها ولادماؤها ؛ ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين » وإذ يقول في هدى الحج من الأنعام : « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير »<sup>(٣)</sup> .

(١) آية ٣٨ من سورة ق .

(٢) انظر إصحاحات سفر اللاويين . والنار التي تشير إليها قد أحرقت ولدين من أبناء هارون ، انظر الإصحاح العاشر من سفر اللاويين .

(٣) آبي ٢٧ ، ٢٧ من سورة الحج



ويظهر أنه بعد أن قربت عقيدتهم من التوحيد ، انكسرت مرة أخرى  
انتكاساً كبيراً في العهد الذي ألف فيه التلمود ( القرون الستة الأولى بعد الميلاد ) .  
فأسفار التلمود تظهر إله إسرائيل متصفاً بكثير من صفات الحوادث  
وصفات النقص . ويبدو ذلك على الأخص فيما يرويه التلمود عن نشاط الله  
وأعماله في الليل والنهار وعن حالته بعد هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل .  
فمقرر بعض أسفاره أن الله يقضى الساعات الثلاث الأولى من النهار في مذاكرة  
الشريعة ، والساعات الثلاث الثانية في شئون الحكم بين الناس ، والساعات الثلاث  
الثالثة في تدبير العيش للخلق ، وأما الساعات الثلاث الأخيرة فيقضيتها في اللعب مع  
الحوت ملك الأسماك ، وهو حيوان كبير جداً يقسم حلقه لسمكة طولها ثلثمائة  
فهرسخ بدون أن تضايقه . وقد رأى الله أن يجرمه من أنشاء حتى لا ينسلا فيملا  
الدهنيا وحوشاً تهلك من فيها وتأتى على الحرث والنسل . ولهذا حبس الذكر بقوته  
الإلاهية وقتل الأنثى وماحها وحفظها طعام المؤمنين في الفردوس . وأما ساعات  
الليل فيقضيتها الإلاه في مذاكرة التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين الذي  
يصعد إلى السماء كل ليلة ثم يهبط منها إلى الأرض بعد انتهاء هذه الندوة العالمية .  
وقد تغير هذا النظام بعد أن قدر الله هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل . فقد  
اعترف الإلاه بخطئه في هذا الصدد وندم على ما فعله ، وخصص ثلاثة أرباع الليل  
للبيكاء والندم . وكان إذا بكى سقطت من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من  
في الآفاق ، وتضطرب المياه وترتجف الأرض فتتجم عن ذلك الزلازل . ويزعم  
التلمود أن الله يردد في أثناء بكائه ونحيبه عبارات تدل على ندمه مما فعل  
فيقول : تبأ لي أمرت بخراب بيتي وإحراق الهيكل وتشريد أولادي ،  
ويقول حينما يسمع الناس يمجذونه : طوبى لمن يمجده الناس وهو مستحق لذلك ،  
وويل للأب الذي يمجده أبناؤه مع عدم استحقاقه لذلك لأنه قد قضى عليهم  
بالتشريد والشقاء . ويقرر التلمود كذلك أن الإلاه قد تستولى عليه نزوة غضب  
فيقسم إيانين أعمالاً شريرة أو غير عادلة ثم يشوب إلى رشده فيتحلى من يمينه ،

كما حدث يوم أن غضب على بنى إسرائيل في الصحراء وأقسم أن يببدهم ، ثم رجح عن عزمه وتحمل من يمينه بعد أن انقضت نزوة غضبه .

\* \* \*

بل لقد اعتقدت بعض فرقهم بوجود ابن الله ، واتخذت بعض فرقهم أحبارهم أرباباً من دون الله ، كما يخبر بذلك القرآن الكريم عنهم وعن النصارى إذ يقول : «وقالت اليهود عزير ابن الله» (وهو من تسمية أسفار العهد القديم عزرا Esdras) «وقالت النصارى المسيح ابن الله ؛ ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله ، أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ، (أى واتخذ النصارى المسيح ابن مريم إلهاً كذلك) « وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو ، سبحانه عما يشركون »<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

هذا ، وقد كانت الديانة اليهودية فى أصلها تقرر البعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجنة والنار كما ينبىء بذلك القرآن . ولكن أسفار العهد القديم قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه . - ومن ثم لانجد من بين فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على النحو الذى يقرره الإسلام . ففرقة الصادوقيين تنكر قيام الأموات وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان فى حياتهم . وفرقة الفريسيين تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون فى هذه الأرض ليشتركوا فى ملك المسيح الذى سيأتى فى آخر الزمن لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم جميعاً فى ديانة موسى ، أى إن بعث هؤلاء سيحصل فى الحياة الدنيا . فهى يمكن من خلاف بين الفرقتين فإنهما تتفقان فى إنكار اليوم الآخر على النحو الذى يقرره الإسلام .

(١) آتى ٣١ ، ٣١ من سورة التوبة .

وقد ورد في بعض فقرات في التلمود ذكر للجنة والنار ، ولكن في صورة مضطربة أدنى إلى الخرافة والأساطير منها إلى حقائق العقيدة . فتذكر هذه الفقرات أن الجنة تأوى إليها الأرواح الزكية وأنه لا يدخلها إلا اليهود ، وأن أهلها يطعمون من لحم أنثى الحوت المملحة التي تقدم ذكرها<sup>(١)</sup> ، كما يتناولون لحم طير كبير المذاق الطعم ولحم أوز سمين ، وأن شرابهم فيها نبيذ معتق عصره الله في اليوم الثاني من الأيام التي خلق فيها العالم ، وأن النار اغير اليهود من المسلمين والمسيحيين ومن إليهم . - ويظهر أن بعض فرق غير شهيرة من فرق اليهود كانت تذهب في عقيدتها إلى ما يقرره التلمود في هذه الفقرات وكانت تفسرها بمدلولها الحقيقي لا بمدلولها المجازي . ويظهر أن القرآن يشير إلى هذه الفرق ويرد عليها إذ يقول: « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى » ( أى وقالت بعض فرق اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا وبعض فرق النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا ) « تلك أمانتهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وفي هذه الأمور جميعاً دليل آخر على أن أسفارهم هذه كلها من صنع أيديهم وعلى مبلغ الخلاف بين توراتهم المزعومة والتوراة الصحيحة التي أنزلها الله على موسى نوراً وهدى للناس .

(١) انظر صفحة ٢٨ .

(٢) آتفي ١١١ ، ١١٢ من سورة البقرة .

## الشرعية في أسفار اليهود

وقيامها على التفرقة العنصرية وعدم وحدتها واضطرابها

تضمنت أسفار العهد القديم والتلمود تنظيمًا كاملاً لشئون الدين والدنيا معاً . فلم تغادر أي ناحية من نواحي العبادات وشئون المعاملات والسياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء والتربية والأخلاق والحرب والعلاقات الدولية وواجبات الفرد نحو نفسه وأسرته ووطنه ... وما إلى ذلك ، لم تغادر أية ناحية من هذه النواحي وغيرها إلا وضعت لها حدوداً وقواعد وبيئت ما ينبغي أن تكون عليه ، وما يجب اتخاذه في حالة الخروج عليها ، حتى شئون الأكل والشرب ، والعلاقات الخاصة بين الرجل وزوجه ، والحبيض والنفاس والزراعة والحصاد واستخدام الأنعام في الحرث . غير أنه يلاحظ في هذه الشريعة كثيراً من مظاهر الانحراف والتضارب واختلاط المسائل :

(أولاً) أما انحرافها فيتمثل في قيامها على التفرقة العنصرية . وذلك أنها تجعل اليهود الشعب المختار الذي اصطفاه الله وفضله على العالمين ، وتنظر إلى ما عداه من الشعوب نظرتها إلى شعوب وضيعة في سلم الإنسانية ، وتضع قوانينها ونظمها على هذا الأساس ، فتفرق بين هؤلاء وأولئك أمام القانون وفي كثير من شئون الاجتماع . فن ذلك مثلاً أن الإسرائيليين محرم عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً وأن يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم ؛ على حين أنه مباح للإسرائيليين ، بل واجب عليهم غزو الشعوب الأخرى ، وخاصة شعب كنعان ، وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلد ما أن يضر بوارقاب جميع رجالها البالغين بحد السيف ، فلا يبقوا على أحد منهم ، ويسترقوا جميع نساءها وأطفالها، ويستولوا على جميع ما فيها

من مال وعقار ومتاع ، أو ينهبوه نهباً حسب تعبير أسفارهم<sup>(١)</sup> . — ومن ذلك أن الإسرائيلي إذا باع نفسه بيماً اختيارياً لأخيه الإسرائيلي في حالة عوزه وحاجته إلى المال ، فإن رقه يكون موقوتاً بأجل يرجع بعده إلى حريته ؛ على حين أن الرق المضروب على غير الإسرائيلي يظل أبداً الأبدى<sup>(٢)</sup> . — ومن ذلك أنه ما كان يجوز للإسرائيلي أن يتعامل بالربا مع أخيه الإسرائيلي ولا أن يأخذ منه رهناً بدينه ، وإذا أخذ منه في الصباح رهناً من اللئاع الذي لا يستغنى عنه في حياته اليومية كالرحا وما إليها وجب أن يرده إليه في المساء ؛ أما غير الإسرائيلي فبناح للإسرائيلي أن يمتصه ويتعامل معه بأشنع أنواع الربا الفاحش<sup>(٣)</sup> .

بل إن أسفارهم تقرر أن شعب كنعان قد كتب عليه في الأزل أن يكون رقيقاً ابني إسرائيل وأنه لا ينبغي أن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة ما في الحياة غير هذه الوظيفة ، فإن تمردوا عليها أو طمحوها إلى الحرية وجب على بني إسرائيل أن يردوهم إليها بحد السيف . وتقرر أسفارهم أن هذا الوضع قد فرض عليهم لدعوة دعاها نوح على كنعان ونسله . وذلك أن نوحاً حسب ما يزعمه سفر التكوين — قد شرب مرة نبيذ العنب الذي غرس كرمه بيده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصته المسكرة ، ففقد وعيه وانكشفت سواته ، فرآه ابنه حام على هذه الصورة فسخر منه ، وحمل الخبث إلى أخويه سام ويافت . ولكن هذين كانا أكثر أدباً منه ، فحملارداً وسارا به القهقري نحو أبيهما حتى لا يقع نظرها على عورته ، وسترا به ما انكشف من جسمه ، فلما أفاق نوح وبلغه ما كان من

(١) فقرتي ١٣ ، ١٤ من إصحاح ٢٠ من سفر التثنية .

(٢) فقرات ١٠ ، ٣٩ — ٤٧ ، إصحاح ٢٥ من سفر اللاويين ؛ فقرة ١٢ إصحاح ١٥

من التثنية ، فقرات ٢ ، ٧ — ١١ إصحاح ٢١ من الخروج .

(٣) فقرة ٣ إصحاح ١٥ وفترة ٢٠ إصحاح ٢٣ من التثنية .

موقف أولاده حياله ، لمن كنفمان بن حام ودعا على نسله أن يكونوا عبيداً لعبيد أولاد سام وياقت<sup>(١)</sup> .

(ثانياً) وأما عدم وحدتها فذلك أن أحكام أسفارها يتضارب بعضها مع بعض في كثير من الشئون . فقد يقرر سفر في حادث ما حكماً ويجيء سفر آخر فيقرر في الحادث نفسه حكماً آخر . فمن ذلك مثلاً أن سفرى الخروج والثنية يقرران أن الإسرائيلي الذى يبيع نفسه بيعاً اختيارياً لأخيه الأسرائيلى فى حالة عوزه وحاجته إلى المال لا يدوم رقه إلا ست سنين<sup>(٢)</sup> ، على حين أن سفر اللاويين يقرر أن رقه لا ينتهى إلا بحلول اليوبيل الإسرائيلى (وهو العيد الذى يجيء كل خمسين سنة) أيّاً كانت المدة التى قضاها فى الرق قبل ذلك<sup>(٣)</sup> ؛ فيمكن بحسب هذا السفر أن يدوم رقه خمسين سنة إلا يوماً أو أياماً إذا استرق عقب العيد الخمسينى مباشرة . — ومن ذلك أيضاً أن توراتهم المزعومة تبيح للإسرائيلى ، رجلاً كان أو امرأة ، أن يبيع نفسه لأخيه الإسرائيلى فى الحالة السابق ذكرها ؛ وفى ذلك يقول سفر الثنية : « إذا باعك نفسه أحد من إخوانك ، سواء أكان رجلاً أم امرأة ، فإنه يخدمك ست سنين ... »<sup>(٤)</sup> ، على حين أن أسفار التلمود لا تجيز ذلك إلا للرجل وحده<sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

وفى هذين المظهرين اللتين تتسم بهما شريعة اليهود دليل آخر على أن أسفارهم هذه من صنع أيديهم ، وعلى أن كل سفر منها يعكس التقاليد والنظم

(١) فقرات ٣٠ — ٢٩ مصحاح ٩ من التكوين .

(٢) فقرة ٢ مصحاح ٢١ من الخروج ، وفقرة ٢ مصحاح ١٥ من الثنية .

(٣) فقرة ٤٠ مصحاح ٢٥ من اللاويين .

(٤) فقرة ١٢ مصحاح ١٥ من سفر الثنية .

V. Mekhilta sur Exod XXI, 7 ; Maïmonide I.c.l, 2 ; Zadok Kahn : (٥)  
l'Esclavage dans la Bible et le Talmud.

( م ٣ — الأسفار المقدسة )

التي كانوا يسرون عليها في العصر الذي ألف فيه ، وعلى مبلغ الخلاف بين توراتهم المزعومة والتوراة الصحيحة التي أنزلها الله على موسى . فإن كتابا من عند الله لا تتضارب أحكامه بعضها مع بعض : « أفلا يتدبرون القرآن ؛ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، <sup>(١)</sup> ؛ وإن شريعة من عند الله لا تفرق التفرقة العنصرية بين أفراد الآدميين : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » <sup>(٢)</sup> ؛ « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحر ، إلا بالتقوى » <sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

(ثالثا) وبجانب هذين المظهرين يلاحظ أن بعض شرائع العهد القديم تحمل في طيها دليلا على اضطراب الحقائق في أذهان محرريها ، واختلاطها ببعضها ببعض ، ونسيانهم حظا كبيرا منها ، وغفاتهم عن أصولها . فمن ذلك مثلا ما يذكره سفر التثنية في صدد القسامة إذ يقول : « إذا وجد في بلد من البلاد التي منحكم ربكم السيطرة عليها رجل قتيل ملقاة جثته في وسط حقل ، ولم يمكن الاهتداء إلى معرفة قاتله ، فإن كبراءكم وقضاتكم يذهبون فيقيسون المسافات بين الجثة والبلاد القريبة منها ، وعندما يصلون إلى تعيين أقرب هذه البلاد مسافة إلى الجثة يستدعون كبراءها ويطلبون إليهم أن يحضروا عجلة (بقرة صغيرة) لم تستخدم بعد في عمل ما ولم تحمل بعد سكة الحراث (أى بقرة لإفراز ولا بكر عوان بين ذلك ؛ لا ذلول تنثير الأرض ولا تسقى الحرت) . ويذهبوا بها إلى جدول لا تجف مياهه وفي منطقة غير ذات زرع ولا بذور ملقاة

(١) آية ٨٢ من سورة النساء .

(٢) آية ١٣ من سورة الحجرات .

(٣) حديث شريف من خطبته عليه السلام في حجة الوداع .

«في الأرض ، وينحروها من قفاها ( مؤخرة عنقها ) في هذا الجدول ... وحينئذ  
يتقدم المشرفون على الضحايا من اللاويين ( قبيلة اللاويين هم أبناء لاوى أوليى  
أحد أبناء يعقوب كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ) وهم الذين اختارهم الرب  
لخدمته ولنشر البركة والرحمة باسمه ، وهم وحدهم الذين يحكمون في قضايا الجنائيات  
والجروح ، فيطلبون إلى كبراء هذه المدينة أن يفسلوا أيديهم فوق العجلة التي  
نحرت من قفاها في الجدول ، ويقسمون أن أيديهم لم ترق دم القتيل وأن أعينهم  
لم تره وهو يراق ( أى يحلفون أنهم ما قتلوه ولا علموا له قاتلا ) . . . وبذلك  
لا يحتمل بنو إسرائيل تبعه هذا الدم...»<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ أن الشريعة الإسلامية تقرر كذلك أنه إذا وجد قتيل لا يعلم قاتله  
أجريت القسامة على أهل البلدة التي وجد في طرفها أو بالقرب منها ، وأنه إذا  
وجدت جنته بين بلدين أجريت القسامة على أقربهما مسافة من مكان جنته .  
والقسامة في الإسلام أن يستحلف ولى الدم خمسين رجلا يتخيرهم من أهل البلدة  
فيحلفون أنهم ما قتلوه ولا علموا له قاتلا ، فحينئذ يسقط القصاص ، ولكن  
تجب الدية على أهل البلدة جميعا ، يدفعونها متضامنين لأسرتهم<sup>(٢)</sup>.

فإذا استعرضنا في ضوء هذه الحقائق ، ما ذكره سفر التثنية عن إجراءات  
القسامة ووازنا بينه وبين ما تقررره الشريعة الإسلامية في هذا الصدد ، يظهر  
لنا ما يلي :

١ - يتفق سفر التثنية مع الشريعة الإسلامية في إجراء القسامة على أقرب  
بلد إلى جثة القتيل وفي اختيار طائفة من أهل البلد ليحلفوا أنهم ما قتلوه ولا علموا  
له قاتلا حتى يسقط عنهم القصاص . - واتفق سفر التثنية مع الشريعة الإسلامية

(١) فقرات ١-٩ من إصحاح ٢١ من التثنية .

(٢) انظر تفاصيل أحكام القسامة في كتب الفقه الإسلامى وفي كتابنا عن « المسئولية  
والجزاء » الطبعة الثالثة ، صفحتى ٧٢ ، ٧٣ .



في هذه الأمور يجعلنا نرجح أن مجزى هذا السفر قد استمدوا هذه الأحكام في جملتها من توراتهم الصحيحة ، وأن الله تعالى قد شرع للمسلمين في صدها ما سبق أن شرع مثله أو قريباً منه لليهود ، أى أنها من الأمور المشتركة بين الشريعتين والتي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم إذ يقول : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى ... » (١)

٢ -- ولكننا نجد في سفر التثنية بجانب الأمور السابق ذكرها إجراء غريباً قد أقدم إقحاماً على إجراءات القسامة ، وهو الخاص بالمجلة التي يحضرها كبراء البلد وينحرونها من قفاها في جدول ، ويفسلون أيديهم فوقها مقسمين . أنهم لم يقتلوا القاتل ولم يعلوا له قاتلاً . ويزيد من غرابة هذا الإجراء أنه لا يصلح أن يكون حتى مجرد رمز للحقيقة التي يريد أهل البلد أن يقرروها وهي براءتهم من دم القاتل ، لأن غسل أيديهم في جدول ملوث بدماء المجلة التي نحروها بأيديهم وصب الماء فوق هذه المجلة كل ذلك لا يصلح أن يكون رمزاً لبراءتهم من جريمة القتل ، بل إنه خليق أن يكون رمزاً لافتراءهم إياها .

٣ -- وقد ورد لهذه البقرة ذكر في القرآن ، ولكن في صورة أخرى ، وفي حادثة قتل خاصة حدثت في عهد موسى ولم يعلم فاعلها ، وكانت البقرة عنصراً من معجزة أظهرها الله على يديه . وبيان ذلك ما ذكره الله تعالى في سورة البقرة إذ يقول : « وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تدبحوا بقرة ؛ قالوا أتتخذنا هزواً؟! قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك . يبين لنا ما هي ؛ قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك يئ فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ؛ قال إنه يقول إنها بقرة »

حصفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؛ إن البقر تشابه علينا ؛ وإنا إن شاء الله لمهتدون . قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تدير الأرض ولا تسقى الحرث ، مسلاة لاشية فيها ؛ قالوا الآن جئت بالحق ؛ فذبحوها وما كادوا يفعلون . وإذا قتلتم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقتلنا اضربوه ببعضها ؛ كذلك يحيى الله الموتى ويريك آياته لعلمكم تعقلون » .

وأشهر تفسير من تفاسير هذه الآيات وأصحها جميعاً أنه قد وقعت في عهد موسى عليه السلام حادثة قتل لم يعلم فاعلمها ، فطلب بنو إسرائيل إلى موسى أن يهدوهم به أن ينبتهم بمن ارتكب هذا الجرم . فقال لهم موسى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . فمجبوا لذلك إذ لم تظهر لهم علاقة بين ذبح البقرة والكشف عن المقاتل ، وظنوا أن موسى يهزأ بهم . ولكن موسى بيّن لهم أن هذا هو ما أمر الله به لإظهار الحق في هذا الحادث ، فأخذوا يستفسرون منه عن سن البقرة التي ينبغي أن يذبحوها وعن لونها وعن عملها . فلما شرح لهم ذلك كله بوحي من الله سبحانه حتى وجدوا بقرة تتوافر فيها هذه الصفات جميعاً فذبحوها . وأوحى الله إلى موسى أن يضربوا جثة القتيل بجزء من هذه البقرة ، فضربوها به ، فاحياه الله تعالى وذكّرهم اسم قاتله ، ثم مات ثانياً . فكان في ذلك معجزة لموسى من جهة ، وبيان حسي من جهة أخرى لقدرة الله تعالى على إحياء الموتى وهو الأمر الذي كان يرتاب فيه بنو إسرائيل . ولذلك يختم الله تعالى هذه القصة بقوله : « كذلك يحيى الله الموتى ويريك آياته لعلمكم تعقلون » . وفيه كذلك إشارة إلى أن بعث الله تعالى الحياة في ميت لا يتوقف على سبب من الأسباب التي تدرکہا عقولهم ، وإنما أمر الله إذا أراد ذلك أن يقول له كن فيكون ، فيحدث بدون سبب ما أو يحيى . عقب أمر لا يتصور العقل أن يكون سبباً له ؛ وذلك أن العقل لا يتصور أن يضرب جثة الميت بجزء من جثة ميت آخر يمكن أن يكون سبباً للبعث الحياة فيه .

٤ - ويلاحظ أن أوصاف البقرة التي ذكرها الله في هذه المعجزة تتفق في جملتها مع أوصاف العجلة التي ذكرها سفر التثنية في إجراءات القسامة ، وأن ذبح البقرة التي يذكرها القرآن كان في حادث قتل معين لم يعلم مقترفه ، وذبح العجلة التي يذكرها سفر التثنية يجب إجراؤه ، بحسب نصوصه ، كما وجد قبيل لم يعرف قاتله .

٥ - فيظهر أن الأمر قد اختلط على محزري سفر التثنية فخطوا بين ما جاء في التوراة أو في أثر آخر من آثارهم خاصاً بالمعجزة التي حدثت على يد موسى وما جاء فيها خاصاً بإجراءات القسامة العادية ، وجعلوا ذبح العجلة جزءاً من هذه الإجراءات ، مع أنه غريب عنها كل الغرابة ، ولا يصلح أن يكون حتى مجرد رمز للحقيقة التي يراد تقريرها ؛ بل إنه لتخليق أن يكون رمزاً لتقيضها كما أشرناه إلى ذلك فيما سبق .

وصدق الله العظيم إذ يقول في صدد اليهود : « فيما نقضهم ميثاقهم لعنهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به » (١) .

### القصص في أسفار اليهود

والفرق بينه وبين قصص القرآن الكريم

عرضت أسفار اليهود لتاريخ العالم من يوم نشأته إلى قبيل بعثة المسيح - فتكلمت بإجمال على خلق السماوات والأرض وخلق آدم وحواء وتاريخهما في الجنة وبعد هبوطهما منها وما حدث لئسهما بعد ذلك ، وقصة نوح والطوفان ،

(١) آية ١٣ من سورة المائدة .

وقصة أولاده الثلاثة سام وحام ويافث ، وعرضت بشيء من التفصيل لتاريخ نسل سام ، وهم الذين ينتمى إليهم بقول إسرائيل ، وخاصة تاريخ إبراهيم واسحاق ويعقوب أو إسرائيل ، ثم تناولت بتفصيل كبير تاريخ بني إسرائيل في مختلف مراحل حياتهم في مصر وسيناء وبعد استقرارهم في الأرض المقدسة ، وتاريخ من تولى شؤونهم الدينية والسياسية من قضاة وملوك ولاويين وأحبار ورجال دين ، ومن بعث فيهم من رسل وأنبياء ، وعلاقاتهم بالشعوب الأخرى ، وما جرى بينهم وبين هذه الشعوب من اشتباكات وحروب أو موادة ووفاق... وهلم جرا. — وقد استغرق هذا القصص أكبر قسم من أسفار العهد القديم وقسماً غير يسير من أسفار التلمود نفسها .

وقد عرض القرآن لكثير من القصص التي ورد ذكرها في هذه الأسفار . غير أن أسفار اليهود قد تناوت كل قصة من هذه القصص في صورة مسلسلة كاملة الأجزاء مترابطة الحوادث كما تفعل كتب التاريخ ، وتناولتها لغرض تاريخي بحت ؛ على حين أن القرآن يكتفى بذكر مواقف من هذه القصص ، ولا يذكرها للتاريخ في ذاته ، وإنما يذكرها على الأخص للعظة والذكرى ، ويذكرها بحسب المناسبات . فقد يذكر موقفاً من قصة ما لمناسبة خاصة ثم يذكر موقفاً آخر من القصة نفسها في سورة أخرى لمناسبة أخرى ، وموقفاً ثالثاً من القصة نفسها في سورة ثالثة . . . وهكذا . وقد يعرض لعدة مواقف من قصة واحدة في سورة واحدة ويفصل بين كل موقف وآخر بفواصل طويلة أو قصيرة . وقد يكرر للموقف نفسه في عدة سور لتكرار المناسبة ؛ ولكن في لوحات بيانية مختلفة في صياغتها وألوان مناظرها ومتسقة مع ما يكتنفها من قبلها ومن بعدها من آى الذكر الحكيم .

هذا ، وقد انتاب القصص في أسفار اليهود تحريف كبير عن الوضع الصحيح الذي ورد في القرآن . ويبدو تحريفها هذا في مواطن كثيرة يرجع أهمها إلى ما يلي :

١ — أن الذات العلية تبدو في أسفار توراتهم المزعومة ، وبخاصة في القديم منها كسفر التكوين ، وفي بعض أسفار التلمود ، صورة مجسمة متصفة بكثير من صفات الحوادث ، بل بكثير من صفات النقص ، وغير مختلفة اختلافاً كبيراً عن الخلق في طبيعتها ومسلكها ، على النحو الذي يبيناه في الفقرة العاشرة من هذا الفصل .

٢ — أن بعض من يذكر لنا القرآن أنهم رسل أو أنبياء تذكروهم أسفار اليهود على أنهم مجرد آباء قدامى Patriarches كإبراهيم وإسحاق ويعقوب أو على أنهم مجرد ملوك كداود وسليمان .

٣ — أن أسفارهم تنسب لبعض الأنبياء ، أو لبعض من تسميهم آباء لبني إسرائيل أو ملوكاً لدولهم ، أعمالاً قبيحة تتنافى مع وضعهم الديني والاجتماعي ، بل تتعارض مع الخلق الكريم في ذاته ، ولا يتصور صدورها إلا من سفلة الناس .

فمن ذلك مثلاً ما تقصه توراتهم للزعومة عن إبراهيم حينما هاجر هو وزوجه سارة إلى مصر على أثر ما أصاب بلاده من جذب ومجاعة ، إذ تذكر أن إبراهيم قال لزوجه وهما في طريقهما إلى مصر إنها امرأة جميلة وإن المصريين لا بد أن يفتنوا بها ، وإذا علموا أنها متزوجة فسيفتلون زوجها لتخلص لهم بعد ذلك ، واتفق معها على أن يتظاهرا بأنها أخته حتى تسلم له حياته ، بل يفاله حينئذ من المصريين خير كثير . ولما وصلا إلى مصر ، ووقع نظر طائفة من كبار رجال الحاشية للملكية على هذه المرأة الجميلة وعلموا من إبراهيم أنها ليست متزوجة وأنها أخته ،

وأهوا أوصافها إلى فرعون ، استدعاها إلى قصره وأخذها من نسائه ، وبالغ في إكرام إبراهيم والحفاوة به والإحسان إليه من أجل ذلك ، ووهب له قطعاناً « من الغنم والثيران والحمير » وعدداً من العبيد والإماء . ولكن أصيب الملك وحاشيته عقب ذلك بوباء مما تصاب به الجموعة عادة إذا ارتكبت فيهم فاحشة من هذا القبيل . فاستدعى الملك إبراهيم وأنبه تأنيباً شديداً لكذبه في قرابة سارة منه وما ترتب على كذبه هذا من معاملته لها كأحدى نسائه مع أنها في عصمة رجل آخر ، وما أصابه هو وقومه من جراء ذلك من وباء ، ثم أصدر أوامره بطرده هو وامراته من بلاده . — ولكن تحقق لإبراهيم ما كان يبغيه من عافية ومال : فقد سلمت له حياته ؛ وسمح له فرعون بأن يحمل معه جميع ما سبق أن وهبه له من أنعام وعبيد وإماء <sup>(١)</sup> . — وقد كرر إبراهيم فعلته هذه — حسب ما يزعمه سفر التكوين — حينما هاجر إلى منطقة جيران ، وكاد أبو ملك Abimelec حاكم جيران يرتكب الإثم مع سارة لولا أن أظهره الله في المنام على حقيقتها وأنها امرأة إبراهيم لا أخته وعاتبه على كذبه ، ونفحه كذلك بهبة من النجاج والثيران والعبيد والإماء <sup>(٢)</sup> . — فكأنما كان إبراهيم يتاجر بامراته هذه متنقلاً بهامن بلد إلى بلد .

ومن ذلك أيضاً ما تقصه توراتهم المزعومة عن لوط وابنتيه ، إذ تذكر أنه لم ينج من أهل قريتي سودوم وجوموره اللتين دمرهما الله تعالى لما كان يرتكبه أهلهما من إتيان الذكران إلا لوط وابنتاه ، وقد أقام ثلاثهم عقب ذلك في غار في جبل مرتفع ، وحينئذ قالت كبراهما لصغراهما : « إن أبا ناقد أصبح شيخاً كبيراً وليس في هذا المكان القفر رجال يتصلون بنا على النحو الذي يفعله ذكور الناس مع إناثهم . وإذا بقي الأمر على هذه الحال فسيمقرض نسل أبنينا بعد وفاته

(١) فقرات ١٠ — ٢٠ من الإصحاح ١٢ من سفر التكوين .

(٢) إصحاح ٢٠ من سفر التكوين .

ووفاتنا . وخير وسيلة لاتقاء هذه العاقبة هي أن نسقى أبانا خمرأ حتى يفقد وعيه ويتصل بنا فنأتي منه بذرية تخلق نسله « وأنفذنا ما اتفقنا عليه . وقضت معه الكبرى الليلة الأولى والصغرى الليلة التالية ، وواقع لوط . كاتيهما ، وهو في نشوة سكره ، فحملتا منه ، وجاءت الكبرى بفلام اسمه مؤاب ، وجاءت الصغرى بفلام اسمه عمون ، ومن هذين الغلامين تفرع شعبان كبيران هما شعب المؤابيين وشعب العمونيين (١) .

ومن ذلك أيضاً ما يقصه السفر الثاني من سفرى صموئيل عن داود عليه السلام إذ يذكر أن داود كان يمشى في صباح يوم على سطح قصره الملكي ، فوق بصره في المنزل المجاور له على امرأة مفرطة الجمال وهي تستحم متجردة من جميع ثيابها ، فشف بها حياً ، وسأل عنها ، فأخبر أنها زوجة أوريا الحثي Urie le Héthien ، أحد الجنود المرسلين في حملة حربية تحت قيادة يواب Joab فبعث داود في طلبها ، فجيء بها إليه . وبعد أن قضى منها وطره عادت إلى منزلها وقد حملت منه ، فعملت على أن يقف داود على خبر حملها منه . فاستدعى داود زوجها من الجيش وأخذ يسأله عن حالة الحملة وقائدها وأعمالها ، ونفحه بيمض الهدايا ، وطلب إليه أن يذهب إلى منزله ليستريح هذه الليلة . وكان داود يرمى من وراء ذلك أن يقرب الرجل زوجته ، فينسب حملها إليه ؛ ولاتعلق بدادود أية شبهة . ولكن الرجل أبت عليه شهامته ووطنيته أن ينعم بالراحة واللذة في بيته بينما جيش بلاده مشتبك في معركة مع الأعداء . فلم يذهب إلى بيته وإنما قضى ليلته نائماً مع خدم القصر الملكي . ولما علم داود بذلك استدعاه مرة ثانية وسأله عن سبب إحجامه عن الذهاب لبيته ، فأجابته بأن نفسه لم تطاوعه بأن ينام في بيته وجيشه يحارب في خارج بلاده : فطلب إليه أن يبقى يوماً آخر ، ودعاه إلى الطعام والشراب ،

(١) فقرات ٣٠ - ٣٩ من الإصحاح ١٩ من سفر التكوين .

وحرص على أن يسكره حتى يفقد وعيه ويذهب إلى زوجه . ولكن أوريا لم يفقد رشده . فقضى ليلته هذه كما قضى ليلته السابقة نائماً مع خادم داود في القصر الملكي . ولما ضاق داود به ذرعاً ، ولم تفلح معه حيلته ، أمر برجوعه إلى الجبهة ، وأرسل إلى يئوب قائد جيشه أن يضع أوريا في أخطر منطقة في ميدان القتال وأن يتخلى عنه حتى يقتل . فصعد يئوب بالأمر ، وقتل أوريا في الميدان . وحينئذ أتىح لداود أن يضم زوجته إلى نسائه بعد أن انقضى حدادها على زوجها ، ووضعت حملها وهي في عصمة داود، وخفي بذلك على جميع الناس ما ارتكبه داود من جرائم خسيصة، إذ زنى بامرأة متزوجة وعمل على قتل زوجها الشجاع وهو يذود عن حياض بلاده ، مع أنه كانت له زوجات وجوار كثيرات . فأرسل الله إليه ناثان Nathan وقص عليه قصة رجلين يملك أحدهما قطعاً كبيرة العدد من الأبقار والنعاج ، بينما لا يملك الآخر إلا نعجة واحدة . وفي أحد الأيام قدم ضيف على الغني ، فمدّ يده إلى نعجة الفقير واغتصبها منه وذبحها لضيفه . فغضب داود من فعلة هذا الغني ؛ وقال لناثان إن هذا الرجل يستحق الموت . فقال له ناثان إنك أنت نفسك هذا الرجل . وأخذ يؤنبه ويتوعده بما سيحقيق به وبأهله من عذاب ونكال . فاعترف داود بذنبه ، واستغفر ربه ، وتاب إليه ، فغفر له . . . إلى آخر ماورد في هذا السفر (١) .

والقصة على هذا الوضع محض افتراء ولا يتصور صدور قائمها من رجل عادي ذي خلق ، فضلاً عن نبي كريم .

ومن ثم أخطأ بعض المفسرين خطأ كبيراً ، إذ فسروا ما جاء في القرآن الكريم في سورة ص (٢) عن داود والخصمين اللذين اختصما إليه على النحو

(١) الإصحاحين ١١ ، ١٢ من السفر الثاني من سفرى صموئيل .

(٢) آيات ٢١ — ٢٥ من سورة ص .



الذى ورد في سفر صموئيل ، مع أن العبارات التي ذكرت بها القصة في القرآن الكريم لا تدل صراحة على شيء من ذلك . ولذلك كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : « من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين جلدة » ، يقصد بذلك أن من يتحدث هذا الحديث فإنه يرتكب جريمة القذف . وحديث القذف العادي في الإسلام ثمانون جلدة ؛ ولكن إذا تناول القذف نبيا كريما كان مرتكبه خليقا بأن يضاعف له هذا الحد ضعفين .

بل لقد أورد سفر الخروج ، وهو أحد أسفار توراتهم المزعومة ، قصة عبادة بنى إسرائيل للعجل الذهبي في صورة غريبة تدل على أن محررى هذه الأسفار لا يعرفون لأنبياهم حرمة ، ولا يرجون لهم وقارا ، ولا يتورعون عن أن ينسبوا إليهم أية نقيصة ، حتى خيانة الرسالة نفسها التي بعثوا من أجلها ، ودفع قومهم إلى الشرك بالله . فقد نسب هذا السفر إلى هارون نفسه عليه السلام أنه قد يسر لبني إسرائيل سبيل الشرك ، ودفعهم إلى الوثنية وعبادة الحيوان والأصنام ، فصنع لهم بيديه في سيناء عجلا من ذهب ليعبدوه من دون الله . فذكر في إصحاحه الثاني والثلاثين أن موسى لما غادر قومه لتلقى الألواح من ربه ، وطال أمد غيابه عنهم ، طلبوا إلى هارون أن يصنع لهم إلهة تدركه أبصارهم ، لأنهم لا يعلمون ما انتهى إليه أمر موسى ، ولا يدركون الإله الذي يحدثهم عنه . فطلب إليهم هارون أن يحضروا إليه جميع أقراط الذهب المدلاة من آذان نسائهم وبناتهم وبنيتهم ؛ فجمعوا هذه الخلى ، فصهرها بنفسه ، وصنع منها عجلا ذهبيا ليتخذوه إلهة ، فخر بنو إسرائيل سجدا له ، وقدموا له القرابين ، وقالوا هذا إله إسرائيل الذي أخرجهم من مصر وأقذمهم من شقائهم<sup>(١)</sup> .

(١) إصحاح ٣٢ من سفر الخروج .

وقد أشار القرآن الكريم إلى قصة هذا العجل إشارة مجملّة في عدة آيات منها قوله تعالى : « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا ، وأشربوا في قلوبهم العمل بكفرهم ، قل بلئسا يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين » (١) . وذكر القرآن تفاصيل هذه القصة في سورتي الأعراف وطه مبيّنا كذب ما نسبته محررو سفر الخروج إلى هارون ، فقرر أن الذي قام بصنع هذا العجل وأغراهم بعبادته وفتنهم عن دينهم في أثناء غياب موسى لتلقى الألواح من ربه رجل سامري ، أي منسوب إلى طائفة يقال لها السامرة ، وهي جماعة من غير بني إسرائيل اعتنقت اليهودية وامتزجت بالإسرائيليين ، وكان الإسرائيليون ينظرون إلى أفرادها على أنهم أخط منهم كثيرا قدرا ومنزلة . أو يرجع أصله إلى إقليم السامرة ، وهو أحد أقاليم فلسطين ، وأن هارون لم يأل جهدا في نهيمهم عن ضلالهم والعمل على رجسهم إلى دينهم الحق ، ولكنهم لم يستمعوا إليه ، وأن كل ما أخذه موسى على هارون أنه لم يتركهم ويلحق به ليلغمه ما اتهموا إليه ، أو لم يقا تلهم بمن عسى أن يكون معه ، وأن هارون قد برر موقفه بأنه خشي إذا فعل ذلك أن يفرق بين بني إسرائيل ويضرب بعضهم ببعض ؛ وذلك إذ يقول في سورة طه : « فكذلك ألقى السامري . فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار » ( أي من الخلى التي أشار إليها في الآية السابقة ، وهي الخلى التي أهداها إليهم المصريون قبل خروجهم والتي اختلسوها منهم ، وقد صهرها السامري على صورة عجل بداخل فمه تجاوبف إذا مر فيها الهواء أحدث صوتا كصوت الخوار ) « فقالوا هذا الإلهكم وإلاه موسى فنسى . أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا . ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن ، فاتبعوني وأطيعوا أمرى . قالوا لن

(١) آيتي ٩٢ ، ٩٣ من سورة البقرة .

نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى . قال يا هرون ما منعك اذا رأيتهم ضلوا ألا تتبعن !؟ « (أى أن تتركهم وتلتحق بى لتنهى إلى أمرهم ، أو أن تقاتلهم بمن عسى أن يكون معك ) « أفصيت أمرى ؟! قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ؛ إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى (١) ؟! » ؛ وإذ يقول فى سورة الأعراف : « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً ؟! اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحننا ربنا ويفغر لنا لنكونن من الخاسرين . ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى ، أعتلتم أمر ربكم ؟! ، وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه ؛ قال ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى ؛ فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين . قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك ، وأنت أرحم الراحمين . إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزي المقترين » (٢) .

وأما قصة طلبهم من نبينهم أن يجعل لهم إلهاً يحسونه ، والتي ذكرها سفر الخروج فى حادث العجل زاعماً أنهم قد طلبوا ذلك إلى هرون ، وأن هارون قد أذعن لرغبتهم الآئمة ، فقد ذكرها القرآن الكريم على وجهها الصحيح ، فقرر أن الطلب كان موجهاً إلى موسى نفسه لا إلى هرون ، وأن موسى قد نهىهم وبين لهم ضلالهم وسخافة تفكيرهم وسوء فهمهم لذات الإلاه ، وذلك إذ يقول : « وجاوزنا ببني إسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا

(١) آيات ٨٣ - ٩٨ من سورة طه .

(٢) آيات ١٤٨ - ١٥٢ من سورة الأعراف .

يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة؛ قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون. قال أغبر الله أبنياكم إلهًا ، وهو فضلكم على العالمين؟! « (١).

٤ — أن التحريف قد يتناول قصة ما لتبرير وضع اجتماعي أو سياسي ظالم سار عليه بنو إسرائيل في مرحلة ما من مراحل تاريخهم .

فمن ذلك أن قصة نوح مع ابنه التي حدثنا عنها القرآن إذ يقول : « ونادى نوح ابنه ، وكان في معزل ، يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سأوى إلى جبل يعصمني من الماء ؛ قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ؛ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين (٢) » ، قد حرّفتها سفر التكوين تحريفًا كبيرًا إذ يذكر أن حامًا بن نوح قد رأى أباه وهو سكران مكشوف العورة ، فسخر منه ، فلما أفاق نوح من سكره ، وعلم ما كان من ابنه حام ، دعا على ذريته وهم الكنعانيون بأن يكونوا عبيدًا لعبيد أبناء ولديه الآخرين سام وياث (٣) . — ويقصد الذين حرّفوا هذه القصة إلى هذا الوضع الغريب ، كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق ، أن يبرروا الأوضاع الشاذة الظالمة التي كان يسير عليها بنو إسرائيل حيال الكنعانيين إذ يقتلون رجالهم ويسبون نساءهم وأطفالهم ويتخذون منهم عبيدًا وإماء ، زاعمين أنهم بذلك يحققون دعوة نوح عليهم ويرجعونهم إلى الوضع الذي كتب عليهم في الأزل أن يكونوا عليه .

\* \* \*

ومن أسف أنه مع هذا الخلاف الجوهري الكبير بين قصص القرآت

(١) آيات ١٣٨ — ١٤٠ من سورة الأعراف .

(٢) آيتي ٤٢ ، ٤٣ من سورة هود .

(٣) فقرات ٢٠ — ٢٩ لصاح ٩ من سفر التكوين . وقد ذكرنا هذه القصة

بتفصيل في الفقرة الحادية عشرة من هذا الفصل لبيان أن شريعتهم تقوم على التفرقة العنصرية .

وقصص أسفارهم وتوراتهم المزعومة ، وبين نورالحق فيما جاء به الكتاب الكريم وظلمات الباطل والزيف والتحريف فيما جاءت به أسفارهم ، لا ينفك كثير من المستشرقين ومن يدور في فلكهم يزعمون أن محمداً قد نقل قصصه من قصص اليهود : « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذبا » ، وصدق الله العظيم إذ يقول لرسوله : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكري للمؤمنين<sup>(١)</sup> » ؛ وإذ يقول : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثاً يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون<sup>(٢)</sup> .

— ١٣ —

فرق اليهود

انقسم اليهود إلى فرق كثيرة تدعى كل فرقة منها أنها أمثل طريقة وأشد تمسكا بأصول الدين اليهودي وبأسفاره من الفرق الأخرى . وقد بقي من هذه الفرق في العصور الأخيرة السابقة للميلاد ثلاث فرق : فرقة «الصادوقيين Saducéens» ؛ وفرقة «الفريسيين Pharisians» ؛ وفرقة «الحسديين» (من كلمة «حسدديم» العبرية بمعنى المشفقين ، وقد يطلق عليهم اسم «الإسينيين» أو «الآزينيين» Esseniens). والفرقتان الأوليان فرقتان قديمتان ، والخلاف بينهما خلاف يسير يتعلق بتفاصيل ليست ذات بال ، كخلافهما في البعث ، إذ تعتقد فرقة الفريسيين أن الصالحين من الأمم سينشرون في هذه الأرض ليشاركوا في ملك المسيح الذي سيأتي لينقذ الناس ويدخلهم في ديانة موسى ، بينما ينكر الصادوقيون قيامة الأمم ويعتقدون أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنما يحصلان في حياتهم . فكلتا

(١) آية ١٢٠ من سورة هود .

(٢) آية ١١١ من سورة يوسف .

الفرقتين تنكر إذن اليوم الآخر على النحو الذي يقرره الإسلام ، والخلاف بينهما في هذا الصدد إنما هو في بعث يحدث في الحياة الدنيا .

وأما الفرقة الثالثة وهي فرقة الحسدیین ، فهي فرقة حديثة لم تظهر إلا حوالي القرن الثاني قبل الميلاد ، وهي تختلف عن بقية فرق اليهود اختلافاً جوهرياً في عقائدها وعباداتها ونظمها وتقاليدها .

فمن أهم ما يمتاز به عن بقية فرق اليهود فيما يتعلق بالعبادات أنها تحرم الأضحية والقرايين ؛ مع أن الأضحية والقرايين كانت تعتبر عند الفرق الأخرى من أهم العبادات ، وقد خصص لها قسم كبير من سفر من أسفار توراتهم للزعومة وهو سفر اللاويين .

ومن أهم ما يمتاز به فيما يتعلق بالشرائع والنظم الإنسانية العامة أنها تنكر التفرقة العنصرية وتفقر مبدأ المساواة بين الناس في القيمة الإنسانية المشتركة ، وتحصر على التعايش السلمي بين جميع الشعوب ؛ فمن مبادئها العمل على إلغاء الحروب وأن يعيش العالم في سلام دائم ، ومجانبة الإضرار بالخلق وعدم إيذاء أى إنسان حتى لو كان ذلك لتربيته وتعويده الامتثال والطاعة ، ومراعاة الصدق والأمانة والوفاء بالمعهد حيال جميع الناس سواء في ذلك الإسرائيليين منهم وغير الإسرائيليين ، وتحريم طرائق الكسب غير المشروع وابتزاز الناس واستغلال عوزهم وحاجتهم سواء في التعامل مع اليهودى أو غير اليهودى ؛ وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التي كانت نظمها تقوم على التفرقة العنصرية وتبيح لأفرادها في علاقاتهم ومعاملاتهم مع غير اليهود ما لا يبيحه في علاقاتهم ومعاملاتهم بعضهم مع بعض كما تقدم بيان ذلك<sup>(١)</sup> .

ومن أهم ما يمتاز به فيما يتعلق بمبادئ الحرية أنها تحرم نظام الرق ، وتحظر

(١) انظر الفقرة ١١ من هذا الفصل .

أن يملك الإنسان أخاه الإنسان وأن يحرم أى فرد من حريته . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت نظمها تقوم على الرق . وقد خصص للرق وأحكامه حيز كبير فى أسفارهم<sup>(١)</sup> .

ومن أهم ما يمتاز به فيما يتعلق بنظام الملكية أنها تحرم الملكية الفردية . وتوجب أن تكون جميع الملكيات ملكيات جماعية . وقد طبقت مبادئها هذه على أفرادها الذين اعتزلوا المجتمع الإسرائيلى ، وعاشوا جماعات حول شواطئ البحر الميت . فقد ألغوا فيما بينهم نظام الملكية الفردية ، وجعلوا جميع ما تحت أيديهم من أرض ومنقول وملابس وأطعمة ومتاع ملكا جماعيا شائما يحفظ ما يزيد منه عن الحاجة العاجلة فى مخازن عامة ، ويشرف على شئون إدارته وتوزيعه حراس يختارون من بينهم بطريق الانتخاب العام المباشر ، ويتفرغون كل التفرغ لأعمال وظيفتهم هذه . وحتى المنازل نفسها اعتبروها ملكا جماعيا ، وتركوها فى كل قرية من قرأهم مفتحة الأبواب لكل رفيق من جماعتهم ، سواء أكان من أهل القرية أم قادما من خارجها . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت تميز الملكية الفردية الخاصة وتحيطها بسياج من الحماية ؛ وقد خصص لأحكام الملكية الفردية وطرق انتقالها وحقوقها وواجبها حيز كبير فى أسفارهم<sup>(٢)</sup> .

ومن أهم ما يمتاز به فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادى أنها تحرم الاشتغال بالتجارة لماتبعتها فى النفوس من جشع وحرص على جمع المال وجنوح إلى ابتزاز الناس ، كما تحرم صناعة الأسلحة والذخيرة وسائر آلات الحرب لتنافر الغاية التى تقصد من هذه الصناعات مع أهم مبادئهم وهو أن يعيش الناس فى سلام دائم ، وتحرم استخدام الذهب والفضة والتعامل بهما ، لما يبعثانه فى النفوس من زهو وما يميلان عليه من جشع وشح . ولذلك اقتصرت أعمالهم على الزراعة والصيد وما يحتاجان إليه ويتصل

(١) انظر فى ذلك كتابى عن « قصة الملكية فى العالم » ، الطبعة الثانية ، صفحات

سبهما من صناعات. وهى فى ذلك تختلف اختلافا جوهريا عن سائر فرق اليهود، فقد كان من أهم مظاهر النشاط الاقتصادى لهذه الفرق شئون التجارة وصناعة السلاح والتعامل بالذهب والفضة، بل لقد كانت هذه الفرق تنظر إلى هذين الملمدين نظرة تقرب من التقديس.

ومن أهم ما يمتاز به فيما يتعلق بنظام الأسرة أنها تحرم الزواج وتوجب التبطل والبعث عن النساء. وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت ترى أن الزواج واجب دينى لسكل قادر عليه وأن من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه لا يقل جرمه عن جرم القاتل، لأن كليهما، على حد تعبيرهم، « يطفىء نور الله، وينتقص ظله فى أرضه، ويبعد رحته عن إسرائيل »؛ بل لقد رأى بعض حقهم أنهم أن من يبلغ العشرين وهو أعزب يجوز للقضاء أن يرغمه على الزواج (١).

ومن أهم ما يمتاز به فيما يتعلق بالحياة الفردية أنها تحارب الترف والحياة الناعمة وتدعو إلى الزهد والتقشف والبعث عن جميع متع الجسم وتنظر إلى هذه المتع على أنها شرور.

ومن هذا يظهر أن هذه الفرقة تخالف فى معظم ما تذهب إليه تعاليم العهد القديم والتلمود، على الرغم من أنها تعتبر نفسها ويعتبرها المؤرخون من فرق اليهود. والحقيقة أنه لا يربطها ببقية فرق اليهود إلا رابطة الجنس، لأن أفرادها كانوا من بنى إسرائيل.

ولم تمر هذه الفرقة طويلا، فقد انقرضت فى أواخر القرن الأول الميلادى، أى أنها لم تعيش إلا نحو قرنين أو ثلاثة قرون.

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن يوحنا المعمدان (وهو سيدنا يحيى بن زكريا

(١) انظر فى ذلك كتابنا « قصة الزواج والعزوبة فى العالم » صفحات ٦، ٧، ٥٥.



عليهما السلام) كان من هذه الفرقة. ولكن لم يقدم أصحاب هذا الرأي بين يديه  
دليلا يعتد به.

\* \* \*

هذا ، وقد ظهر حوالى القرن الثامن بعد الميلاد فرقة جديدة من اليهود سميت  
نفسها فرقة «اليهود القرآنيين» وامتازت عن غيرها من الفرق بتمسكها بما جاء في  
التوراة وحدها، وعدم اعترافها بأحكام التلمود وتعاليم الحاخامات ، وعدم اعتبارها  
هذه الأحكام وهذه التعاليم من أصول الشريعة . وقد أسس هذه الفرقة دلوته  
عنان ، وهو أحد علماء اليهود في بغداد .

---

## الفصل الثاني

### أسفار الديانة المسيحية

ستمهد لموضوع هذا الفصل بفقرتين : نعرض في أولاها لمن يطلق عليهم اسم « الحواريين » أو « الرسل » les apôtres ، وهم الذين ينسب إليهم قسم كبير من أسفار « العهد الجديد » وهى الأسفار المقدسة عند المسيحيين ؛ وفى الثانية لمن يطلق عليهم اسم التلاميذ les Disciples والتابعين ، وهم الذين يلون الحواريين فى منزلتهم ، وإليهم ينسب كذلك بعض أسفار العهد الجديد .

ثم نقف الفقرات التالية على التعريف بهذه الأسفار ، مع تحقيقات تتعلق بتأليفها ، وتاريخها ، واللغات التى ألفت بها والتى ترجمت إليها ، وما تشتمل عليه من عقيدة وشريعة وقصص ، ومبلغ الصحة فى نسبتها إلى أصحابها ، والأسفار الأخرى غير المعتمدة عند المسيحيين ، والفرق المسيحية وما بينها من خلاف وصلة ذلك بالأسفار ، وموقف الإسلام من جميع هذه الأمور .

— ١ —

#### الحواريون أو الرسل Les Apôtres

بحسب ما تزويه أسفار الديانة المسيحية

تروى أسفار الديانة المسيحية بشأن الحواريين ما يلى :

اختار المسيح من بين السابقين الأولين من أتباعه ومن أكثرهم ملازمة له اثنتى عشر رجلا كانوا تبليغ رسالته إلى الخلق ، ومن ثم أطلق عليهم اسم الرسل les Apôtres ، وهم : بطرس كبير الحواريين وأخوه أندراوس ويوحنا

وأخوه يعقوب الكبير ابنا زبدي ويعقوب الضعيف ابن حلفي وأخوه يهوذا ومثي  
وتوماس وفيليبس وبرثولماوس وسلمان النسيط أو النيور ويهوذا الإسخريوطي -

Pierre et son frère André, Jean et son frère Jacques le  
majeur fils de Zébédée, Jacques le mineur fils d'Alphée et  
son frère Jude, Mathieu, Thomas, Phillipe, Barthélemy,  
Simon le zélé, Juda l'Isariote.

وقد ظل هؤلاء مخلصين لرسالتهم ، صادقين ما عاهدوا المسيح عليه ، ما عدله  
يهوذا الإسخريوطي فإنه قد خان المسيح وأرشد الفريسيين والرومان إلى مقره  
وسهل لهم صلبه وتقاضى منهم أجراً على ذلك . وقد جوزى على فعلته هذه بأن  
مات شرميتة ونشر دمه ونشرت أعضائه في مساحة واسعة من الأرض سميت لذلك  
« حقل الدماء » .

وحينئذ اجتمع نحو مائة وعشرين من كبار المسيحيين تحت رئاسة بطرس  
كبير الحواريين ووقع اختيارهم على اثنين يكمل أحدهما عدة الحواريين الاثنى  
عشر وهما يوسف برساباس الملقب جوستوس ومثياس Barsabbas appelé Justus et  
Mthias ثم ضربوا القرعة بينهما فخرج سهم مثياس ، فاختير حواريًا مكملًا للاثنى  
عشر بدلًا من الخائن يهوذا الإسخريوطي (١) .

وقد ظهر المسيح بعد صلبه وقيامته ورفعه إلى السماء في عمود من نور لرجل يهودي  
كان من ألد أعداء المسيحية وأشدّهم حرباً عليها وعلى أهلها ، فهداه الصراط المستقيم ،  
وكلفه تبليغ رسالته إلى الأمم وهدايتهم إلى المسيحية ؛ ومن ثم أطلق عليه حواري المسيح  
ورسوله إلى الكفار Apôtre des Gentiles (٢) ؛ وأصبح من ذلك الحين من أشد  
أنصار المسيحية ومن أكبر دعاةها ، وأصبح له في تاريخ المسيحية وعقائدها وشرائعها

(١) انظر « أعمال الرسل » لوقا ١٥ — ٢٦ من الإصحاح الأول .

(٢) انظر الإصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل لوقا .

شأن لم يصل إلى مثله كثير من الحواريين الأولين أنفسهم : ذلك هو الرسول بولس . Saint Paul .

ومن بين هؤلاء الرسل ستة تنسب إليهم أسفار في العهد الجديد، وهم بطرس ويوحنا ومتى ويعقوب الصغير وأخوه يهوذا وبولس . فهو وحدهم ، من بين جميع الحواريين ، الذين يتصلون بموضوع دراستنا . ولذلك سنقدم لكل منهم فيما يلي ترجمة موجزة حسب ما تزويه أسفار المسيحيين :

١ - بطرس Pierre : كان اسمه الأصلي سيمان Simon ، وكانت مهنته صيد الأسماك . وقد دعاه المسيح لمتابعته فأمن به . وسماه المسيح « كيفا » Képha ( وهي كلمة آرامية تدل في هذه اللغة التي كانت لغة الحديث والكتابة في فلسطين في عهد المسيح على معنى الحجر أو الصخرة ) وقال له أنت الصخرة التي سأبنى عليها كنيسة ، ثم ترجم هذا الاسم إلى اللاتينية في كلمة معناها الصخرة في هذه اللغة وهي « بطرس » Petrus . وهو رئيس الحواريين جميعاً وأشدّهم ملازمة للمسيح . وقد وقف جهوده على التبشير بالمسيحية في عهد المسيح ومن بعده في كثير من البلاد ، فذهب إلى أنطاكية Antioche وغيرها ، وانتهى به اللطاف في روما حيث قبض عليه وزج في السجن وحكم عليه بالإعدام صباحاً سنة ٦٧ على الأرجح في زمن نيرون Néron امبراطور الدولة الرومانية . وقد طلب أن يصلبوه منكساحتي لا يشبهه بالمسيح . - وإليه يرجع أكبر قسط من الفضل في نشر المسيحية في الدولة الرومانية . وهو الذي أنشأ كنيسة روما التي يتولى رياستها بابوات الكنيسة الكاثوليكية ، وهم يعتبرون أنفسهم خلفاء بطرس ، ولذلك تسمى كنيسة البطرسية . وإليه تنسب رسالتان من الرسائل السبع التي يسمونها « الرسائل الكاثوليكية » ، وهي إحدى مجموعات « العهد الجديد » ؛ وستتكلم عليها في الفقرة الثامنة من هذا الفصل . وينسب إليه كذلك أنه قد أشرف على تدوين إنجيل مرقس ؛ وهو أحد الأناجيل الأربعة المعتمدة عند

للمسيحيين والتي ستكلم عليها في الفقرة الرابعة من هذا الفصل ، بل إن بعض المؤرخين ليذهب إلى أنه هو الذي ألف هذا الإنجيل ونسبه إلى تلميذه مرقس كما سيأتى بيان ذلك .

٢ — يوحنا Jean : هو كذلك من كبار الحواريين الاثني عشر ، وكان أبوه زبدي Zébédée من السابقين الأولين إلى المسيحية ومن كبار دعاةها ، وكانت أمه سالوى Salomé قديسة شهيرة ورد ذكرها في الأناجيل ، وهى قريبة السيدة مريم أم المسيح . وقد جاءت من زبدي بيوحنا وأخيه يعقوب الكبير Jacques le majeur . ويقول التاريخ المسيحي إن المسيح نفسه قد بارك هذين الأخوين لما قدمتهما إليه سالوى ، فوضع أحدهما على فخذه الأيمن والآخر على فخذه الأيسر وباركهما . وتقول كذلك إن يوحنا كان أحب الحواريين إلى المسيح وأقربهم إلى قلبه ؛ ومن ثم يطلق عليه اسم الحوارى الحبيب L'Apôtre bien-aimé حتى لقد استودعه المسيح أمه السيدة مريم وهو فوق الصليب . وكانت مهنته صيد الأسماك كمهنة بطرس ، ووقف جهوده بعد اعتناقه المسيحية على نشرها والدعوة لها . وتوفى بين سنتى ٩٨ و ١٠٠ بعد الميلاد . وينسب إليه إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين ، وهو آخرها تأليفاً ، وأربعة أسفار أخرى من أسفار العهد الجديد ، وهى ثلاثة رسائل من الرسائل الكاثوليكية والسفر النبوى أو رؤيا يوحنا ، كما سنبين ذلك فى الفقرتين الرابعة والثامنة من هذا الفصل . — أما أخوه يعقوب الكبير فهو كذلك من الحواريين الاثني عشر ، ولكن لا ينسب إليه أى سفر فى العهد الجديد ، وقد استشهد سنة ٤٤ ميلادية على الأرجح .

٣ — متى Mathieu : هو كذلك أحد الحواريين الاثني عشر . وكان قبل اتصاله بالمسيح من جبة الضرائب للرومان فى كفر ناحوم من أعمال الجليل

بفلسطين . وكان اليهود يزدرون الجباة ويزدرون مهنتهم لما كانت تنطوى عليه من أعمال الظلم والعنف ، ولأنهم كانوا مسخرين للدولة الرومانية التي تستعمر البلاد وتسوم أهلها سوء العذاب ، وكانوا يسموهم « العشارين » لأنهم كانوا في الغالب يأخذون عشر المحاصيل وغيرها ضريبة لبیت المال . وقد اختاره المسيح تلميذ له . فقد جاء في الإصحاح التاسع من إنجيل متى : « وبينما كان يسوع سائراً رأى شخصاً جالساً عند مكان الجباة اسمه متى ، فقال له اتبعني ، فقام واتبعه ، وبينما هو متكئ في البيت إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا وجلسوا مع يسوع وتلاميذه . فلما رأى ذلك الفريسيون ( فرقة من اليهود تقدم ذكرها في الفقرة الثالثة عشرة من الفصل السابق ) قالوا لتلاميذه لماذا يأكل معكم مع العشارين والخطاة ، فلما سمع قولهم يسوع قال لهم إن الرضى هم الذين يحتاجون إلى الطبيب لا الأصحاء ، وإني لم آت لأدعو أبراراً بل لأدعو خطاة إلى التوبة » (١) .

وبعد صلب المسيح أخذ متى يدعو إلى المسيحية مطوقاً في كثير من البلاد ثم استقر في الحبشة وقضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة داعياً إلى ديانته ، ومات بها سنة ٧٠ على أثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة ، أو على أثر طعنة برمح أصيب بها سنة ٦٢ في رواية أخرى . وإليه ينسب إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين ، وهو أقدم هذه الأناجيل جميعاً كما سيأتى بيان ذلك في الفقرة الرابعة من هذا الفصل ، وينسب إليه كذلك إنجيل آخر من الأناجيل غير المعتمدة عند المسيحيين كما سيأتى بيان ذلك في الفقرة السابعة من هذا الفصل .

٤ — يعقوب الصغير ابن حلفى Saint Jacques le mineur fils d'Alphée (وقد

(١) فقرات ٩ — ١٣ من الإصحاح التاسع من إنجيل متى .

لقب بالصغير للتمييز بينه وبين يعقوب بن زبدي أخى يوحنا الذى لقب بـ يعقوب الكبير).  
هو كذلك أحد الحواريين الاثني عشر ، وهو من أقرباء المسيح . وكان ممن  
اجتباهم المسيح نفسه واختارهم لنشر رسالته ، ولم يلبث أن أصبح من أكبر  
الدعاة إلى المسيحية في حياة المسيح ومن بعده ، وخاصة في بلاد فلسطين ، ويعتبره  
التاريخ المسيحى أول أسقف لأورشليم ( بيت المقدس ) . وقد استشهد حوالى سنة  
٦٢ بعد الميلاد بأورشليم حيث حكم عليه بالإعدام رجماً .

وينسب إليه التاريخ المسيحى تعديلاً هاماً أدخل فى الشريعة المسيحية فى  
مجمع أورشليم الذى انعقد بعد رفع المسيح بنحو ائتين وعشرين سنة . وذلك أن  
المسيحيين الأولين كانوا يوجبون على أنفسهم جميع ما أوجبه أسفار العهد القديم  
ويحرمون على أنفسهم جميع ما حرّمته ، أى يعتبرون شريعة موسى شريعة لهم  
ويعتبرون أسفارها أسفاراً مقدسة ، ولا يستثنون من ذلك إلا ما صرح المسيح  
نفسه بنسخه أو تعديله . واستمر المسيحيون على ذلك إلى أن انعقد مجمع أورشليم  
بعد رفع المسيح بنحو ائتين وعشرين سنة . وكان هذا أول مجمع يعقد بعد المسيح  
للنظر فى الشريعة . وقد اجتمع فيه الحواريون والتلاميذ وكثير من السابقين الأولين  
إلى المسيحية . فنقدم يعقوب الصغير إلى المجتمعين باقتراح يقضى بعدم وجوب  
الختان الذى أوجبه التوراة على كل ذكر ، لأن الختان يشق على بعض من  
يدعونهم إلى المسيحية فيرغبون عنها بسببه ، وبالاقصار على تحريم ثلاثة أشياء  
من المأكولات التى حرّمها التوراة وهى الدم والمتخنة وماذبح للأوثان وإحلال  
ما عدا ذلك تيسيراً على الناس . ويدخل فى باب الحل لحم الخنزير نفسه الذى  
حرّمته أسفار العهد القديم . ودافع يعقوب عن وجهة نظره دفاعاً قوياً ، فأقر  
الحواريون والحاضرون اقتراحه بجميع محتوياته<sup>(١)</sup> .

(١) انظر الإصحاح ١٥ من سفر « أعمال الرسل » لـ لوقا .

وتنسب إليه رسالة من الرسائل الكاثوليكية السبع ، وهي إحدى رسائل العهد الجديد التي سنتكلم عليها في الفقرة الثامنة من هذا الفصل .

٥ - يهوذا Saint Jude ويسمى كذلك ثدّى Thaddée ولبى Lebée هو أخو يعقوب الصغير ومن أقرباء المسيح ، وهو كأخيه أحد الحواريين الاثني عشر . وكان من دعاة المسيحية في حياة المسيح ومن بعده . واستشهد في ميزوبوتاميا ( العراق ) حيث كان يدعو إلى المسيحية في وديان دجلة والفرات . وتنسب إليه رسالة من الرسائل الكاثوليكية السبع ، وهي إحدى رسائل العهد الجديد التي سنتكلم عليها في الفقرة الثامنة من هذا الفصل .

٦ - بولس Saint Paul كان يهودياً من الفريسيين على أرجح الأقوال وكان اسمه شاول Saul . وكان من ألد أعداء المسيحية في عهد المسيح ومن بعده . ومن أشدهم حرباً عليها وعلى أهلها . فكان يسطو على معابد المسيحيين ويقتحم بيوتهم ويغير عليهم في الطرقات ، فيقتل منهم من يقتل ، ويعذب من يعذب ، ويشد وثاق بعضهم من الرجال والنساء ويسلمهم إلى السجن وساحات التعذيب . وبينما هو سائر في طريقه إلى دمشق ظهر له المسيح في عمود من نور ، وكان ذلك بعد صلبه ورفع ، فهده الصراط المستقيم ، وكلفه تبليغ رسالته إلى الأمم وهدايتهم إلى المسيحية ، ومن ثم أطلق عليه اسم « حوارى المسيح إلى الأمم الكافرة Apôtre des Gentiles » . وعندما ذهب إلى الحواريين بعد ذلك أوجسوا خيفة منه ، وظنوا أنه يتظاهر بالإيمان للمكربهم وتديبر الكيد لهم ، ولما كان « برنابا » Barnabé ( الذى سنترجم له في الفقرة التالية ) شهد أمامهم بصحة إيمانه وقص عليهم قصة هدايته وظهور المسيح له ، فاطمنوا إليه ، وأزلوه منهم منزلة كبيرة وانقلب من ألد أعداء المسيحية إلى أكبر دعاة المناهجين عنها ، وأخذ يطوف في مختلف البلاد عاملاً على نشرها وإدخال الناس في دينها . واصطحب معه



« برنابا » في رحلاته الأولى ، ثم اختلفا بعد ذلك فافترقا . وظل ساراعلى منمنه  
ينشئ الكنائس ، ويلقى الخطب ، و يؤلف الرسائل في المسيحية عقائدها وشرائعها  
وأخلاقها ، حتى قتل في اضطهادات نبيرون سنة ٦٦ أو ٦٧ م (١) .

وينسب إلى بولس أربعة عشر سفرا من أسفار العهد الجديد تسمى « رسائل  
بولس » على ما سنذكره مفصلا في الفقرة الثامنة من هذا الفصل .

وبفضل هذه الرسائل أصبح لبولس في تاريخ المسيحية وعقائدها وشرائعها  
أ كبير شأن ، حتى إن المسيحية الحاضرة لتنسب إليه أكثر مما تنسب إلى غيره  
وتستمد معظم أصولها وتعاليمها من رسائله ، وحتى إن كلمة « الرسول » إذا  
أطلقت لا يراد بها في اصطلاحهم إلا بولس ، كما يطلقون عليه كذلك لقب  
« الرسول الكبير le Grand Apôtre » .

## — ٢ —

### التلاميذ والتابعون

بحسب ما ترويه أسفار الديانة المسيحية

تروى أسفار الديانة المسيحية بشأن التلاميذ والتابعين ما يلي :

اختار المسيح من بين أتباعه والملازمين لصحبته والاستماع إليه بجانب  
« الاثني عشر حوارياً السابق ذكرهم ، وهم الذين كانت لهم أكبر منزلة في المسيحية ،  
سبعين رجلا كفهم التبشير بالمسيحية في قرى الجليل ، وأطلق على هؤلاء اسم  
« التلاميذ » les Disciples .

وبجانب الرسل والتلاميذ يحفظ لنا التاريخ المسيحي أسماء جماعة لم يصاحبوا

(١) انظر الإصحاحات الثامن والتاسع والثالث عشر والرابع عشر من سفر « أعمال

الرسل » لوقا .

المسيح نفسه ، ولكن صاحبوا بعض رسله أو بعض تلاميذه وأخذوا عنهم ، وكان لهم أثر ذو بال في المسيحية . ومن الممكن أن نطلق على هؤلاء اسم « التابعين » . جريا على الإصطلاح الإسلامي الذي يطلق هذا الوصف على من لم يصاحب الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه ولكن أخذ عن بعض صحابته .

ومن بين التلاميذ اثنان تنسب إليهم بعض أسفار في الديانة المسيحية وهما « برنابا » و « مرقص » ؛ ومن بين التابعين واحد تنسب إليه كذلك بعض هذه الأسفار وهو « لوقا » . فهؤلاء الثلاثة وحدهم ، من بين جميع التلاميذ والتابعين ، هم الذين يتصلون بموضوع دراستنا . ولذلك سنقدم لكل منهم فيايلي ترجمة موجزة حسب ما ترويه أسفار المسيحيين :

١ - برنابا Saint Barnabé : كان يهوديا من اللاويين ، وكان اسمه يوسف ، وقد سماه الحواريون « برنابا » ومعنى هذه الكلمة « ابن الوعظ » . وهو من التلاميذ السبعين على الأرجح . وقد باع جميع ما يملكه من أرض في فلسطين ، وقدم ثمنه للحواريين ليستعينوا به في الدعوة إلى المسيحية ومساعدة قراء المسيحيين . وهو الذي ضمن بولس أمام الحواريين وشهد بصحة إيمانه وقص عليهم هدايته . وظهور المسيح له كما تقدم بيان ذلك . وقد كلفه الحواريون عدة مهام تتعلق بالتبشير وتنظيم المجتمعات المسيحية الأولى فقام وحده بما عهد إليه به خير قيام . ثم اصطحب بولس بعد ذلك وعملا معاً على تبليغ رسالة المسيح إلى الكفار وهدايتهم إلى المسيحية واصطحبا معهما مرقص ابن أخت برنابا (وستترجم له في الفقرة التالية) فطوقا معا لهذه الغاية في كثير من البلاد ومنها أنطاكية Antiche وقبرص . وقد نجحا في رسالتهما أيما نجاح ، وظهر على أيديهما معجزات كثيرة ، ولبقا في نفوس أتباعهما منزلة كبيرة ، حتى لقد افتتن بهما أهل قبرص واعتقد الكثير منهم أنهم ملائكة الإلهان . ولما بلغتهما ذلك مرقا ثيابهما واندفعا إلى الجمهور صارخين مقبرئين مملأ

وصفا به؛ فرجع الناس عن ضلالهم. — ثم اختلف برنابا مع بولس فافترقا، ورجع برنابا في هذه المرة مع ابن اخته مرقص ليكمل ما بدأ عمله في هذه البلاد مع بولس (١).

وينسب لبرنابا إنجيل وسفر في تاريخ الحواريين والتلاميذ يسمى « أعمال الرسل ». ولا تعترف الكنائس المسيحية الحاضرة بصحة هذا الإنجيل ولا هذا السفر ولا بصحة ما جاء فيهما ولا بصحة نسبتهما إلى برنابا ، بل تذهب إلى أنهما مزيفان وأن ملفقيهما قد ألصقوهما ببرنابا ليرجوها . وسنعرض لذلك في الفقرتين السابعة والثامنة من هذا الفصل .

٣ — مرقس Saint Marc اسمه يوحنا ويلقب بمرقص ، وأصله من اليهود ، وهو من التلاميذ السبعين على الأرجح ، وابن أخت القديس برنابا . وقد صاحب الرسول بولس والقديس برنابا في رحلاتهما وتبشيرهما بالمسيحية في قبرص وآسيا الصغرى ، ثم صاحب الرسول بطرس كبير الحواريين نفسه ، وقضى معه شطراً من حياته وتبعه إلى روما . وبعد استشهاد الرسول بطرس شخص مرقص إلى شمال إفريقيا ثم إلى مصر ونشر فيها المسيحية وأنشأ بها بطريركية الاسكندرية ( الكرازة المرقسية ) التي يتولاها الآن بابوات الأقباط الأرثوذكس الذين يعتبرون أنفسهم خلفاء مرقص . واستشهد في مصر حوالي سنة ٦٧ .

وقد اختاره أهل البندقية ( فينيسيا ) حامياً لمدينتهم . وله في البندقية كنيسة تعد من أجل كنائس العالم وأفخمها وأدقها عمارة وأغناها بالآثار الفنية . وينسب إليه إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين والتي سنقلم عليها في الفقرة الرابعة من هذا الفصل .

٣ — لوقا Saint Luc . ولد في أنطاكية تودرس الطلب وزاول مهنته بنجاح

(١) انظر لإصحاحات ٤ ، ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ من سفر « أعمال الرسل » لوقا .

كبير ، ثم اعتنق المسيحية ، وأصبح من كبار دعايتها ، ورافق الرسول بولس في كثير من رحلاته ، وأشار بولس إلى هذه الرقعة في بعض رسائله وخاصة في رسالته الثانية إلى تلميذه تيموثاوس وفي رسالته إلى تلميذه فيليمون وفي رسالته إلى أهل كولوس<sup>(١)</sup> . وذهب بعضهم إلى أنه كان رومانيا نشأ بإيطاليا . ويرجح آخرون أنه كان مصوراً ولم يكن طبيباً . وقد مات سنة ٧٠ ميلادية على الأرجح .

وينسب إليه إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين وسفر آخر من أسفار « العهد الجديد » يسمى « أعمال الرسل » وهو في تاريخ الحوارين والتلاميذ ، ويعد أهم مرجع في تاريخ نشأة المسيحية وأحوالها بعد المسيح وتاريخ دعايتها الأولين .

### العهد الجديد

استقر رأى المسيحيين في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفراً من أسفارهم ، قرروا أنها هي وحدها الأسفار المقدسة أى الموحى بها ، ويقصدون أنه موحى لأصحابها من الرب بمعانيها لا بألفاظها ، وأطلقوا عليها اسم « العهد الجديد » Nouveau Testament للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التي أطلقوا عليها اسم « العهد القديم » Ancien Testament . فتسمية هاتين المجموعتين من الأسفار بهذين الاسمين هي تسمية متأخرة لاجتماع ظهور المسيحية . ويقصد بكلمة « العهد » في هاتين التسميتين ما يرادف معنى اليثاق . أى إن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقاً أخذ الله على الناس . فأولاهما

(١) سبت-كلم على هذه الرسائل في الفقرة الثامنة من هذا الفصل .

تمثل ميثاقاً قديماً يرجع إلى عصر موسى ، والأخرى تمثل ميثاقاً جديداً بدأ بظهور عيسى .

وترجع أسفار العهد الجديد إلى ثلاث مجموعات وسفرين . فالمجموعات هي :  
مجموعة الأناجيل وعددها أربعة ؛ ومجموعة رسائل بولس وعددها أربع عشرة رسالة ؛ ومجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل . وأما السفران فهما : سفر « أعمال الرسل » للرقا ؛ وسفر « رؤيا يوحنا » أو « الأپوكاليس » ليوحنا .

وستفصل الكلام على هذه الأسفار فيما يلي :

## — ٤ —

### الأناجيل الأربعة

تمثل الأناجيل الأربعة المعتمدة أهم مجموعات العهد الجديد ، وتستأثر وحدها في هذا العهد بحيز كبير يقرب من نصفه ( تستغرق نحو ١١٠ صفحة من مجموع صفحات العهد الجديد البالغة نحو ٢٥٠ في إحدى ترجماته بالفرنسية ) . وهي :  
انجيل متى ؛ وانجيل مرقس ؛ وانجيل لوقا ؛ وانجيل يوحنا .

١ — أما إنجيل متى فمؤلفه هو الرسول متى أحد الحواريين الاثني عشر الذي ترجمناه في الفقرة الأولى من هذا الفصل . وإنجيله هو أقدم الأناجيل جميعاً إذ يرجع تاريخ تأليفه إلى حوالى سنة ٦٠ بعد الميلاد على أرجح الأقوال . وقد ألفه متى باللهجة الآرامية الفاسطينية الحديثة التي تكلمنا عليها في الفقرة الثانية من الفصل الأول من هذا الكتاب ، والتي كانت مستخدمة في المحادثة والكتابة في هذا العصر في فلسطين . وقد أخطأ ابن البطريق وكثير من مؤرخي العرب إذ قرروا

أن متى قد كتب إنجيله هذا باللغة العبرية<sup>(١)</sup> . ولكن هذا الأصل الآرامي لم يصل إلينا، وإنما وصلت إلينا ترجمته إلى اللغة اليونانية التي تمت عقب تأليفه مباشرة أي حوالي سنة ٦٠ بعد الميلاد . ولا يظهر في هذه الترجمة إلا آثار ضئيلة للهجة الآرامية التي كتب بها الأصل ، وتمثل هذه الآثار في نحو ست عشرة كلمة آرامية مدونة بحروف يونانية . ولا يعرف عن طريق يقيني مترجم هذا الإنجيل إلى اللغة اليونانية . ويقال أن متى نفسه هو الذي قام بترجمته ويرى ابن البطريق وكثير من مؤرخي العرب أن مترجمه هو يوحنا مؤلف الإنجيل الرابع الذي سيأتي ذكره<sup>(٢)</sup> . ولا يعرف لهذا الرأي سند يعتد به . وقد أخطأ بعض مؤرخي العرب إذ قرروا أن هذا السفر قد ترجم أول ما ترجم إلى اللغة اللاتينية<sup>(٣)</sup> ؛ لأن الثابت أن أول ترجمة له هي الترجمة اليونانية كما تقدم ، وهي التي وصلت إلينا بدون أصله . وهذا هو ما يقرره ابن البطريق نفسه إذ يقول : « وفي عصر قلوديوس ( يقصد كلود الأول Colub I<sup>er</sup> امبراطور الرومان ) ولد سنة ١٠ ق م ، ونصب امبراطوراً سنة ٤١ ميلادية ومات وهو في منصبه سنة ٥٤ ) كتب متاوس ( يقصد متيوس أي متى ) إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس ، وفسره ( أي ترجمه ) من العبرانية إلى اليونانية يوحنا صاحب الإنجيل » .

٢ — إنجيل مرقس . مؤلفه هو القديس مرقس أحد التلاميذ السبعين ؛ وقد ترجمناه له في الفقرة الثانية من هذا الفصل . وقد ألفه على أرجح الأقوال حوالي سنة ٦٣ أو ٦٥ وألفه باللغة اليونانية لا باللغة اللاتينية كما يذكر بعض مؤرخي

(١) انظر في ذلك مثلاً ابن خلدون إذ يقول : « كتب متى إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منها إلى اللسان اللاطيني » صفحتي ٥٩٠ ، ٥٩١ من مقدمة ابن خلدون ، الجزء الثاني ، طبعة لجنة البيان العربي ، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي ، وانظر تعليقتنا رقم ٧٣٨ على هذه العبارة .

(٢) انظر في ذلك مثلاً ابن خلدون ص ٥٩١ ، ٥٩٢ من الطبعة السابقة وتطبيقاً رقم ٧٤١

على عبارته .

(٣) المرجع نفسه المدون في التعليق الأول في هذه الصفحة .

العرب ، وكان تأليفه إليه تحت إشراف أستاذه بطرس رئيس الحواريين .  
وبإرشاده ؛ وقد رجع إليه في بعض حقايقه واستمد منه بعض الذكريات وبعض  
حوادث التاريخ .

وقد روى ابن البطريق وبعض مؤرخي العرب أن هذا الإنجيل قد كتبه  
بطرس نفسه ونسبه إلى تلميذه مرقس . ونص عبارة ابن البطريق : « وفي عهد  
نارون قيصر ( يقصد نيرون Néron امبراطور روما من سنة ٥٤ إلى سنة ٦٨ )  
كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقس في مدينة رومية ونسبه إلى مرقس » .  
ولا يعرف لهذه الرواية سند يعتقد به <sup>(١)</sup> .

٣ - إنجيل لوقا : مؤلفه القديس لوقا ، وهو أحد التلاميذ ، وقد ترجمناه له  
في الفقرة الثانية من هذا الفصل . وقد ألفه على أرجح الأقوال في العصر نفسه  
الذي ألف فيه مرقس إنجيله ، أي حوالي سنة ٦٣ أو ٦٥ ، وألفه باللغة اليونانية  
لا باللغة اللاتينية كما يذكر بعض مؤرخي العرب <sup>(٢)</sup> ، وافتتحه بعبارة تدل على  
أنه قد كتبه لعظيم يسمى ثيوفيلوس Théophile فهو يقول في فاتحته : « لقد كتب  
كثيرون في تاريخ الأحداث التي جرت لدينا ( يقصد بين المسيحين الأولين )  
حسب ما نقل من هؤلاء الذين كانوا شهوداً لهذه الحوادث . ولما كنت قد قدت  
ببحث هذه الأحداث بحثاً دقيقاً وتبعتها من نشأتها الأولى ، لذلك رأيت من  
الخير أن أدونها لسعادتك أيها العظيم ثيوفيل في صورة مسلسلة حتى تقف على الرأي  
اليقيني في التعاليم التي تلقيتها » <sup>(٣)</sup> . ولم يحاول لوقا أن يعرف بهذا العظيم . ولذلك  
اختلف فيه : فقيل إنه كان مصرياً ؛ وقيل أنه أحد عظماء اليونان أو أحد علمائهم ،

(١) انظر كذلك ابن خلدون ص ٥٩١ ، ٥٩٢ من الطبعة السابقة : « وكتب بطرس  
إنجيله بالخطي ونسبه إلى مرقس تلميذه » ، انظر تعليقتنا على هذا العبارة رقم ٧٤١ .  
(٢) انظر مثلاً مقدمة ابن خلدون ص ٥٩١ من الطبعة السابقة وتعليقتنا رقم ٧٣٩  
على عبارته .  
(٣) إنجيل لوقا فقرات ١ - ٢ من الإصحاح الأول .

حوالي هذا يذهب ابن البطريق وكثير من مؤرخي العرب. ونص عبارة ابن البطريق: « وكتب لوقا إنجيله إلى رجل شريف من علماء الروم يقال له تاوفيليا ». ويقول ابن خلدون في مقدمته: « وكتب لوقا منهم إنجيله باللاتيني إلى بعض أكاره الروم »<sup>(١)</sup>. (وكلمة الروم يطلقها العرب على اليونان، وقد وردت بهذا المعنى في قوله تعالى « غلبت الروم في أدنى الأرض »).

٤ - إنجيل يوحنا: ألفه الرسول يوحنا، وهو أحد الحواريين الاثني عشر، وقد ترجمنا له في الفقرة الأولى من هذا الفصل، وألفه باللغة اليونانية، وكان تأليفه إياه حوالي سنة ٩٠ بعد الميلاد. على أرجح الأقوال؛ فهو لذلك أحدث الأناجيل جميعا إذ تفصله عنها مرحلة زمنية كبيرة تبلغ زهاء ثلاثين عاما.

ومع أن جميع النحل المسيحية في العصر الحاضر مجمعة على اعتماد هذا الإنجيل واعتباره مقدسا موحى به واعتماد صحة نسبه إلى يوحنا بن زبدي أحد الحواريين الاثني عشر، فإن بعض القدامى من الباحثين في المسيحية كانوا ينفكرون هذا الإنجيل وينفكرون كذلك جميع ما أسند إلى يوحنا من بقية أسفار العهد الجديد التي سيأتي ذكرها، ويرون أن ذلك كله من تأليف أشخاص آخرين. بل لقد كانت بعض الفرق المسيحية القديمة نفسها في أواخر القرن الثاني الميلادي تذهب هذا المذهب في جميع ما ينسب إلى يوحنا من أسفار. ويرتاب كذلك كثير من الباحثين المحدثين في صحة نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا، بل إن عددا كبيرا من نقاتهم ليقطع بعدم صحة نسبه إليه. ومن هؤلاء جماعة العلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل المسيحية في دائرة المعارف البريطانية. فقد ذكروا في ترجمتهم للأناجيل أنه « لا مرية في أن مؤلف إنجيل يوحنا شخص آخر غير يوحنا بن زبدي الحوارى المشهور. وقد ادعى مؤلفه في متنه أنه هو يوحنا الجيب إلى المسيح ( انظر منشأ هذا اللقب في ترجمتنا ليوحنا في الفقرة الأولى من هذا الفصل ).

(١) انظر مثلا ابن خلدون صفحة ٥٩١ من طبعة لجنة البيان العربي وتعليق ٧٣٩.



فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الخوارى، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً. وإن الذين يحاولون أن يربطوا ولو برابطة واهية بين ذلك الفيلسوف الذى ألف هذا الكتاب فى القرن الثانى من الميلاد وبين الخوارى يوحنا الصياد الجليل، لن يجدوا لمحاولتهم هذه أى سند وستذهب جهودهم أدراج الرياح. ومن هؤلاء كذلك مؤلفو دائرة المعارف الفرنسية المشهورة باسم لاروس القرن العشرين، فقد ذكروا أنه « ينسب ليوحنا هذا الإنجيل وثلاثة أسفار أخرى من العهد الجديد. (هى ثلاث رسائل من الرسائل الكاثوليكية ورؤيا يوحنا. — وستتكم عن هذه الأسفار عند كلامنا على بقية أسفار العهد الجديد فى الفقرة الثامنة من هذا الفصل). ولكن البحوث الحديثة فى مسائل الأديان لا تسلّم بصحة هذه النسبة ».

### نظرة فى محتويات الأناجيل

ترجع أهم الأمور التى تشتمل عليها هذه الأناجيل إلى أربعة موضوعات. وهى القصص والمقيدة والشريعة والأخلاق.

١ - أما القصص فيشغل أكبر حيز من كل إنجيل من هذه الأناجيل. ويعرض لقصة مريم وحملها بالمسيح وولادته ودعوته إلى دينه واجتباؤه للخواريين والتلاميذ وصاحبه وقيامته بعد صلبه ورفعته إلى السماء. فقد ذكر هذه الأناجيل أن مريم كانت مخطوبة أو زوجة ليوسف النجار<sup>(١)</sup>، وأنها حملت بالمسيح من قبل.

(١) توصف مريم فى بعض فقرات إنجيل متى بأنها كانت مخطوبة ليوسف النجار، وفى فقرات أخرى من الإنجيل نفسه بأنها كانت زوجة له (انظر فقرات ١٦ - ٢١ من الإصحاح الاول من إنجيل متى).

أن يقربها يوسف ، فخالجه ، لاشك في أمرها ، وأراد أن يفارقها . فبعث الله إليه ملكاً أمره أن يسك عليه . زوجته ، وأنبأه بأنها حملت من روح القدس وأنها ستلد غلاماً زكياً ، وأن هذا الغلام سيخلص شعبه من خطاياهم ، وطلب إليه من أجل ذلك أن يسميه المسيح أى المخلص وماسح الخطايا<sup>(١)</sup> . وقد ظهر في أثناء حملها وولادته وطفولته إرهابات ومعجزات كثيرة تنبئ . بمظمته وقدسيته وتبشر بظهور دينه . ومن هذه الإرهابات ظهور يوحنا المعمدان ابن زكريا ( وهو المعروف في الإسلام باسم يحيى بن زكريا عليهما السلام ) وتبشيره بظهور المسيح وعمله على تهيئة أذهان اليهود لرسالته ، وحثهم على التوبة بما كانوا يفترونه من معاصم والإصلاح عما كانوا قد انحدروا إليه من زيف في العقيدة وغسل أجسامهم في مياه نهر الأردن . ( وهو ما يعبر عنه المسيحيون بالتمميد ) للرمز إلى تخليصهم مما كان قد علق بنفوسهم من أدران . ولما بلغ المسيح أشده ذهب إلى يوحنا ليعمده في مياه الأردن كما يعمد غيره ، فأحجم يوحنا عن ذلك في أول الأمر ، وذكر أنه لا ينبغي له أن يعمد من هو أعظم منه قدراً وأكبر منزلة ، بل إن مثله في حاجة لأن يعمده المسيح ، ولكنه عاد فأذعن للأمر تحت إلحاح المسيح ورغبته .

وحيثما بلغ المسيح الثلاثين من عمره أخذ ينشر دعوته وظهرت معجزات كثيرة على يديه . وقد لاقى في سبيل دعوته كثيراً من ضروب العنت والأذى من اليهود والرومان . واجتبي لنشر رسالته في مختلف أرجاء العالم عدداً من السابقين الأولين إلى المسيحية وهم الحواريون والتلاميذ الذين ترجعنا لهم فيما سبق . ثم تأمر عليه الفريسيون من اليهود والحكام من الرومان وساعدهم في مؤامرتهم هذه يهوذا الإسخريوطى الذى كان أحد الحواريين ثم خان عهده كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وانتهت هذه المؤامرة بالحكم على المسيح بالإعدام صلباً ، وكانت سنة حينئذ

(١) فقرات ١٩ — ٢١ من الإصحاح الأول من إنجيل متى .

خمسا وثلاثين سنة . فصلب ثم دفن ، وأقيم على قبره حراس أشداء يقفلون حتى لا يخطف أنصاره جثته ويدعوا أنه نشر من قبره مصداقا لما كان قد أخبر به قبل صلبه . ولكنه قام من قبره بعد ثلاثة أيام من دفنه ( وهذا ما يبرهنه المسيحيون بالقيامة ، ويحتفلون به في عيد يسمى « عيد القيامة » ) . وظل بعد ذلك مع حوارييه وتلاميذه وأنصاره أربعين يوما يعلمهم ويرشدهم . ثم رفع إلى السماء وجلس على يمين أبيه .

٢ — وأما العقائد التي تشتمل عليها هذه الأناجيل فتدور كلها حول المسيح وتقرر ألوهيته وبنوته للأب ، وأن الإلاه عبارة عن ثلاثة أقانيم ( جمع أقنوم بضم المهملة أى الأصل وهو تعريب لكلمة Hypostases من اليونانية Hypo, stasis بمعنى الأصل المركب ) وهي الآب والإبن وروح القدس ، وأن المسيح قد صلب ليكفر بذلك الخطيئة الأزلية péché originel وهي الخطيئة التي ارتكبها آدم إذ عصى ربه وأكل من الشجرة والتي انتقلت بطريق الوراثة إلى جميع نسله . وكانت ستظل عاقبة بهم إلى يوم يبعثون لولا أن اقتداهم المسيح بدمه ، وأن المسيح قد قام من قبره بعد صلبه بثلاثة أيام ؛ وظل مع حوارييه وأنصاره أربعين يوما ثم رفع إلى السماء حيث جلس على يمين أبيه ، يصرف شئون العالم . وسيتولى هو يوم القيامة حساب الناس على ما فعلوه في الحياة الدنيا ، فيجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته<sup>(١)</sup> . وأكثرت الأناجيل صراحة في تقرير ألوهية المسيح وملحقاتها هو إنجيل يوحنا .

(١) تمثل هذه النقطة الأخيرة ناحية من أهم النواحي التي تختلف فيها العقيدة المسيحية عن عقائد اليهود المقررة في العهد القديم . فأسفار العهد القديم كما سبقت الإشارة إلى ذلك قد خلت من ذكر البعث والنشور واليوم الآخر ونعيمه وجحيمه ( انظر الفقرة المنشورة من الفصل الأول من هذا الكتاب ) .

٣ - وأما فيما يتعلق بشئون الشريعة فإنه يفهم من هذه الإنجيل أن المسيحية قد أقرت شريعة اليهود المقررة في العهد القديم ، ولم تستثن من ذلك إلا ما ورد عن المسيح نص بنسخه أو تعديله . وقد ورد في الأناجيل نصوص قليلة ناسخة ومعدلة لبعض أحكام العهد القديم ومعظمها جاء على لسان المسيح في وصيته المشهورة « بوصية الجبل » أو « خطبة الجبل » *Sermou de la montagne* وهي التي ألقاها وهو جالس على قمة جبل وسمعها جمهور كبير من الناس يتقدمهم حواريوه وتلاميذه<sup>(١)</sup> . ومن ذلك ماورد فيها بشأن الطلاق وقصاص الجروح ورحم الزانية . فقد ذكر المسيح في هذه الوصية أن موسى لقساوة قلوب الناس قد أباح الطلاق ولكنه هو ( أى المسيح ) يقرر أن « من يفارق امرأته إلا بسبب الزنا يجعلها زنى ، وأن من يتزوج مطلقه زنى »<sup>(٢)</sup> ، وأن « من طلق امرأته وتزوج بأخرى زنى عليها ، وإن فارقت المرأة زوجها وتزوجت بأخر ارتكبت بذلك جريمة الزنا<sup>(٣)</sup> » ، وأن « الزوجين بعد زواجهما يصبحان جسماً واحداً فلا يعودان بعد ذلك اثنين ، فالذى جمعه الله هذا الجمع لا يصح أن يفرقه الإنسان »<sup>(٤)</sup> . - وذكر في الوصية نفسها بصدد قصاص الجروح أنه « قد تقرر فيما سبق ( يقصد في التوراة ) أن العين بالعين والسن بالسن . أما أنا فأقول إنه لا ينبغي أن تقاوموا من يتصدى لكم بالأذى ، وأنه إذا صفعك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ، وإذا نازعك أحد في إزارك وادعى ظلماً أنه له فأعطه إزارك ورداءك »<sup>(٥)</sup> . - وروى يوحنا في إنجيله بصدد رجم الزانية أن جماعة من فقهاء اليهود والمنتمين إلى فرقة الفريسيين قد جاءوا يوماً إلى المسيح بامرأة قد قبض عليها وهي متلبسة بجريمة الزنا ، وذكرها

(١) انظر في هذه الوصية الإصحاح الخامس والسادس والسابع من إنجيل متى .

(٢) فقرة ٣٢ لإصحاح ٥ من إنجيل متى .

(٣) مرقس ، لإصحاح ١٠ ، فقرتي ١١ ، ١٢ .

(٤) مرقس لإصحاح ١٠ ، فقرتي ٨ ، ٩ .

(٥) متى ، لإصحاح ٥ ، فقرات ٣٨ - ٤٠ .

له أن موسى قد قرر في شريعته حد الرجم على الزانية ، وطلبوا إليه أن يبين لهم رأيه في هذا الموضوع ، قاصدين بذلك امتحانه واستدراجه لعله يحكم بغير ما أنزل الله فيعطيهم بذلك سلاحاً لمحاربتة والقضاء عليه وعلى دعوته . فأطرق قليلاً وأخذ يخط بيده على الأرض . وظلوا هم يكررون سؤالهم . فرفع بصره وقال لهم : ليبدأ برجمها من لم يرتكب منكم خطيئة . ثم أطرق رأسه وأخذ يخط بيده على الأرض . فأخذ بعضهم ينظر إلى بعض ثم تسلوا واحداً بعد الآخر حتى انصرفوا جميعاً ، لأنه لم يكن واحداً منهم مبرأ من الخطيئة . فرفع المسيح بصره فلم يجد أمامه إلا المرأة . فقال لها أين هؤلاء الذين يتهمونك ؛ ألم يبدأ أحدهم برجمك ؟ فقالت لا يا سيدى . فقال لها وأنا أيضاً لا أعاقبك ؛ اذهبي لسبيلك ولا ترجى لما اقترفته<sup>(١)</sup> . - ومعنى ذلك أن المسيح قد ألغى حد الزنا مكتفياً بأخذ العهد على مقترفه ألا يعود إليه مرة أخرى .

٤ - وأما فيما يتعلق بأخلاق الأناجيل فإنها معمة كل الإمعان في مثاليها وحرية كل الحرص على أن تقوم العلاقات بين الناس على أسس التسامح والعمو ودفع السيئة بالحسنة ، حتى إنها لتكاد تجعل ذلك واجباً من الواجبات . وتبدو هذه القواعد أوضح ما يكون في كثير من الفقرات الواردة في خطبة الجبل السابق ذكرها . فمن ذلك قول المسيح في هذه الوصية : « لقد كان يقال لكم ( يشير إلى بعض التعاليم الواردة في أسفار اليهود ) أحبوا أبناء شعبكم وأبغضوا أعداءكم . وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم وباركوا الذين يلعنونكم ، وقدموا الخبز لمن يكرهونكم ، وادعوا بخير هؤلاء الذين يضطهدونكم ويعدونكم ، حتى تستحقوا أن تكونوا أبناء لأبيكم الذى فى السماوات<sup>(٢)</sup> » . ومن ذلك قوله فى الوصية نفسها :

(١) إنجيل يوحنا فقرات ١ - ١١ من الإصحاح الثامن .

(٢) متى ، إصحاح ٥ فقرات ٤٣ - ٤٥ .

« لا ينبغي أن تقاوموا من يتصدى لكم بالأذى ، وإذا صفعك أحد على خدك  
الأيمن فأدر له الخد الآخر » (١) .

\* \* \*

هذا ، وتتفق الأناجيل الأربعة جميعاً في جوهر القصص والعقيدة والتشريع  
والأخلاق على النحو السابق بيانه ، ويمتاز الإنجيل الرابع ، وهو إنجيل يوحنا ،  
عن الأناجيل الثلاثة السابقة في تاريخ تأليفها بنحو ربع قرن ، بمزيد من التفصيل في  
العقائد والشرائع ، وبالتصدي للرد على البدع التي استحدثت في المجتمعات المسيحية  
في عصره ، وبمزيد من الصراحة في إثبات ألوهية المسيح وبنوته الآب .

\* \* \*

ومع اتفاقها في الجوهر فإنها تختلف فيما بينها في كثير من التفاصيل . ويبدو  
خلافها هذا حتى في القصص نفسه .

فمن ذلك خلافها في نسب المسيح من جهة يوسف النجار زوج أمه مريم .  
فإنجيل متى يذكر في نسبه هذا آباء غير الآباء الذين يذكرهم إنجيل لوقا ، وبينما  
يعد لوقا في سلسلة نسبه إلى إبراهيم الخليل ستة وخمسين أباً يهبط بهم متى إلى  
اثنين واربعين فحسب ، وبينما يعد لوقا في سلسلة نسبه إلى داود واحداً وأربعين  
أباً يهبط بهم متى إلى سبع وعشرين ؛ وبينما يستفاد من متى أن جميع آباء المسيح  
من داود إلى جلاء بابل (٢) ملوك مشهورون يظهر مما ذكر لوقا أن ليس منهم من  
يعد من الملوك المشهورين غير داود وناثان (٣) .

ومن ذلك اختلافها في حادث القبض على المسيح . فقد قص إنجيل متى

(١) متى ، الإصحاح ٥ ، فقرات ٣٨ - ٤٠ .

(٢) انظر الفقرة الأولى من الفصل الأول من هذا الكتاب .

(٣) وازن بين فقرات ١ - ١٧ من الإصحاح الأول من إنجيل متى ، وفقرات

٢٣ - ٢٨ من الإصحاح الثالث من إنجيل لوقا .

خبر القبض عليه في هذه العبارة : « وبيدنا كان المسيح يحدث أنصاره ، قدم يهوذا وهو واحد من حواريينه الإثني عشر ، ومعه جمع كبير بسيوفهم وعصيهم ، وقد جاءوا من عند كبار الكهنة ورؤساء الشعب . وكان يهوذا قد أعطاهم علامة ترشدتهم إلى المسيح ، وذلك بأن يتقدم إليه فيقبله . ولما تقدم إليه سلم عليه وقبله . فحينئذ عرفوا المسيح فتقدموا إليه وقبضوا عليه <sup>(١)</sup> . » . ولسكن إنجيل يوحنا يقص قصة القبض عليه على وجه آخر إذ يقول : « فأخذ يهوذا الجند وخداما من كبار الكهنة والفريسيين وجاءوا إلى هناك بمشاعل ومصاييح وسلاح ، فخرج يسوع ، وهو عالم بكل ما سيحدث ، وقال لهم من تطلبون ؟ فأجابوه نطلب يسوع الناصري ، فقال لهم أنا يسوع الناصري . وكان يهوذا الذي أسلمه وإقفا معهم . فلما قال لهم أنا يسوع الناصري رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض . فأعاد عليهم السؤال قائلاً من تطلبون . فقالوا نطلب يسوع الناصري ، فأجاب يسوع قد قلت لكم إني أنا هو .. <sup>(٢)</sup> » .

— ٦ —

نظرة في موقف الإسلام من هذه الأناجيل

ومن هذا يظهر مبلغ الخلاف بين هذه الأناجيل ومحتوياتها من جهة وما يذكره القرآن عن إنجيل عيسى وعن عيسى نفسه ورسالته وتاريخه من جهة أخرى .

فالقرآن يحدثنا عن كتاب سماوي أنزله الله على عيسى . وهذه أسفار كتبها أناس من البشر بأقلامهم بعد رفع المسيح بنحو ثلاثين سنة ، بل إن آخر إنجيل منها وهو إنجيل يوحنا قد كتبه صاحبه بعد رفع المسيح بنحو خمس وخمسين سنة ،

(١) فقرات ٤٧ - ٥٠ من إنجيل يوحنا ٢٦ من إنجيل متى .

(٢) إنجيل يوحنا ، لأصحاح ١٨ ، فقرات ١ - ٩ .

وهي أسفار غير متفقة كل الاتفاق في محتوياتها ، حتى فيما تروييه عن قصة المسيح نفسه .

والمسيح الذي يحدثنا عنه القرآن غير المسيح الذي تحدثنا عنه هذه الأناجيل . فالمسيح في القرآن إنسان من البشر اصطفاه الله كما اصطفي غيره من الرسل ، وكل ما بينه وبين غيره من البشر من خلاف هو أنه قد ولد بدون أب ، وليس ذلك بعزيز على الله ، فقد خلق الله تعالى آدم من قبل بدون أب ولا أم : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »<sup>(١)</sup> . أما مسيح هذه الأناجيل فهو كائن غريب : هو إله وابن لله وأقوم من الأقانيم الثلاثة المكونة لله !

والقرآن يذكر أن المسيح قد أرسل إلى بني إسرائيل ، كما أرسل إليهم من قبله رسل آخرون لينقذهم مما انحدروا إليه من كفر وضلال ويأتيهم بشريعة جديدة تلائم عصرهم ويهديهم صراطا مستقيما ، وأنه لم يقتل ولم يصاب ولكن شبه لهم ، وأن آدم قد أناب إلى الله واستغفر من خطيئته التي ارتكبها إذ أكل من الشجرة ففجرها الله له ، وأن الخطيئة لا يحمل وزرها غير مقترفها ، فلا تزور وزر أخرى . وفي هذا يقول القرآن الكريم : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفيناه من بعده بالرسل وآتيناه عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس »<sup>(٢)</sup> ، ويقول : « ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل »<sup>(٣)</sup> ، ويقول : « إذا قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ... ورسولا إلى بني إسرائيل أتى قد جئتكم بآية من ربكم ... ومصداقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض

(١) آية ٥٩ من سورة آل عمران .

(٢) آية ٨٧ من سورة البقرة .

(٣) آية ٧٥ سورة المائدة .



الذي حرم عليكم<sup>(١)</sup>...»، ويقول: «... وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم». وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزاً حكيماً<sup>(٢)</sup>، ويقول في صدد آدم: «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم»<sup>(٣)</sup>، ويقول: «وعصى آدم ربه فغوى. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى»<sup>(٤)</sup>، ويقول مقررراً أن الوزر لا يحتمل أئمة وتبعته إلا من اقتربه: «... ألا تزرو وزارة وزر أخرى؛ وأن ليس للانسان إلا ما سعى»<sup>(٥)</sup>. — بينما تذكر هذه الأناجيل أن من أهم الأغراض التي ظهر من أجلها المسيح ابن الله وهو يكفر بدمه الخطيئة التي أرتكبها آدم والتي انتقلت بطريق الوراثية إلى جميع نسله، وأنه قد صلب بالفعل، فحقق بذلك أهم غرض ظهر من أجله.

والقرآن يذكر أن الديانة التي جاء بها المسيح ديانة توحيد تدعو إلى عبادة الله وحده؛ وفي ذلك يقول الله تعالى على لسان المسيح مجيباً على سؤال من ربه: «ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد»<sup>(٦)</sup>، بينما ترى أن الديانة التي تقررها هذه الأناجيل هي ديانة شرك تقوم على الاعتقاد بالتثليث، أي أن الله ثالث ثلاثة: الآب والابن وروح القدس، وعلى الاعتقاد بألوهية المسيح وبنوته لله وأنه أحد الأقانيم الثلاثة. — وقد نرى

(١) آيات ٤٥ — ٥٠ من سورة آل عمران.

(٢) آيتي ١٥٧، ١٥٨ من سورة النساء.

(٣) آية ٣٧ من سورة البقرة.

(٤) آيتي ١٢١، ١٢٢ من سورة طه.

(٥) آيتي ٣٨، ٣٩ من سورة النجم.

(٦) آية ١١٧ من سورة المائدة.

القرآن الكريم في أكثر من آية على المسيحيين تحريفهم لكتاب الله في أسفارهم المزعومة وتغييرهم لطبيعة المسيح ، وزعمهم أنه ابن الله ، واستبدالهم بعقيدة التوحيد التي أسروا بها عقيدة الشرك والتثليث . ومن ذلك قوله تعالى : «وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم » ( أى واتخذوا المسيح بن مريم كذلك إلهاء من دون الله ) «وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون»<sup>(١)</sup> ، وقوله : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بنى إسرائيل أعبدوا الله ربي وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ... ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقه كأننا يأكلان الطعام ... »<sup>(٢)</sup> ، وقوله : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكنيته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة ؛ انتهوا خيراً لكم ؛ إنما الله إله واحد ؛ سبحانه أنى يكون له ولد ؛ له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً »<sup>(٣)</sup> ، وقوله : « وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ، بل له ما فى السموات والأرض ، كل له قانتون » ،<sup>(٤)</sup> وقوله : « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ؛ لقد جئتم شيئاً إداً ؛ تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ، أن دعوا للرحمن ولداً ؛ وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً ؛

(١) آيتى ٣٠ ، ٣١ من سورة التوبة .

(٢) آيات ٧١ - ٧٥ من سورة المائدة .

(٣) آية ٧١ من سورة النساء .

(٤) آية ١١٦ من سورة البقرة .

إن كل من في السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً»<sup>(١)</sup> ، وقوله : « فويل  
للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ،  
فويل لهم بما كتبت أيديهم وويل لهم عما يكسبون »<sup>(٢)</sup> .

والقرآن يذكر أن الشريعة التي جاء بها عيسى شريعة سماوية سمجة تحقق  
صلاح الناس في الدنيا والآخرة ، وتعديل من الشرائع السابقة ما تقتضى الشئون  
الاجتماعية تعديله ، وترفع عن الناس إصرهم ، وتزيل جميع مظاهر العنت والحرج ،  
وتقيم وزناً لضرورات الحياة ، وتكفل للمجتمع الإنسانى الاستقرار ، وتحيط  
نظم العمران وحدوده ووسائل أمنه بسياج من الحماية ؛ على حين أن الشريعة التي  
تذكرها هذه الأنجيل يبدو في كثير من أحكامها مظاهر العنت والحرج  
والنضيق على الناس وعدم إقامة وزن لضرورات الحياة ولا لشئون الاجتماع ،  
كأحكامها الخاصة بتحريم الطلاق وتحريم الزواج على الزوجين إذا فرق بينهما  
عقب ارتكاب أحدهما لجريمة الزنا<sup>(٣)</sup> . بل إن بعض أحكامها ليقرب على العمل  
به إشاعة الفوضى واضطراب الأمن في المجتمع وانتشار الفسق والفجور ، كاتجاهها  
إلى إلغاء القصاص وإلغاء حد الزنا على النحو الذي سبق بيانه . وشريعة كهذه  
لا يمكن أن تصدر عن عاقل ، فضلا عن صدورها عن الله الخليم العليم .

والقرآن يحث على التسامح والعفو عن الأذى ويجعل ذلك مثلاً أعلى ،  
ويعظم من أجر فاعله ؛ ولكن لا يوجب على الناس ، بل يقرر مسئولية البادى ،  
ويقوم جزاءه على أساس القصاص والمقابلة بالمثل ، حتى لا يرهق الناس عسرا

(١) آيات ٨٨ - ٩٣ من سورة مريم .

(٢) آية ٧٩ من سورة البقرة .

(٣) انظر تطبيق على هذه الأحكام والموازنة بينها وبين أحكام الشريعة الإسلامية في  
كتابى عن « حقوق الإنسان في الإسلام » وفى كتابى عن « بيت الطاعة والطلاق وتمدد  
للزوجات في الإسلام » .

من أمرهم ، وحتى يحيط أرواحهم وأموالهم بسياج من القدسية والحماية ، وحتى لا يستهين الفرد بانتهاك حقوق الآخرين وتعدى حدود الله . وفي هذا يقول الله تعالى في كتابه الكريم : « وإن عاقبتم فاعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ؛ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين (١) » ، ويقول : « جزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بمد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق ؛ أولئك لهم عذاب أليم . ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور (٢) » ، ويقول : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم (٣) » . —

على حين أن هذه الأناجيل تحاول أن توجب على جميع الناس التسامح ، وتسكاد تفرض على الفرد المغو عما يلحقه من غيره من ضرر وأذى ؛ « فإذا صفعه أحد على خده الأيمن وجب عليه أن يدير له الخد الآخر ليصفعه عليه كذلك ، وإذا نازعه أحد في إزاره وادعى ظلماً أنه له وجب عليه أن يتنازل له عن إزاره ورذائه معاً » . — وهذا ، ولا شك ، مثل أعلى للأخلاق الكريمة قد يفعله صفة من خيار الناس ممن سماهم القرآن « ذوى الحظ العظيم » ، ولكن لا يعقل أن شريعة سماوية تجعله واجباً على جميع الناس كما تفعل هذه الأناجيل .

والقرآن يذكر أن الحواريين كانوا من أنصار الله ومن الداعين إلى عقيدة التوحيد : « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله (٤) » ؛ على حين أن هذه الأناجيل ينسب تدوينها لبعض حوارى المسيح وتلاميذه وتابعيهم مع اشتغالها

(١) آية ١٢٦ من سورة النحل .

(٢) آيات ٤٠ — ٤٣ من سورة الشورى .

(٣) آيتى ٣٤ ، ٣٥ من سورة فصلت .

(٤) آخر آية من سورة الصف .

على تقرير عقيدة الشرك والتثليث وألوهية المسيح ونسبة الولد لله . فإما أن يكون الأشخاص الذين تنسب إليهم هذه الأناجيل هم غير الحواريين والأنصار الذين يحدثنا عنهم القرآن ؛ وإما أن يكونوا هم الذين يحدثنا عنهم القرآن ويذكر أنهم أنصار الله والدعاة إلى توحيده ، وتكون هذه الكتب من تأليف أناس آخرين ونسبت إليهم بهتاناً وزوراً . وقد رأينا فيما سبق أن أئمة الباحثين في هذه الأمور في الوقت الحاضر يقطعون بأن مؤلف إنجيل يوحنا شخص آخر غير يوحنا الحوارى . وما حدث في إنجيل يوحنا يمكن أن يكون قد حدث مثله في غيره من الأناجيل . بل إن جماعة العلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل المسيحية في دائرة المعارف الفرنسية المعروفة باسم « لاروس القرن العشرين » ليذهبون إلى أن التحقيق العلمى والتاريخى يؤيد أن هذه الأناجيل قد كتبها أناس غير الحواريين والتلاميذ والتابعين الذين تنسب إليهم .

- V -

الأناجيل غير المعتمدة عند المسيحيين

كان لدى المسيحيين في القرنين الأول والثانى الميلاديين أناجيل كثيرة غير الأناجيل الأربعة السابق ذكرها . وكان لكل فرقة من فرقهم إنجيلها أو أناجيلها الخاصة التى تعتمد عليها وتفعل ما عداها من الأناجيل أو تحكم بزيفها وبطلانها . فكان ثمة إنجيل ينسب لمتى غير إنجيله السابق ذكره فى الأناجيل الأربعة ، وإنجيل ينسب لبرنابا ، وإنجيل ينسب للحوارى يعقوب Saint Jacques ، وإنجيل ينسب للحوارى توماس Saint Thomas ( ويقص هذان الإنجيلان الأخيران أموراً أغفلتها الأناجيل الأربعة عن تاريخ مريم وطفولة المسيح ) ، وإنجيل ينسب للقديس نيكوديم Saint Nicodème ( أحد رؤساء اليهود فى عهد المسيح ، وقد لقي المسيح وجرت له معه مناقشات فى الشئون الدينية ، وآمن

برسالته ، وأظهر إيمانه بعد رفع المسيح . — وقد كتب إنجيله باليونانية ، ويقص فيه بعض تفاصيل لم تذكرها الأناجيل الأربعة عن موت المسيح ونزوله إلى «المظهر» أو البرزخ والأعراف (les limbes) وهو عند المسيحيين مقر الأرواح الطيبة التي مات أصحابها قبل بعث المسيح ومقر أرواح الأطفال الذين ماتوا من قبل أن يعمدوا، ومقر مرتكبي الخطايا من المسيحيين، ويحتاز هؤلاء جميعاً في المظهر مرحلة ألم وعذاب قبل أن يدخلوا الجنة ) ، وإنجيل يقال له « إنجيل السبعين » وينسب إلى تلامس ، وإنجيل يقال له « إنجيل الاثني عشر » l'Evangile des Douze ، وإنجيل اشتهر باسم « التذكرة » ، وإنجيل كان يسمى « إنجيل العبريين أو الناصريين » l'Evangile des Hébreux ou des Nazaréens ، وإنجيل كان يسمى « إنجيل المصريين » l'Evangile des Egyptiens ، وكان لكل من أتباع ديصان وأتباع ماني وأتباع مرقيون أو مرسيون (١) وأتباع إييون des Ebionites إنجيل خاص يختلف عن إنجيل من عدام .

ثم أرادت الكنيسة المسيحية في أواخر القرن الثاني الميلادي أو أوائل القرن الثالث أن تستبعد الأناجيل غير المعتمدة في نظرها وتحكم ببطلاها، وتحافظ على ما تمتد صدق حقائقه وصحة نسبهته إلى صاحبه ؛ فاختارت الأناجيل الأربعة السابق ذكرها من بين الأناجيل الكثيرة التي كانت رائجة حينئذ ؛ وقررت أنها هي وحدها الأناجيل الصادقة في حقائقها وفي صحة نسبتها إلى أصحابها ، وأن ما عداها من الأناجيل أناجيل موضوعة مزيفة غير صحيحة في حقائقها ، ومعظمها غير صحيح في نسبهته إلى من ينسب إليه ؛ وأرادت المسيحيين على قبولها ورفض ما عداها ؛ وتم لها ما أرادت ؛ فصارت هذه الأناجيل الأربعة هي المعتمدة دون سواها ؛ مع أن هذه الأناجيل كانت قبل ذلك العهد أقل ذيوماً وشهرة

(١) سنتكلم على مرسيون وفرقتهم في الفقرة التاسعة من هذا الفصل .

من بعض الأناجيل الأخرى ، بل كانت مجهولة لكثير من المسيحيين ؛ وأول من أذاع ذكر هذه الأناجيل القديس إرينيه Saint Irénée إذ قرر في سنة ٢٠٩ أن هذه الأناجيل الأربعة هي مجرد صور لإنجيل واحد 'Evangile tetramophe . ثم جاء من بعده القديس كليمان الإسكندري Saint Glément d'Alexandrie (من كبار رجال الكنيسة وفعالها توفي سنة ٢٢٠ ) وقرر في سنة ٢١٦ أن من واجب المسيحي التسليم بصحة هذه الأناجيل الأربعة .

هذا ، وسنلقى فيما يلي نظرة على ثلاثة من الأناجيل غير المعتمدة وهي إنجيل متى غير المعتمد وإنجيل الإيونييين وإنجيل برنابا ، لاختلافهما اختلافا جوهريا عن الأناجيل الأربعة في بعض نواحي العقيدة وشخصية المسيح وتاريخه وتاريخ مسيرته ، ولاتفاقها في بعض هذه الأمور مع ما قرره القرآن ، مفصلين القول ببعض التفصيل في إنجيل برنابا لكثرة وجوه الخلاف بينه وبين الأناجيل الأربعة وكثرة وجوه الاتفاق بينه وبين القرآن وعقائد المسلمين ، ومجملين القول في الإنجيلين الآخرين لأنها لا يبلغان مبلغ إنجيل برنابا في هذه الوجوه .

أما إنجيل متى غير المعتمد عند المسيحيين 'Evangile de Pseudo Mathieu فمن أهم ما يختلف فيه عن الأناجيل الأربعة ما يذهب إليه في تاريخ مسيرته المسيح . وذلك أن الأناجيل الأربعة ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ، تذكر أن مسيرته كانت مخطوبة أوزوجة ليوسف النجار ، وأنها جاءت بالمسيح بدون أن يمسه يوسف . وأما إنجيل متى غير المعتمد عندهم فيقرر أنها لم تكن زوجة ولا مخطوبة وإنما كانت من العذارى اللائي نذرن أنفسهن ونذرهن أهلهن لخدمة المعبد ، أي كانت من الراهبات اللائي كن يتوفرن على العبادة وخدمة المعابد التي يمكنهن فيها<sup>(١)</sup> . وهذه الطائفة كان يحرم على أفرادها الزواج والانصال بالرجال ،

V. Westermarck : Origine et Développement (١)  
des Idées Morales (tra. fran.) T.11, p. 398.

كشأن الراهبات المسيحيات في الوقت الحاضر . ويتفق هذا من بعض نواحيه مع  
ما ورد في القرآن الكريم في هذا الصدد إذ يقول : « إذ قالت امرأة عمران رب  
إني نذرت لك ما في بطني محرراً، فتقبل مني إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها  
مقات رب إني وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكور كالأثني ، وإني  
سميتها مريم ، وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، فتقبلها ربها بقبول  
حسن وأنتها نباتا حسنا ، وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد  
عندها رزقا . قال يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله ، إن الله يرزق من  
يشاء بغير حساب » (١)

وأما إنجيل الأيونيين *Evangile des ébionites* فهو إنجيل مدون باللغة  
الأرامية كانت تمسك به فرقة مسيحية تسمى فرقة الإيونيين نسبة إلى زعيمها  
إيون *Ebion* . وقد ظل لهذه الفرقة أشيع حتى أواخر القرن الرابع الميلادي  
ثم انقرضت بعد ذلك . ويقر هذا الإنجيل جميع شرائع موسى ، ويعتبر عيسى  
هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم وينكر أوهيته ، ويعتبره  
مجرد بشر رسول . وهو فيما يتعلق بشخصية المسيح يتفق مع العقائد الإسلامية  
المستمدة من نصوص القرآن الكريم .

وأما إنجيل برنابا فهو منسوب للقديس برنابا الذي ترجمنا له في الفقرة الثانية من  
هذا الفصل . وكان معروفا لدى المسيحيين منذ أقدم عصورهم أن لبرنابا إنجيلا ،  
وهو ذكر هذا الإنجيل فيما ينسب لقداى رجال الكنيسة من بحوث وقرارات ،  
ومن ذلك القرار الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول *Saint Gélase 1<sup>er</sup>* (الذي  
تولى بابوية الكنيسة الكاثوليكية بروما من سنة ٤٩٣ إلى سنة ٤٩٦) وعدد  
فيه الكتب النهى عن قراءتها ، وذكر من بين هذه الكتب إنجيل برنابا .

(١) آيات ٣٥ - ٣٧ من سورة آل عمران .



وهذا يدل على أن إنجيل برنابا كان معروفاً في القرن الخامس الميلادي ، أي قبل بعثة رسولنا عليه السلام بنحو قرنين .

غير أنه يظهر أنه قد اختفت من بعد ذلك جميع نسخ هذا الإنجيل ولم يعلم الناس يعرفون شيئاً عن محتوياته . ولعل تحريم قراءته هو الذي انتهى به إلى ذلك . وظل الأمر على هذه الحال حتى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي . وفي سنة ١٧٠٩ عثر كريم أحد مستشاري ملك روسيا على نسخة من هذا الإنجيل مكتوبة باللغة الإيطالية وعلى هامشها تعليقات باللغة العربية . وانتقلت هذه النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار في سنة ١٧٣٨ إلى البلاط الملكي بفيينا .

وغنى عن البيان أن هذه النسخة مترجمة عن اللغة التي كتب بها في الأصل هذا الإنجيل . فإذا صح أن مؤلفه هو برنابا فإن من الراجح أن يكون قد كتبه بإحدى اللغات الثلاث التي كانت المؤلفات الدينية وغيرها تدون بها في عصره وفي بيئته وهي اللغات العبرية والآرامية واليونانية . ولا يمكن أن يكون قد كتب في الأصل باللغة الإيطالية ؛ لأن اللغة الإيطالية لغة حديثة لم يتم تكونها وانشائها عن أمها اللاتينية إلا حوالي القرن السادس عشر الميلادي .

هذا ويختلف هذا الإنجيل اختلافاً جوهرياً عن الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين في كثير من نواحي العقيدة وشخصية المسيح وتاريخه ، ويتفق كل الاتفاق فيما يقرره في هذه الشؤون مع العقيدة الإسلامية المستمدة من القرآن . ويرجع أهم ما خالف فيه الأناجيل الأربعة المعتمدة ووافق فيه العقيدة الإسلامية إلى الأمور الثلاثة الآتية :

١ - أنه يقرر أن المسيح ليس إلا بشراً رسولاً وأنه ليس إلهاً ولا ابناً لله فهو يقول في مقدمة إنجيله : « أيها الأعزاء إن الله العظيم قد اختصنا بنبيه يسوع

المسيح رحمة عظيمة للعالمين ، وخصه بمعجزات أخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين ، فأخذوا يبشرون بقعالم ممعنة في الكفر ، داعين أن للمسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذي أمر الله به ومجوزين كل لحم نجس<sup>(١)</sup> . وقد ضل مع هؤلاء بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسف والأسى . وهذا هو ما دعاني لأن أسطر الحق في هذه الشئون . و يروى في آخر الفصل الثالث والتسعين أنه قد « قدم على المسيح كبير الكهنة مع الوالى الرومانى وللملك هيرودس ملك اليهود ، فذكر له كبير الكهنة أن فريقاً من الناس يقولون إنه إله وأن فريقاً آخر يقولون إنه ابن الله ، وطلب إليه أن يعمل على إزالة هذه الفتنة التى ثارت من أجله . فقال له يسوع وأنت يا رئيس الكهنة لماذا لم تخمد الفتنة ؟ ! وهل جننت أنت أيضاً ؟ ! وهل أأمست النبوات وشريعة الله نسيا منسيا ؟ ! . ثم قال : إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنى برىء من كل ما قاله الناس عنى من أنى أعظم من بشر ، لأنى بشر مولود من امرأة ، وعرضة لحكم الله ، أعيش كسائر البشر... » . — و يقول في آخر الفصل السبعين إن يسوع قد نظر إلى الحواريين عند ما بلغه افتتان الناس به وادعائهم أنه إله أو أنه ابن الله ، وطلب إليهم أن يبدوا رأيهم فى ذلك . فأجاب بطرس : إنك المسيح ابن الله . فغضب حينئذ يسوع وانتهر قائلاً : « اذهب واطصرف عنى ، لأنك أنت الشيطان ... » .

٢ — أنه يقرر أن المسيح لم يصاب ولسكن شُبّه لهم ، فيتفق هذا مع ما يقرره القرآن الكريم إذ يقول « ... وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولسكن شُبّه لهم ... »<sup>(٢)</sup> . فيقرر هذا الإنجيل أن الله الذى شبه المسيح على يهوذا الإسخريوطى فأخذوه وصلبوه ظانين أنه المسيح .

(١) انظر ترجمة الحوارى يعقوب الصغير وما أدخله من تعديل فى موضوع الختان وإخلال لحم الخنزير فى الفقرة الأولى من هذا الفصل صفحة ٥٨ .  
(٢) آية ١٥٧ من سورة النساء .

وفي هذا يقول ما نصه : « ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع ، سمع يسوع دنو جم غفير ، فانسحب إلى البيت خائفاً . وكان الأحد عشر نياماً ( يقصد الحواريين الأحد عشر ) . فلما رأى الله الخطر على عبده أمر سفراء جبريل وميخائيل ورفائيل وأدرييل ( أى جبريل وميخائيل وإسرافيل وعزرائيل ) أن يأخذوا يسوع من العالم . فأخذوه من النافذة المشرفة على الجنوب ووضعوه في السماء الثالثة مع الملائكة الذين يسبحون الله الليل والنهار لا يفترون ... ودخل يهوذا بعنف إلى الحجرة التي عرج منها بالمسيح ؛ وكان التلاميذ كلهم نياماً . فأتى الله بأسر عجيب ، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه ، وأصبح شبيهاً بيسوع في كل شيء ، حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين هو المعلم ( يقصد المسيح ) . لذلك تعجبنا وأجبناك أنت يا سيدي . معلمنا ، أنسينا الآن ... » .

ويذكر في موطن آخر : « الحق أقول : إن صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه يسوع ، لذلك خرج بعضهم من تعاليم يسوع ، معتقدين أنه كان نبيا كاذبا ، وأن الخولرق التي ظهرت على يديه إنما ظهرت بصناعة السحر ، لأن يسوع قال إنه لا يموت ... » . ثم يذكر أن يسوع طلب إلى الله أن ينزل إلى الأرض بعد رفعه ليرى أمه وتلاميذه وليزيل ما علق بنفوس الناس من شك في أمره ومن اعتقاد بأنه هو الذي صلب . وأنه نزل ثلاثة أيام . ثم يقول : « ووبخ كثيرين ممن اعتقدوا أنه مات ، وقال لهم : إن الله قد وهبني أن أعيش : أتجسبونني أنا والله كاذبين ... الحق أقول : لكم إنني لم أمت ، بل الذي صلب هو يهوذا الخائن . احذروا لأن الشيطان سيمحاول جهده أن يخدعكم ، وكوني شهودي في كل إسرائيل وفي العالم أجمع على جميع الأشياء التي رأيتموها وسمعتموها » .

٣ — أنه يقرر أن مسيا أو المسيح المنتظر الذي ورد ذكره في العهد القديم ليس يسوع بل محمدا عليه السلام . وقد ذكر محمدا ، أى لفظا يفيد مذلوله شخصا . كثير حمد الناس له وثناؤهم عليه ، في كثير من فصوله ، وقال إنه رسول الله وإن آدم لما طرد من الجنة رأى سطوراً كتبت فوق بابها بأحرف من نور : لا إله إلا الله ؛ محمد رسول الله . ويزوى عن المسيح أنه قال : « إن الآيات التي يظهرها الله على يدي تدل على أني أتكلم بما يوحي إلىّ به ؛ ولست أحسب نفسى نظير الذي تقولون عنه ( يقصد المسيح المنتظر الذي يتحدث عنه العهد القديم ) لأننى لست أهلا لأن أحل رباطات أو سيور حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيا الذي خلق قبلى ، وسيأتى بعدى بكلام الحق ، ولا يسكون لدينه نهاية » . — ويذكر في الفصلين الثالث والأربعين والرابع والأربعين كلاما وافية في تبشير المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم ، لأن التلاميذ طلبوا من المسيح أن يصرح لهم به ، فصرح بما يعلن حقيقته . ويبين ماله من شأن .

وهذا يتفق في جملته مع ما يذكره القرآن عن عيسى إذ يقول : « وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد » (١) .

\* \* \*

ويخالف هذا الإنجيل كذلك العقيدة المسيحية والعقيدة اليهودية ويتفق مع أرجح الآراء عند المسلمين فيما ينقله عن المسيح بشأن الذبيح الذي تقدم به إبراهيم عليه السلام للقاء ، فيقرر أن المسيح قد بين أن هذا الذبيح هو إسماعيل وليس اسحاق كما هو مذکور في توراة اليهود . وهذا هو نص ما جاء في إنجيل برنابا على لسان المسيح عليه السلام . « الحق أقول لكم ، إنكم إذا أعنتم النظر في

(١) آية ٦ من سورة الصف .

كلام الملك جبريل تملعون خبت كتبنا وفتحنا. لأن المسلاك قال يا إبراهيم  
سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ، واسكن كيف يعلم العالم محبتك لله ؟ حقاً  
يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله . فأجاب إبراهيم ها هو ذا عبد الله  
مستعد أن يفعل كل ما يريد الله . فكلّم الله حينئذ إبراهيم قائلاً خذ ابنك  
بكرتك واصعد إلى الجبل لتقدمه ذبيحة . فكيف يكون اسحاق البكر وهو لما  
ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين . »

\* \* \*

هذا ، ويقدم فقهاء المسيحيين وباحثوهم شواهد كثيرة تدل على أن هذا  
الإنجيل موضوع بقلم بعض المسلمين ، وأن مؤلفه قد نسبه زورا إلى برنابا لترويج  
ما يتضمنه . وكثير مما يقدمه هؤلاء من شواهد لا يقطع بصحة ما يذهبون إليه ؛  
وإن كان بعض ما يشتمل عليه هذا الكتاب نفسه يحمل على الظن بأنه موضوع ،  
وخاصة ما يقرره من أمور تمثل روايات ذكرها بعض مؤلفي المسلمين ولا يطعن  
إلى مثلها المحققون منهم ؛ كما يقرره عن آدم وأنه لما طرد من الجنة رأى سطورا  
كتبت فوق بابها بأحرف من نور : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وما ينسبه  
إلى المسيح من أقوال تمثل تحقيقات الفقهاء والمؤرخين لا كلام الأنبياء كالأقوال  
التي ينسبها إلى المسيح بشأن الذبيح وما يذكر أن المسيح قد قدمه من أدلة على  
أنه هو إسماعيل لا إسحاق .

والإسلام ليس في حاجة إلى كتاب كهذا تحوم حوله شكوك كثيرة لتأييد  
ما يذكره القرآن عن المسيح وحقيقة ديانته وتبشيريه بالرسول . فالقرآن ، وهو  
الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، هو الذي نتخذ  
دليلاً في الحكم على أنجيلهم المزعومة ومبلغ تحريفها للإنجيل الذي أنزله الله  
على عيسى ؛ ولا ينبغي أن نتخذ سفراً مشكوكاً في صحته نسبته إلى صاحبه دليلاً  
على ذلك ولا أن نعتمد عليه لإقناع المسيحيين ببطلان ما أقروه من أنجيل .

### بقية أسفار العهد الجديد

تمثل الأناجيل الأربعة المعتمدة المجموعة الأولى من أسفار العهد الجديد .  
وهي في نظرهم أهم مجموعاته . أما بقية أسفار هذا العهد فعددها ثلاث وعشرون سفراً  
منها سفران منفردان ، وهما سفر « أعمال الرسل » للوقا وسفر « رؤيا يوحنا » ،  
ومجموعتان من الأسفار : تضم إحداهما أربعة عشر سفراً وهي رسائل بولس ؛ وتضم  
الأخرى سبعة أسفار وهي الرسائل الكاثوليكية . وقد فرغنا فيما سبق من  
الكلام على مجموعة الأناجيل ، وسنتكلم فيما يلي على الأسفار الثلاثة  
والعشرين الباقية من أسفار العهد الجديد ، ونذكرها حسب ترتيبها التقليدي  
في هذا العهد .

١ - سفر « أعمال الرسل » Actes des Apôtres ( أو سفر پر كسيس Praxis  
مأخوذ من كلمة يونانية معناها الأعمال ) . وينسب هذا السفر للقديس لوقا صاحب  
إنجيل الثالث الذي تحدثنا عنه وعن إنجيله في الفقرتين الثانية والرابعة من  
هذا الفصل . وقد كتبه باللغة اليونانية حوالي سنة ٦٣ ميلادية على أرجح الأقوال ،  
أى في العصر نفسه الذي كتب فيه إنجيله . ولا يستأثر هذا الكتاب إلا بحير  
يسير من العهد الجديد لا يزيد كثيراً على عشره ( يستغرق نحو ثلاثين صفحة من  
صفحات العهد الجديد البالغة نحو ٢٥٠ صفحة في إحدى ترجماته بالفرنسية ) .  
وموضوعه تاريخ حياة الحواريين وتاريخ طائفة ممن كان لهم أثر كبير في المسيحية  
من التلاميذ والتابعين . فالكلمة الأولى من عنوان هذا الكتاب ، وهي كلمة  
« أعمال » معناها تاريخ حياتهم أو ما عملوه وما أترعهم . والكلمة الثانية من  
عنوانه وهي « الرسل » معناها في اصطلاح المسيحيين الحواريون ، لأنهم يعتقدون

أن هؤلاء قد أرسلهم الرب وهو عيسى إلى مختلف شعوب العالم لنشر المسيحية بين الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم ؛ وعددهم كما تقدم اثنا عشر حواريا ؛ وقد ضم إليهم فيما بعد الرسول بولس الذي ظهر له المسيح بعد رفعه — على حد ما يعتقد المسيحيون — وأرسله إلى الأمم الضالة . غير أن هذا الكتاب لا يقتصر على تاريخ الحواريين الأصليين وتاريخ بولس ، بل يعرض كذلك ، كما قلنا ، لتاريخ طائفة ممن كان لهم أثر كبير في المسيحية من التلاميذ والتابعين كبرنابا ومرقص . وهو يتناول شخصياته بتفصيل في مختلف شئون حياتهم ، وخاصة ما تعلق منها بالناحية الدينية ، كجهادهم وتقلبهم في البلاد لنشر المسيحية ، وما أحرزوه من نجاح في هذا السبيل ، وما ظهر على أيديهم من معجزات ، وما لاقوه من عنت وعذاب واستشهاد . وفي ثنايا هذا العرض التاريخي يتحدث عن كثير من العقائد والشرائع التي كان ينشرها هؤلاء بين الناس . وقد عنى لوقا بوجه خاص في كتابه هذا بتاريخ حياة بولس وجهاده في سبيل نشر المسيحية . وما ظهر على يديه من معجزات ، حتى لقد وقف عليه وحده ما يزيد على نصف صفحات كتابه . وتدل العبارة التي افتتح بها لوقا كتابه هذا أنه قد كتبه للشخص نفسه الذي كتب له إنجيله ، وهو ثيوفيلوس . فهو يفتتح كتابه بهذه العبارة : « ثيوفيلوس ، قد تكلمت في كتابي الأول ( يقصد إنجيله الذي كتبه لهذا العظيم نفسه ) على جميع ما فعله المسيح وما قرره من تعاليم منذ نشأته إلى أن رفع إلى السماء ، بعد أن أعطى أوامره ، عن طريق روح القدس ، إلى الحواريين الذين اصطفاهم . » ثم يأخذ بعد ذلك في سرد تاريخ الحواريين بعد حادث الصلب فيقول : « وقد ظهر المسيح حيا للحواريين بعد صلبه ، وقدم لهم عدة أدلة على صدقه ، وظل بينهم أربعين يوما متحدثا إليهم بأمور كثيرة عن ملكوت الله ... » .

ولما كان هذا الكتاب يتفق مع الأناجيل في أن موضوعه الأساسي موضوع تاريخي ، لأن الموضوع الأساسي للأناجيل هو تاريخ المسيح ، والموضوع الأساسي

لهذا الكتاب هو تاريخ أنصاره من بعده ، لذلك جرت العادة بأن تطلق كلمة « الأسفار التاريخية » على الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل . صحيح أن كل سفر من هذه الأسفار يعرض في ثنايا ما يذكر من تاريخ لكثير من شئون العقيدة والشريعة ؛ ولكنه يتناول هذه الأمور عرضاً وبمقدار اتصالها بموضوعه الأساسي . وهو التاريخ .

هذا ، ويذكر التاريخ المسيحي أسفاراً أخرى قديمة عرضت للموضوع نفسه الذي عرض له هذا الكتاب وسميت باسمه ، من أشهرها سفر « أعمال الرسل » لبرنابا . ولكن الكنيسة المسيحية اعتمدت هذا الكتاب وحده ، وهو سفر « أعمال الرسل » للوقا ؛ ورفضت ما عداها من الأسفار القديمة التي عرضت لموضوعه نفسه وحكمت بزيفها وعدم صحة نسبتها إلى من تنسب إليهم من الحواريين والتلاميذ ، أي اعتبرتها من الأسفار الخفية Apocryphes حسب الاصطلاح المسيحي<sup>(١)</sup> ، كما حكمت الحكم نفسه على ما عدا الأناجيل الأربعة من الأناجيل التي كانت معروفة لدى المسيحيين في عهودهم الأولى . ومن أجل ذلك بقي سفر « أعمال الرسل » للوقا وانقرض ما عداها من الأسفار القديمة التي عرضت لما عرض له ، فلا يحدثنا التاريخ المسيحي إلا عن أسمائها ، ولا نكاد نعلم شيئاً يعتقد به عن مبالغ الخلاف بينها وبين سفر لوقا ؛ وإن كان من الممكن أن نستنتج ، في ضوء ما ذكرناه عن إنجيل برنابا ومبلغ الخلاف بينه وبين الأناجيل الأربعة ، أن سفر « أعمال الرسل » الذي ينسب إلى برنابا لا بد أن يكون كذلك مختلفاً في قصصه التاريخي اختلافاً كبيراً عن سفر « أعمال الرسل » للوقا .

( ٢ - ١٥ ) رسائل بولس Epîtres de saint Paul وعددها أربع عشرة رسالة كتبها كلها في الأصل باللغة اليونانية في عصور مختلفة تبدأ من نحو سنة ٤٥ :

(١) انظر معنى هذه الكلمة في أول الفقرة السابعة من الفصل الأول من هذا الكتاب .



موتتهى حوالى سنة ٦٥ ؛ منها عشر رسائل إلى بعض البلاد وبعض الشعوب وأربع رسائل إلى بعض تلاميذه .

أما الرسائل العشر التي أرسلها إلى بعض البلاد وبعض الشعوب فهي : رسالة إلى الرومان ؛ ورسالتان إلى أهل كورنثوس Corinthiens ؛ ورسالة إلى أهل غلاطيا Galates ؛ ورسالة إلى أهل إفسوس Ephésiens ؛ ورسالة إلى أهل فيلبي Philippiens ؛ ورسالة إلى أهل كولوس Colossiens ؛ ورسالتان إلى أهل تسالونيكي Thessaloniens ؛ ورسالة إلى العبريين .

وأما الرسائل الأربع التي أرسلها إلى بعض تلاميذه فهي : رسالتان إلى تلميذه تيموثاوس Timothée ؛ ورسالة إلى تلميذه تيطس Tite ؛ ورسالة إلى تلميذه فيليمون Philémon .

وترتب رسائل بولس في العهد الجديد حسب ترتيبها السابق ما عدا رسالة بولس إلى العبريين فتوضع في آخر هذه الرسائل جميعا .

وتستأثر هذه الرسائل بأكبر حيز من العهد الجديد ، حتى إنها تستغرق وحدها نحو ثلث صفحاته ( تستغرق نحو ٧٥ صفحة من صفحات العهد الجديد البالغ عددها نحو ٢٥٠ في إحدى ترجماته إلى الفرنسية ) .

وهي تعرض في صورة مفصلة لكثير من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها وأخلاقها ، وتوجه قسما كبيرا من عنايتها إلى توضيح العقيدة وتقرير ألوهية المسيح وبنوته لله ومبدأ الثلثية :

La Trinité : les trois hypostases : le Père; le Fils; et le Saint Esprit.

ومن أجل ذلك تعتمد المسيحية الحاضرة على رسائل بولس أكثر من اعتمادها على ما عداها من أسفار العهد الجديد ، وتنسب هذه المسيحية إلى بولس أكثر مما تنسب إلى سواه ؛ حتى إن كلمة « الرسول » إذا أطلقت تنصرف عندهم إليه وحده .

صحيح أن الأناجيل نفسها وسفر أعمال الرسل قد عرضت كذلك للعقائد والشرائع والأخلاق؛ ولكنها عرضت لهذه الأمور في صورة مجملّة وفي ثنايا قصصها التاريخية عن المسيح وأنصاره . وبعض ما ذكرته عن هذه الأمور قد أوردته في عبارات غامضة يعوزها الشرح والتوضيح . على حين أن رسائل بولس قد جمعت هذه الأمور موضوعها الأصيل ، وعالجتها في صورة مفصلة واضحة ، وكانت صريحه كل الصراحة في إثبات ألوهية المسيح وبنوته لله وعقيدة التثليث .

هذا، ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل جميعا إلا في سنة ٣٦٤ . أما قبل ذلك فكان بعض هذه الرسائل موضع شك في صحة نسبه إلى بولس عند كثير من المسيحيين ، حتى إن مجمع نيقية Concile de Nicée المنعقد سنة ٣٢٥ وهو من أكبر مجامعهم « المسكونية » œcuméniques ( أى التي اجتمع فيها ممثلون لجميع بلاد العالم المسيحي ) لم يعترف برسالة بولس إلى العبرانيين واعتبرها مزيفة مدسوسة عليه .

وقد ظهر للمحدثين من علماء المسيحيين المشتغلين في الوقت الحاضر بشئون ديانتهم وأسفارها أن من هذه الرسائل ثلاث رسائل موثوق بصحتها وصحة نسبتها إلى بولس وهى رسالته إلى الرومان ورسالته إلى أهل كورنثوس ، وأربع رسائل مقطوع بعدم صحة نسبتها إليه وهى رسالته إلى أهل إفسوس ورسالته إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطس ، وأن ما بقى من هذه الرسائل مشكوك في صحة نسبتها إليه .

( ١٦ -- ٢٢ ) الرسائل الكاثوليكية les Epîtres catholiques وهى .

سبع رسائل كتبت كلها فى الأصل باللغة اليونانية ؛ وكتبت فى عهود مختلفة . يرجع أقدمها إلى حوالى سنة ٥٠ وأحدثها إلى حوالى سنة ٩٠ بعد الميلاد ، منها رسالة لاجوارى يعقوب الصغير ورسالتان لبطرس كبير الحواريين وثلاث

رسائل للحواري يوحنا صاحب الإنجيل الرابع ورسالة للحواري يهوذا أخى يعقوب الصغير . — وهى مرتبة فى العهد الجديد حسب ترتيبها السابق .

ولا تستأثر هذه الرسائل كلها فى العهد الجديد إلا بحيز يسير لا تزيد نسبتته كثيراً على نسبة خمسة فى المائة ( تستغرق نحو ١٥ صفحة فقط من صفحات العهد الجديد البالغ عددها ٢٥٠ صفحة فى إحدى التراجم الفرنسية ) ، والرسائل الثلاث الأخيرة من هذه الرسائل ، وهى الرسالتان الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا ، لا تتجاوز كل رسالة منها صفحة واحدة .

وتعرض هذه الرسائل لبعض نواح من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها وأخلاقها ، وتعنى بوجه خاص بالرد على البدع المستحدثة . فهى تتفق إذن فى موضوعها مع رسائل بولس ، وإن كانت تقل عنها كثيراً فى حجمها واستيعابها لهذا الموضوع . ومن أجل ذلك يطلق على رسائل بولس والرسائل الكاثوليكية اسم « الأسفار التعليمية » للعهد الجديد ، وذلك فى مقابل أسفار الأنجيل وسفر أعمال الرسل التى يطلق عليها اسم « الأسفار التاريخية » كما تقدم بيان ذلك .

هذا ، ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل جميعاً إلا فى سنة ٣٦٤ . أما قبل ذلك فكان كثير منها موضع شك فى صحة حقايقها وصحة نسبتها إلى أصحابها عند كثير من المسيحيين ، حتى إن مجمع نيقية نفسه ، وهو من أكبر مجامعهم « المسكونية »<sup>(١)</sup> كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ، لم يعتمد إلا رسالتين اثنتين من هذه الرسائل وهى رسالة بطرس الأولى ورسالة يوحنا الأولى ورفض ما عداهما .

٢٣ — « رؤيا يوحنا » أو « السفر النبوى » أو « التنبؤ » أو « الأپوكاليس » Apokalupsis ( وهى كلمة يونانية الأصل معناها الوحى أو الرؤيا ومنها الكلمة الفرنسية Apocalypse ) .

(١) انظر معنى هذه الكلمة فى صفحة ٩٣ .

وقد كتبها يوحنا صاحب الإنجيل الرابع باللغة اليونانية ، وكان تأليفها على أرجح الآراء في عهد الامبراطور دوميسيان Domitian ( امبراطور الدولة الرومانية الغربية من سنة ٨١ إلى سنة ٩٦ م ) . وتستأثر في العهد الجديد بمثل الحيز الذي تستأثر به الرسائل الكاثوليكية ( نحو ١٥ صفحة من ٢٥٠ صفحة ) .

وهي رؤيا منامية رآها الرسول يوحنا وأوحى إليه فيها بكثير من حقائق الديانة المسيحية وأحداث المستقبل . ويرجع أهم ما تشتمل عليه هذه الرؤيا إلى الأمور الآتية :

١ - تقرير ألوهية المسيح . وهي تصوره في عليائه تارة في صورة شيخ أشيب متمنطق عند ثدييه بمنطقة من ذهب ، وتقده عينا بالشر ، ويحمل في يده سبعة كواكب ، ويخرج من فيه سيف ماض ذو حدين<sup>(١)</sup> ، وتارة تصوره في صورة خروف قائم كأنه مذبح له سبعة قرون وسبعة أعين<sup>(٢)</sup> .

٢ - تقرر سلطان المسيح في السماء وإشرافه في عليائه على شئون الكنيسة وعلمه بجميع أحوالها والقوامين عليها ، وتبين أعمال الملائكة في السماء وخضوعهم للمسيح .

٣ - تقرر أن الناس سيبعثون يوم القيامة ويعرضون على المسيح ، وأنه هو الذي سيتولى حسابهم على أعمالهم فيجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

٤ - تذكر طائفة من الأحداث التي ستحصل في العالم الإنساني على العموم وفي العالم المسيحي بوجه خاص ، وتذكر هذه الأحداث في صور رمزية مبهمه . ومن ذلك خبر الدابتين الغربيين اللتين ستخرجان قبيل قيام الساعة : تخرج إحداهما

(١) انظر فقرات ١٢ - ١٦ من الإصحاح الأول من رؤيا يوحنا .

(٢) انظر فقرات ١ - ٧ من الإصحاح الأول من رؤيا يوحنا .

من الأرض والأخرى من الماء وتكلمان الناس<sup>(١)</sup>

\* \* \*

هذا ولم تعتمد الكنيسة المسيحية هذه الرسالة إلا في سنة ٣٦٣ ؛ أما قبل ذلك فكانت هذه الرسالة موضع شك كبير في حقائقها وفي صحة نسبتها إلى يوحنا الحواري عند كثير من المسيحيين ، حتى إن مجمع نيقية نفسه المنعقد سنة ٣٢٥ وهو من أكبر مجامعهم « المسكونية »<sup>(٢)</sup> رفض الاعتراف بصحتها . — وقد تقدم أن عددا كبيرا من نقات الباحثين في الوقت الحاضر يقطع بأن جميع ما ينسب إلى يوحنا من أسفار العهد الجديد بما في ذلك إنجيل يوحنا نفسه هي أسفار موضوعة ومنسوبة زورا إلى يوحنا الحواري<sup>(٣)</sup> .

- ٩ -

تطور العقيدة المسيحية

واستقرارها أخيراً على التثليث

اجتازت العقيدة المسيحية مرحلتين أساسيتين : المرحلة الأولى من بعثة المسيح إلى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م ؛ والمرحلة الثانية من مجمع نيقية إلى الوقت الحاضر . وستكلم على كل مرحلة منهما على حدة :

المرحلة الأولى : من بعثة المسيح إلى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م

كانت المسيحية في فاتحة هذه المرحلة — كما ينبئنا القرآن — ديانة توحيد تدعو إلى عبادة إله واحد ، وتقرر أن المسيح إنسان من البشر أرسله الله تعالى

(٢) أشار القرآن الكريم إلى خبر هذه الدابة إذ يقول : « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » (آية ٨٢ من سورة النمل) .  
(٢) انظر معنى هذه الكلمة في صفحة ٩٣ .  
(٣) انظر آخر الفقرة الرابعة من هذا الفصل صفحات ٦٧ ، ٦٨ .

بدين جديد وشريعة جديدة كما أرسل رسلا من قبله ، وأن الإرهاصات التي سبقت بعثته والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد رسالته هي من نوع الإرهاصات والمعجزات التي يؤيد الله تعالى بها رسله ، وأن خلقه بدون أب ليس إلا إرهاصاً من هذه الإرهاصات ، وأن أمه صديقة من البشر قد كرمها الله فنفخ فيها من روحه فحمت بالمسيح .

ولكن لم تمض بضع سنين على رفع المسيح حتى أخذت مظاهر الشرك والزيف والانحراف تتسرب إلى معتقدات بعض الفرق المسيحية ، وافدة إليها أحياناً من فلسفات قديمة ، وأحياناً من رواسب ديانات ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت فيها المسيحية والتي احتك بأهلها المسيحيون .

فانقسم حينئذ المسيحيون إلى طائفتين : طائفة جنحت عقائدها إلى الشرك بالله ؛ وطائفة ظلت عقائدها محافظة على التوحيد . وضمت كل طائفة من هاتين الطائفتين تحت لوائها فرقا كثيرة :

(١) فن أقم الفرق التي انحرفت عقائدها في هذه المرحلة فرقة المرقيونيين وفرقة البربرانية وفرقة الإليانية وفرقة التثليث .

١ - أما فرقة «المرقيونيين» فإنها تنسب إلى مرقيون أو مرسيون Marcion وهو من رجال القرن الثاني الميلادي . وكان قسيساً ، ثم حكم عليه بالطرود والحرمان . ويقوم مذهبه على الاعتقاد بوجود إلهين : أحدهما الإله العادل Dieu Juste أو الإله ديمبورج Démurge أى الخالق والمهندس ، وهو الإله الذى اتخذ من بنى إسرائيل شعباً مختاراً وأنزل عليهم التوراة ؛ والآخر الإله الخير Dieu Bon الذى ظهر متمثلاً فى المسيح وخلص الإنسانية من خطاياها . وقد كان للإله الأول والسلطان على العالم حتى ظهر الإله الثانى فبطلت جميع أعمال الإله الأول وزال ( ٧ م - الأسفار المقدسة )

سلطانه . ومن ثم يقوم هذا المذهب على اطراح العهد القديم ( كتب اليهود المقدسة ) في جملته وتفصيله ، ولا يعترف كذلك بمعظم أسفار العهد الجديد ، والأسفار القليلة التي يعترف بها من أسفار هذا العهد وهي إنجيل لوقا ورسائل بولس لا يعترف بها إلا بعد أن يدخل على نصوصها تغييرات كثيرة تخرجها عن أوضاعها ومدلولاتها الأولى . ويقال إنه كان لهذه الفرقة إنجيل خاص كما سبقت الإشارة إلى ذلك (١) .

ولعل هذا المذهب متأثر بالديانة الزرادشتية الفارسية في مراحلها الأخيرة . فقد انتهى الأمر بالزرادشتيين إلى الاعتقاد بوجود إلهين ، إله للخير وكانوا يسمونه 'أهورا مزدا' ، وإله للشر وكانوا يسمونه 'أهريمان' ، كما سيأتي بيان ذلك في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

وعلى الرغم من الحرب الشعواء التي شنتها الكنيسة على هذا المذهب فإنه قد انتشر وتبعه خلق كثير في إيطاليا وأفريقيا ومصر ، وظل كذلك حتى منتصف القرن الثالث ، أى حتى انتهاء المرحلة التي نتحدث عنها ، ثم أخذ يضمحل ويقتصر أتباعه تناقصا كبيرا ، ولكنه لم يقرض انقراضا تاما إلا حوالي القرن العاشر الميلادي .

٢ - وأما فرقة « البربرانية » فكانت تذهب إلى القول بألوهية المسيح وأمه صفا . ويقرر ابن البطريق مذهب هذه الفرقة فيقول : « ومنهم من كان يقول إن المسيح وأمه إلهان من دون الله وهم البربرانية ؛ ويسمون الريميتيين » . ولعل هؤلاء هم الذين يشير إليهم القرآن الكريم فيما يخاطب به الله تعالى عيسى بن مريم إذ يقول : وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين

(١) انظر الفقرة السابقة من هذا الفصل .

عن دون الله؟ قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق<sup>(١)</sup> ،  
هو إذ يرد عليهم في قوله : « ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل  
وأما صديقة كان يا كالان الطعام<sup>(٢)</sup> » .

هذا ، وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض على الاقراض كذلك في نهاية المرحلة التي  
تحدث عنها ؛ وإن كان يبدو من ذكرها في القرآن أنه كان لا يزال لمذهبها  
متابع في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام (القرن السابع الميلادي) .

ومهما يكن من شيء فإن الاتجاه إلى تقديس مريم قد ترك آثاراً ورواسب  
كثيرة في معظم الفرق المسيحية الباقية ، وتتمثل هذه الآثار والرواسب في عدة  
معتقدات وطقوس وأعياد خاصة بالسيدة مريم تعتنقها وتقيمها جميع فرق المسيحيين  
في الوقت الحاضر باستثناء فرقة البروتستانت .

٣ -- وأما فرقة إيلان فيؤخذ مما ذكره في صدها ابن البطريق والشهرستاني  
في الملل والنحل أنها كانت تؤله المسيح وتقرر أنه ابن الله وتصدر حقيقته  
وحمل أمه به وقصة صلبه في صورة خاصة ، فتذهب إلى أن مريم لم تحمل به  
كما تحمل النساء بالأجنة وإنما سر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب ، لأن الكلمة  
(الابن) دخلت من أذنها ، وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد ، وأن ما ظهر  
من شخص المسيح في الأعين إنما هو خيال شبيه بالصورة التي تظهر في المرأة ؛  
فلم يكن المسيح جسماً متجسماً كثيفاً في الحقيقة . وكذلك القتل والصلب ، فإنها  
وقعا على الخيال والظن لاعلى الحقيقة .

وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض في نهاية المرحلة التي نتحدث عنها ؛  
وإن كان يبدو مما ذكره الشهرستاني في صدها إذ يقول : « وهؤلاء يقال لهم  
الإيلانية ، وهم قوم بالشام واليمن وأرمينية<sup>(٤)</sup> » ، أنه كان لا يزال لهذه الفرقة أتباع

(٤) آية ١١٦ من سورة المائدة .

(٢) آية ٧٥ من سورة المائدة .

(٣) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص ٢٢٧ الجزء الأول ، طبعة مصطفى الحلبي ١٩٦٩ .



في عصره ( القرن السادس الهجرى والثالث عشر الميلادى ) .

٤ - وأما فرقة التثليث وألوهية المسيح فى الفرقة التى تذهب إلى أن الإلاه ثلاثة أقانيم وهى الآب والابن وروح القدس ، وأن الإبن أو الكلمة هو المسيح . وكانت كنيسة الإسكندرية من أشد الكنائس تمصبا لهذا المذهب الذى أصبح المذهب الرسمى المقرر لجميع الفرق المسيحية بعد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م . ومجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م . ولذلك سرجىء الكلام على تفاصيله إلى أن يمين الكلام على المرحلة الثانية التى اجتازتها الديانة المسيحية .

(ب) ومن أم الفرق التى ظلت عقائدها محافظة على التوحيد فرقة إيبون . وفرقة بولس الشمشاطى وفرقة أريوس .

١ - أما فرقة إيبون أو الإيبونيين Ebionites ( أتباع إيبون Ebion ) فكانت تقر جميع شرائع موسى ، وتعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذى تحدث عنه أسفار العهد القديم ، وتنكر ألوهية المسيح وتعتبره مجرد بشر رسول . وكان لهذه الفرقة فى تفاصيل عقائدها هذه إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية . وقد عرضنا له فى الفقرة السابعة من هذا الفصل - وقد أوشكت هذه الفرقة على الإقراض فى أواخر المرحلة التى نتحدث عنها ، وتم إقراضها فى أواخر القرن الرابع الميلادى .

٢ - وأما فرقة الشمشاطى فهم أتباع بولس الشمشاطى Paul de Samosate وكان بولس الشمشاطى هذا أسقفا لأنطاكية Antioche سنة ٢٦٠ م . وأنكر ألوهية المسيح وقرر أنه مجرد بشر رسول . وقد عقد بأنطاكية من سنة ٢٦٤ إلى سنة ٢٦٩ ثلاث مجامع للنظر فى شأنه ، وانتهى الأمر بحرمانه وطرده . وقد بقى لمذهبه أتباع على الرغم من ذلك حتى القرن السابع الميلادى . ويذكر ابن

حزم في كتابه « الفضل في الملل والنحل » عن بولس هذا « أنه كان بطريكاً  
بأنطاكية ، وكان قوله للتوحيد المجرد الصحيح ، وأن عيسى عبدالله ورسوله كأحد  
الأنبياء عليهم السلام ، خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر ، وأنه إنسان لا إلهية  
فيه . وكان يقول لا أدري ما الكلمة (أى الابن) ولا روح القدس . . . ويقول  
« ابن الطريق في بيان مذهبه : « أن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في  
جوهره ، وإن لبتداء الابن من مريم (أى إنه محدث وليس قديماً) : ... ويقولون إن الله  
جوهر واحد وأقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة (أى الابن) ولا بروح القدس ،  
وهي مقالة بولس الشمشاطى بطريك أنطاكية وهم البوليقيانيون » .

٣ - وأما الأريوسيون فهم أتباع أريوس Arius . وكان أريوس هذا قسيساً  
بكنيسة الإسكندرية ، وكان داعياً قوى التأثير ، واضح الحجج ، جريئاً في  
المجاهرة برأيه . وقد أخذ على نفسه في أوائل القرن الرابع الميلادى مقاومة كنيسة  
الإسكندرية فيما كانت تذهب إليه من القول بألوهية المسيح وبنوته للآب . فقام  
بمقرر أن المسيح ليس إلهاً ولا ابناً لله وإنما هو بشر « مخلوق L'arianisme وأنكر  
جميع ما جاء في الأناجيل من العبارات التي توهم ألوهية المسيح . ويلخص ابن  
« البطريق مذهبه فيقول : « كان يقول إن الآب وحده الله والابن مخلوق مصنوع  
« وقد كان الآب حينئذ لم يكن الابن » . وقد تبعه مشايخون كثيرون . فقد كانت  
كنيسة أسيوط على هذا الرأي ، وعلى رأسها ميليتوس ؛ وكان أنصاره في  
« الإسكندرية نفسها كثيرين في العدد أقوياء في المجاهرة بما يعتقدون ؛ كما تبعه  
خلق كثير في فلسطين ومقدونية والقسطنطينية ، وذلك على الرغم من أن كنيسة  
الإسكندرية لم تأل جهداً في محاربتة ومحاربة آرائه ، وعلى الرغم من حكمها عليه  
بإلطرده من الكنيسة .

ثم أخذ هذا المذهب يضمحل ويتناقص عدد أتباعه بعد أن حكم مجمع نيقية سنة ٣٢٥ بطرد أريوس وكفره وأصدر قراره بألوهية المسيح كما سيأتي بيان ذلك. وما زال يضمحل ويتناقص عدد أتباعه حتى انقرض كل الانقراض في أواخر القرن الخامس الميلادي .

المرحلة الثانية : من مجمع نيقية سنة ٣٢٥م

إلى الوقت الحاضر

في سنة ٣٢٥م أمر قسطنطين إمبراطور الرومان بأن يعقد مجمع ديني مسكوني Oeucuménique أى يضم ممثلين لجميع الكنائس في العالم المسيحي للفصل في أمر الخلاف بين أريوس ومعارضيه ، وليبين أى الرايين يتفق مع الحق ؛ ولتقرير مبدأ صحيح يعتنقه المسيحيون فيما يتعلق بألوهية المسيح ، ولا اتخاذ ما ينبغي اتخاذه من قرارات أخرى في شئون العقيدة والشريعة . فاجتمع في نيقية *Concile de Nicée* ثمانية وأربعون ألفاً من الأساقفة، ولكنهم اختلفوا اختلافاً كبيراً ولم يستطيعوا الإجماع على رأى . ويظهر أن قسطنطين كان يمنح للرأى القائل بألوهية المسيح فأختار من بين المجتمعين ثمانية عشرة وثلثمائة من أشد أنصار هذا المذهب، وألف منهم مجلساً خاصاً ، وعهد إليهم أمر الفصل في هذا الخلاف واتخاذ ما يرون اتخاذه من قرارات أخرى في شئون العقيدة والشريعة ، على أن تصبح قراراتهم مذهباً رسمياً يجب أن يعتنقه جميع المسيحيين . فانتهوا إلى عدة قرارات كان من أهمها القرار الخاص بإثبات ألوهية المسيح وتكفير أريوس وحرمانه وطرده . وتكفير كل من يذهب إلى أن المسيح إنسان ، وتحريق جميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح وتحريم قراءتها . وكان من أشد أنصار هذا القرار والداعين إليه

بطريك الإسكندرية . ويذكر ابن البطريق نص هذا القرار في العبارة الآتية :  
« إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم (أى تحم بالحرمان والطرده)  
كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه . وأنه لم يوجد قبل أن يولد ،  
وأنه وجد من لا شيء ، أو من يقول إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر  
الله الآب ، وكل من يقر أنه خلق أو من يقول إنه قابل للتغير » .

والم يعرض مجمع نيقية للعنصر الثالث من عناصر الألوهية في العقيدة المسيحية  
الحاضرة وهو « روح القدس » ولم يبين حقيقة طبيعته أهو إله أم مخلوق . ومن  
ثم نشب خلاف كبير بين المسيحيين حول هذا الموضوع . وظهرت فرقتان  
بأن روح القدس ليس بإله وإنما هو محدث مخلوق . وكان من أشهر هذه الفرق  
أتباع مقدونيوس Macedonius الذي كان بطريارك القسطنطينية في القرن الرابع  
الميلادي . فاجتمع من أجل ذلك في القسطنطينية سنة ٣٨١ م مجمع آخر اشهر  
باسم المجمع القسطنطيني الأول . وكان عدد أعضائه مائة وخمسين أسقفاً . وانتهى  
المجمع بإقرار الرأي القائل بألوهية روح القدس . وكانت كنيسة الاسكندرية  
من أشد الكنائس تعصبا لهذا الرأي ، كما كانت من أشدّها تعصبا للرأي القائل  
بألوهية المسيح . ولذلك كان لأقوال بطريك الاسكندرية والحجج التي أدلى  
بها في هذا المجمع أثر كبير في توجيهه إلى هذا القرار . ويصف ذلك ابن البطريق  
فيقول : « قال تيموثاوس بطريارك الاسكندرية في هذا المجمع ليس روح القدس  
عندنا بمعنى غير روح الله ، وليس روح الله شيئاً غير حياته ، فإذا قلنا إن روح  
القدس مخلوق فقد قلنا إن روح الله مخلوق ، وإذا قلنا إن روح الله مخلوق فقد قلنا  
إن حياته مخلوقة ، وإذا قلنا إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي ، وإذا  
زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا ، ومن كفر به وجب عليه  
اللعن ... واتفقوا على لعن مكدونوس ، فلعنوه هو وأشياعه ، ولعنوا البطارقة

الذين يكونون بعده ويقولون بمقالتة . ويوضح ابن البطريق نص القرار الذي اتخذ هذا المجمع بشأن ألوهية روح القدس في العبارة الآتية : « زادوا في الأمانة التي وضعها الثالمانمائة والثمانية عشر أسقفا الذين اجتمعوا في نيقية ( يشير إلى ماقرره مجمع نيقية الأول بشأن ألوهية المسيح ) الإيمان بروح القدس الرب المحيي .. وأثبتوا أن الآب والأبن وروح القدس ثلاثة أقانيم ، وثلاثة وجوه ، وثلاث خواص ، وحادية في تثليث ، وتثليث في وحادية ، كيان واحد في ثلاثة أقانيم » .

وقد لخص عقيدة التثليث التي انتهت إليها قرارات المجمعين السابقين وما يتصل بها من الاعتقاد بصلب المسيح لتكفير الخطيئة الأزلية وبمعه ورّفه إلى السماء ومحاسبته الخلق يوم القيامة نوفل بن نعمة الله بن جرجس في كتابه سوسنة سليمان إذ يقول : « إن عقيدة النصارى التي لا تختلف بالنسبة لها الكنائس وهي أصل الدستور الذي بينه المجمع النيقاوى<sup>(١)</sup> ، هي الإيمان :

١ — بالإله واحد ، آب واحد ، ضابط الكل ، خالق السماء والأرض ، صانع ما يرى وما لا يرى ؛

٢ — ورب واحد يسوع ، الابن الوحيد المولود من الآب قبل الدهور من نور الله ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للاب في الجوهر الذي به كان كل شيء ، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ، ومن مريم العذراء . وصلب حيا على عهد بيلاطس Pilate<sup>(٢)</sup> وتأم وقبر . وقام من الأموات في اليوم الثالث على ماني الكتب . وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب . وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات ، ولا فناء لملكه .

(١) كان ينبغي أن يقول : « والمجمع القسطنطيني الأول » ؛ لأن ألوهية روح القدس لم تنقرر إلا في هذا المجمع .

(٢) الوالي من قبل الدولة الرومانية على فلسطين حينئذ Ponce Pilate

٣ — والإيمان بروح القدس الرب المحيي ... »

ولخصه الشهرستاني في العبارة الآتية ، وهي لا تختلف كثيراً عن العبارة

السابقة :

« نؤمن بالله الواحد الآب مالك كل شيء ، وصانع ما يرى وما لا يرى ، وبابن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد ، بكر الخلاق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ، إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم ، وخلق كل شيء من أجلنا . ومن أجل معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنساناً ، وحبل به ، وولد من مريم البتول ، وقتل وصلب أيام فيلاطوس ودفن ، ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه . وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والاحياء . ونؤمن بروح القدس الواحد ... وبعمودية واحدة لعفران الخطايا ، وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية ( كاثوليكية ) وبقيام أبداننا ، وبالحياة الدائمة أبد الأبدين » .

\* \* \*

وبذلك تقرر التثليث في الديانة المسيحية ، وأصبح هو العقيدة الرسمية التي يجب أن يعتقد بها كل مسيحي ، ويحكم بكفر من يقول بغيرها ، وأخذت للمذاهب المسيحية الأخرى التي كانت منتشرة عند بعض الفرق المسيحية في المرحلة الأولى ، والتي أشرنا إليها فيما سبق ، تتلاشى شيئاً فشيئاً ، ويتضاءل عدد أتباعها ، حتى انقرضت كل الانقراض ، سواء في ذلك مذاهب الفرق التي كانت محافظة على التوحيد ، أم مذاهب الفرق التي انحرفت عن التوحيد إلى عقائد أخرى غير عقيدة التثليث . ولا نجد الآن أية كنيسة مسيحية ولا أية فرقة من المسيحيين لا تقول بالتثليث . — ولكنهم ، جميعاً ، مع ذلك يتسترون وراء كلمات التوحيد ، فيقولون « تثليث في وحدية » أو « وحدية في تثليث » ، مع أنه لا يمكن أن

يكون التثليث وحدانية ولا الوجدانية تثليثاً : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، ومامن إلاه إلا الإله واحد » .

### المصادر الأولى لعقيدة التثليث

ويظهر أن هذه العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة Philosophie néo-platonicienne . وذلك أن أفلوطين Plotin زعيم مدرسة الإسكندرية ، وهي المدرسة التي تنسب إليها الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ( وهو من رجال القرن الثالث الميلادي — ولد سنة ٢٠٥ وتوفي سنة ٢٧٠ م ) كان يرى ، فيما يتعلق بالسكون ومنشئه ، أن الله هو منشئ الأشياء لا يتصف بوصف من أوصاف الحوادث ، فليس بجوهر ولا عرض ، وليس فكراً كفكرنا ولا إرادة كإرادتنا ، يتصف بكل كمال يليق به ، ويفيض على كل الأشياء نعمة الوجود ، ولا يحتاج هو إلى موجد ؛ وأن أول شيء صدر عن هذا المنشئ هو العقل ، وقد صدر عنه كأنه يتولد منه ؛ ولهذا العقل قوة الإنتاج ، ولكن ليس كمن يولد عنه ؛ ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح ، وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء ومنه يتولد كل شيء .

فوجه الشبه واضح كل الوضوح بين هذا المذهب من جهة وعقيدة التثليث التي استقرت عليها المسيحية من جهة أخرى . وإذا لاحظنا أن هذا المذهب كان منتشرًا ومعروفًا قبل مجمع نيقية بأمد طويل ، وأنه كان المذهب الفلسفي لمدرسة الإسكندرية ، وأن بطريرك الإسكندرية الذي نشأ في البيئة التي ساد فيها هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث في مجمع نيقية وفي الجمع

القسطنطيني الأول كما تقدم بيان ذلك ، إذ لاحظنا هذا كله ترجيح الاحتمال الذي ذكرناه وهو أنه يظهر أن العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة .

ومن الممكن كذلك أن تكون قد تأثرت بالديانة البرهمية في أوضاعها الأخيرة . وذلك أن الديانة البرهمية قد استقرت أوضاعها في آخر الأمر على الاعتقاد بتثليث الآلهة ، وإن كان ثالوثها يختلف عن ثالوث المسيحيين في نشأة كل أقنوم من أقانيمه وعمله وصفاته . وذلك أنها تقر أن الإلاه براهما كان قبل الوجود ، وأنه خلق العالم وسمى نفسه الخالق ، ثم انبثق منه الإلاه سيفا Civa وهو الإلاه المدمر الموكل بالخراب والفناء ، ولوترك هذا الإلاه وشأنه لفنيت السماوات والأرض ومن فيهن . ولهذا انبثق من براهما إلاه ثالث حافظ مجدد هو الإلاه فيشنو Vichnou . وسنعرض لهذه الديانة بشيء من التفصيل عندما يحين موعد الكلام عليها في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

- ١١ -

نشأة اختلافات فرعية بين طوائف المسيحيين

في مسائل العقيدة

تقرر التثليث إذن في الديانة المسيحية على الوجه الذي سبق بيانه ، وأجمع على اعتناقه المسيحيون جميعاً . غير أنهم مع إجماعهم على هذه العقيدة ، قد اختلفوا فيما بينهم في أمور فرعية أخرى من عقائدهم وانقسموا إلى طوائف كثيرة ، وأعطت كل طائفة لنفسها ، نتيجة لهذا الاختلاف ، لقباً خاصاً بها . ولكنها



ما كانت تخرج في ذلك عن أحد لقبين وهما الكاثوليكية والأرثوذكسية<sup>(١)</sup>.  
فاختلفوا في طبيعة المسيح : هل طبيعته طبيعة واحدة لأنه إله ، أم إن له طبيعتين طبيعة إلهية وطبيعة إنسية لأنه ابن الله وابن الإنسان معا ( فقد جاء من مريم ، ومريم من البشر ) فيكون بذلك قد اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت على حد تعبيرهم .

وقد أخذت بالمذهب الأول ، وهو أن للمسيح طبيعة واحدة ، وهي الطبيعة الإلهية ، ثلاث كنائس صغيرة من الكنائس التي سمت نفسها الأرثوذكسية: إحداهما الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والحبشة (وتسمى نفسها كذلك الأرثوذكسية المرقسية نسبة إلى الرسول مرقس صاحب الإنجيل ، لأن بطاركتها يعتبرون أنفسهم خلفاء لهذا الرسول ، ورئيسها الحالي هو البابا كيرلس السادس ، رئيس الكرازة المرقسية و بطريارك مصر وأثيوبيا ومعظم مناطق أفريقيا . - ومع أن مسيحي الحبشة خاضعون لرياسة الكنيسة المصرية المرقسية فإنهم قد استقلوا أخيراً بعض الاستقلال في شئونهم الدينية)؛ وثانيها الكنيسة الأرثوذكسية السريانية التي يرأسها بطريك السريان ويتبعها كثير من مسيحي آسيا ؛ وثالثها الكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية . ومع أن الأرمن يتفقون مع الكنيستين السابقتين في القول بالطبيعة الواحدة للمسيح فإنهم يختلفون عنها في بعض التقاليد والطقوس ، ولهم بطاركة يرأسونهم . ولا يندمجون مع الكنيسة السريانية ولا مع الكنيسة المصرية .

---

(١) كلمة كاثوليك Catholique مأخوذة من كلمة يونانية Katholikos بمعنى العام أو العالمي أي لأنها الديانة العامة العالمية . وكلمة أرثوذكس Ortodoxe مأخوذة من كلمتين يونانيتين وهما orthos بمعنى الحق أو المستقيم و doxa بمعنى الرأي أو المذهب ، فمعناها المذهب الحق أو المستقيم . وقد جاء انشعاب المسيحيين إلى هاتين الطائفتين نتيجة لاختلافهم في الأمور الفرعية المتصلة بالعقيدة وفي أمور أخرى تتصل بالشرائع والعبادات . وسنعرض في هذه الفقرة لأهم وجوه الخلاف بينهم في فروع العقيدة ، وفي الفقرة التالية لأهم وجوه الخلاف بينهم في الشرائع والعبادات .

وبذلك انفصلت هذه الكنائس الثلاث عن بقية كنائس المسيحيين . وقد  
لخص هذا المذهب صاحب كتاب «خلاصة تاريخ المسيحية في مصر» في العبارة  
الآتية : «إن كنيسةنا المستقيمة الرأي (هذه ترجمة لكلمة الأرثوذكسية) ، ومعها  
الكنائس الحبشية والأرمنية والسريانية الأرثوذكسية تعتقد أن الله ذات واحدة  
مثلثة الأقانيم ، أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس ، وأن الأقنوم  
الثاني أقنوم الابن تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء ، مصيراً هذا الجسد معه  
واحدًا ووحدة ذاتية جوهرية منزهة على الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من  
الانفصال . وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ... » .

وقد أقر هذا المذهب معظم المجتمعين في مجمع إفسوس الثاني Ephèse الذي  
انعقد في منتصف القرن الخامس الميلادي ، واكتسب قوة بعد أن انتصر له في  
القرن السادس الميلادي داعية قوى الحقبة ، بليغ الأثر ، جرىء في الجهر برأيه ، اسمه  
يعقوب البرادعي ، حتى لقد أطلق على هذا المذهب اسم «المذهب يعقوبى»  
نسبة إليه ، وأطلق على المعتنقين لهذا المذهب اسم اليعاقبة أو اليعقوبيين ، وإن  
كان هذا المذهب قد نشأ قبل ظهور يعقوب البرادعي بأمد طويل ؛ ولا أدل على  
ذلك من أنه قد أخذ بهذا الرأي معظم المجتمعين في مجمع إفسوس الثاني الذي  
انعقد في منتصف القرن الخامس الميلادي كما تقدم .

وأخذت بالمذهب الآخر ، وهو أن للمسيح طبيعتين طبيعة إلهية وطبيعة  
إنسية أى اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت ، جميع الكنائس الأخرى . وتقرر هذا  
المذهب في صورة حاسمة في مجمع خليكدونية Calcédoine المنعقد سنة ٤٥١ م  
وقد انتهى هذا المجمع بعد خلاف كبير بين أعضائه إلى القول بأن  
للمسيح طبيعتين لا طبيعة واحدة ، وأن الألوهية طبيعة وحدها  
والناسوت طبيعة وحده التقتا في المسيح . وبايخص ابن البطريق قرار مجمع

خليكدونية إذ يقول : « قالوا إن مريم العذراء ولدت إلهها ربنا يسوع المسيح الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الإلهية ومع الناس فى الطبيعة الإنسانية وشهدوا أن المسيح طبيعتان وأقنوم واحد ووجه واحد . . . ولعنوا الجمع الثانى الذى كان بإفسوس » ( أى مجمع إفسوس الثانى الذى قرر معظم أعضائه أن المسيح طبيعة واحدة كما سبق بيان ذلك ؛ وتسميه الكنييسة الكاثوليكية « مجمع اللصوص » ) .

وقد انتصر لمذهب ازدواج الطبيعتين الامبراطور ايزوماى ، بل إنه هو الذى عمل على اجتماع مجمع خليكدونية لينتهى إلى تقرير هذا الرأى فى صورة حاسمة ومن ثم يطلق على هذا المذهب اسم المذهب الملكى أو الملكانى نسبة إلى الملك أى امبراطور روما . وقد أخطأ الشهرستانى إذ قرر أن هذا المذهب ينسب إلى شخص اسمه « ملكا »<sup>(١)</sup> .

ومن قبل مجمع خليكدونية كان هذا المذهب قد تقرر ، وإن لم يكن فى صورة حاسمة ، فى مجمع آخر هو مجمع إفسوس الأول الذى انعقد سنة ٤٣١ م للفصل فى أمر نستور وبدعته ( وكان نستور هذا *nestorius* بطريك القسطنطينية سنة ٤٢٨ م ومكث فى هذا المنصب أربع سنين وشهرين ) . فقد ذهب نستور إلى القول بأن مريم العذراء لم تلد الإله ، بل ولدت الإنسان فقط ، ثم اتحد ذلك الإنسان بعمد ولادته بالأقنوم الثانى اتحاداً مجازياً لأن الإله وهبه المحبة والنعمة فصار بمنزلة الإبن . فخلقضاء على هذا المذهب الذى ينكر ألوهية المسيح من أصلها وإن كان يقول بالأقانيم الثلاثة انعقد مجمع إفسوس الأول سنة ٤٣١ م وقرره لمن نستور وطرده ، وكتب معظم أعضائه صحيفة قرروا فيها أن مريم العذراء ولدت إلهنا وربنا يسوع المسيح ، وأن المسيح إله حق وإنسان ذو طبيعتين » .

(١) انظر ص ٢٢٢ من الجزء الأول من الشهرستانى « الملل والنحل » طبعة مصطفى

غير أن النسطوريين قد انحازوا في عصورهم الأخيرة إلى الرأي القائل بامتزاج اللاهوت في الناسوت ، أي إلى القول بالطبيعتين ، فأنحرفوا بذلك عن المذهب الأصلي لزعيمهم ، وأصبحوا متفقين في ذلك مع الكنيسة الكاثوليكية . ويقع معظمهم الآن في بلاد العراق والموصل .

\* \* \*

وقد ظلت الكنائس التي تقول بالطبيعتين متحدة في جمع آرائها المتعلقة بشخص المسيح إلى أن ظهر في القرن السابع الميلادي ( سنة ٦٦٧ ) يوحنا مارون ، فذهب إلى أن المسيح ، مع أنه ذو طبيعتين ، له مشيئة واحدة وإرادة واحدة وهي المشيئة الإلاهية والإرادة الإلاهية ، لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد إلهي وهو الابن أو الكلمة . وقد شايعه في هذا الرأي بعض مسيحيي آسيا . ولم ترق هذه المقالة في نظر بابوات روما رؤساء الكنيسة الكاثوليكية ، فأعزوا إلى الأباطور أن يجمع مجعاً ليقرر أن المسيح ذو طبيعتين وذو مشيئتين بعد أن استوثقوا من أن الأباطور يشاركونهم هذا الرأي ، فاجتمع لذلك مجمع القسطنطينية السادس سنة ٦٨٠ م وكان مؤلفاً من ٢٨٩ أسقفاً وانتهى إلى إصدار قرار بكفر يوحنا مارون ولعنه وطرده وكفر كل من يقول بالمشيئة الواحدة ، وقرر « أننا نؤمن بأن الواحد من الثالوث الابن الوحيد هو الكلمة الأزلية الدائم المستوى مع الآب الإلاه في أقنوم واحد ووجه واحد ، يعرف تماماً بنفسوته تماماً بلاهوته في الجوهر الذي هوربنا يسوع المسيح ، بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين في أقنوم واحد . . . فهو يعمل ما يشبه الإنسان أن يعمل في طبيعته وما يشبه الإلام أن يعمل في طبيعته . . . وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبها بمشيئتين غير متضادتين » .

وقد نزلت بعد ذلك بأصحاب المذهب الماروني القائل بالمشيئة الواحدة اضطهادات شديدة ، فأخذوا يفرون بدينهم من بلد إلى بلد إلى أن انتهى بهم

المطاف في جبل لبنان ، واشتهروا بلقب المارون . وظلوا مستقلين في شئونهم الدينية إلى أن قربتهم إليها كنيسة روما فأعلنوا في سنة ١١٨٢ الطاعة لها مع بقائهم على مذهبهم القائل بالمشيئة الواحدة . ولا تزال هذه الطائفة متوطنة في جبل لبنان ، وإن كان قد هاجر منها عدد كبير إلى قارة أمريكا وغيرها ، ولها بطريرك خاص ( هو الآن البطريرك المعوشي ) وإن كان يقر بالرياسة لبابا الكنيسة الكاثوليكية بروما .

\* \* \*

وقد ظلت الطوائف القائلة بالطبيعتين والمشيئتين متفقة في آرائها إلى أن نشب بينها في منتصف القرن التاسع خلاف بشأن الأقنوم الذي انبثق منه روح القدس . فذهب بعض هذه الطوائف إلى أن انبثاق روح القدس كان من الآب وحده ، وذهب بعضها الآخر إلى أن انبثاقه كان من الآب والابن معا .

وكان على رأس المنادين بالرأى الأخير ، وهو أن روح القدس منبثق من الآب والابن معا ، رئيس كنيسة روما . وقد عقد لذلك في سنة ٨٦٩ مجمعا في القسطنطينية ، وأصدر هذا المجمع قراراً بأن روح القدس منبثق من الآب والابن معا . واشتهر هذا المجمع باسم « المجمع الغربي اللاتيني » .

وكان على رأس المنادين بالرأى الأول ، وهو أن روح القدس منبثق من الآب وحده ، بطريرك القسطنطينية ، وقد عقد بدوره مجمعا آخر في القسطنطينية سنة ٨٧٩ ، وأصدر هذا المجمع قراراً بأن روح القدس منبثق من الآب وحده . واشتهر هذا المجمع باسم « المجمع الشرقي اليوناني » .

وكان ذلك سببا في انقسام الكنائس القائلة بالطبيعتين والمشيئتين إلى كنيستين رئيسيتين :

(إحداهما) الكنيسة الشرقية اليونانية ويقال لها كذلك الكنيسة الشرقية فقط وكنيسة الروم الأرثوذكسية ، وهي التي يذهب أتباعها إلى أن روح القدس منبثق عن الأب وحده . والمشايعون لها أكثرهم في الشرق في بلاد اليونان وتركيا وروسيا والصرب وغيرها ، ولهم بطاركة أربعة : أولهم بطريرك القسطنطينية وهو كبيرهم ( وهو الآن البابا أثنينا جوراس ) ؛ يليه بطريرك الاسكندرية للروم الأرثوذكس ؛ ثم بطريرك أنطاكية ؛ ثم بطريرك أورشليم . وثمة مناطق تخضع للكنيسة الشرقية وتخضع لجامع وأسقفيات مستقلة كالجمهورية الروسية وأسقفية أثنينا وأسقفية قبرص ( التي يتولى رياستها الآن الأسقف مكار يوس ، وهو في الوقت نفسه رئيس الدولة ) .

(وثانيتهما) الكنيسة الغربية اللاتينية ، ويقال لها كذلك الكنيسة الغربية فقط ، وكنيسة روما ، والكنيسة الكاثوليكية ، وقد تسمى كذلك الكنيسة البطرسيّة أو كنيسة بطرس لأن مشايعها يعتقدون أن مؤسسها هو الرسول بطرس كبير الحواريين ، وأن بابواتها خلفاؤه من بعده ( ورئيسها الحالي هو البابا بولس السادس ، وهو في الوقت نفسه رئيس دولة الفاتيكان ) ، وهي التي تذهب إلى أن روح القدس منبثق عن الأب والابن معا . والمشايعون لهذه الكنيسة أكثرهم في الغرب في بلاد إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وإسبانيا والبرتغال وأمريكا الجنوبية وبلاد أخرى كثيرة . وحتى في البلاد التي يتبع معظم أهلها كنيسة الروم الأرثوذكسية يوجد مسيحيون كاثوليك يتبعون كنيسة روما ويرأسهم بطاركة كاثوليك خاضعون لرياسة بابا روما . وحتى في مصر نفسها يوجد مسيحيون كاثوليك يتبعون هذه الكنيسة ويرأسهم بطريرك ( ورئيسهم الحالي الأنبا أسطفانوس الأول سيداروس بطريرك الأقباط الكاثوليك ) . —  
ويبلغ عدد الكاثوليك التابعين لهذه الكنيسة الآن زهاء ستمائة مليون .  
( م ٨ - الأسفار المقدسة )

ولما أحيط به رئيس كنيسة روما من تقديس بين مشايخه وعند الملوك و رؤساء الدول ، ولكثرة معتنقي مذهبه ، تنسأهل الكنيسة الشرقية فتمترف له بالتقدم لا بالسلطان . - وتتابع كنيسة روما في عهد رئيسها الحالي ماسار عليه رئيسها السابق من العمل على التقريب بين الكنائس المسيحية جميعاً وخاصة بينها وبين الكنيسة الشرقية التي تعتبر أكبر كنيسة بعد كنيسة روما . وقد عقد بابا روما الحالي سنة ١٩٦٣ مجماً مسكونياً كان من أهم أغراضه تحقيق الوحدة المسيحية والتقريب بين كنائس المسيحيين ، وخاصة بين الكنيستين الكبيرتين الغربية والشرقية .

\* \* \*

و خلاصة ذلك أن الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والحبشة والكنيستين الأرثوذكسيتين الأرمنية والسريانية قد انفصلت عن بقية الكنائس لقولها بالطبيعة الواحدة للمسيح ( طبيعة واحدة إلهية ) وأن كنيسة المارونيين بلبنان قد انفصلت كذلك عن بقية الكنائس لقولها بالمشيئة الواحدة أي إن المسيح وإن كان له طبيعتان ليست له إلهية واحدة هي المشيئة الإلهية ، وأن من عدا هؤلاء وأولئك من طوائف المسيحيين يقولون بالطبيعتين والمشيئتين ، وهم القسم الأكبر من المسيحيين .

غير أنهم مع اتفاقهم في القول بالطبيعتين والمشيئتين قد اختلفوا فيما يتعلق بالأقنوم الذي انبثق منه روح القدس أهو الآب وحده أم الآب والابن معاً . وانقسموا لذلك إلى كنيستين : الكنيسة الشرقية اليونانية أو كنيسة الروم الأرثوذكس التي يقول أتباعها بانبثاق روح القدس عن الآب وحده ؛ والكنيسة الغربية اللاتينية التي يقول أتباعها بانبثاق روح القدس عن الآب والابن معاً .

## اختلاف فرق للمسيحيين

### في مسائل الشرائع والعبادات

هذا، وكان كل خلاف يحدث بين فرق المسيحيين في هذه الأمور الفرعية المتصلة بالمعائد يصحبه وينضم إليه بمرور الزمن خلاف في بعض الأمور المتصلة بالشرائع والعبادات .

فن ذلك مثلا أن الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية قد تجاوز شؤون العقيدة السابق ذكرها إلى أحكام العبادة والتشريع ، وشمل اختلافهما في هذه الأحكام أمورا كثيرة نذكر من أمثلتها ما يلي :

١ - حافظت الكنيسة الشرقية فيما يتعلق بالمحرمات من المأكولات على الرأي الذي استقر عليه مجمع أورشليم الأول المنعقد بعد رفع المسيح بنحو اثنتين وعشرين سنة والذي أشرنا إليه فيما سبق<sup>(١)</sup> فحرمت الدم ولحم المنخقة ؛ بينما أجازتهما الكنيسة الغربية .

٢ - من عبادات المسيحيين ما يسمونه العشاء الرباني ، وهو الذي ورد ذكره في الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى إذ يقول : « وبينما هم يباكلون أخذ يسوع قطعة خبز ، وبعد أن باركها كسرها وأعطاهم لتلاميذه وقال خذوا وكلوا هذا هو جسدي ، ثم أخذ كأسا ( من الخمر ) وبعد أن باركها أعطاهم وقال اشربوا جميعا من هذه الكأس ، فهذا هو دم العهد الذي يسفك من أجل كثيرين لحو الخطايا<sup>(٢)</sup> . » وقد جرى المسيحيون على محاكاة

(١) انظر ص ٥٨ .

(٢) فقرات ٢٦ - ٢٨ من إصحاح ٢٦ من إنجيل متى .



هذا العشاء في بعض أعيادهم على الأخص ، ويعتبرون ذلك من أهم عباداتهم ..  
وجرت العادة أن تُعدّ الكنائس خبزاً وخبزاً بطقوس خاصة ليتناولها المصلون .  
ويعتقدون أن الخبز والخمر قد أصبحا بعد إعدادهما على هذه الصورة أجزاء من جسد المسيح  
ودمه . فالخبز أصبح قطعة من جسده والخمر أصبح قطرات من دمه . وبذلك  
يتمزج لحم المسيح ودمه بالحَم من يتناولهما ودمه ، ويدعو تناولهما إلى تذكرة  
الرب وما حدث له لتخليص الإنسانية من خطاياها واستحضار مجيئه يوم القيامة  
ومحاسبته للناس . فهو في نظرم امتزاج بالعنصر الإلهي من جهة وتذكرة  
للماضى وتخيّل واستحضار للمستقبل من جهة أخرى <sup>(١)</sup> . وبذلك يصرح القرار  
الذي صدر من مجيى ترنت المنعقدين سنتي ١٥٤٥ و ١٥٦٣ Concile de Trente

إذ يقول : « قد اعتقدت كنيسة الله دائماً بأنه بعد التقديس يوجد ربنا  
الحقيقي مع نفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر ... لأن يسوع المسيح هو  
بكماله تحت شكل الخبز وتحت أصفر أجزاء هذا الشكل ، كما أنه هو أيضاً تحت  
تحت شكل الخمر وجميع أجزائه . وقد اعتقدت الكنيسة أيضاً اعتقاداً ثابتاً بأنه  
بتقديس الخبز والخمر يستحيل كامل جوهر الخبز إلى جوهر جسد ربنا وكامل  
جوهر الخمر إلى جوهر دمه ... » .

فالكنييسة الشرقية تحافظ على حرفية النص السابق في إنجيل متى فتوجب  
استخدام الخبز في العشاء الرباني ؛ بينما تبيح الكنيسة الغربية استبدال  
القطائر بالخبز .

(١) يظهر أن قصة هذا العشاء محرّفة عن قصة المائدة التي ذكرها القرآن الكريم إذ  
يقول : « إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟  
قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها ونطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا  
ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون  
لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله إني منزلها عليكم فمن  
يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين . » .

٤ - يحرم المذهب الكاثوليكي الطلاق تحريماً باتناً ، ولا يبيح فصح الزواج للأبى سبب مهما عظم شأنه . وحتى الخيانة الزوجية نفسها لا تعد في نظره مبرراً للطلاق . وكل ما يبيحه في حالة الخيانة الزوجية هو التفرقة الجسمية - بحسب تعبيرهم - بين شخصي الزوجين *séparation des corps* مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما من الناحية الشرعية ، فلا يجوز لواحد منهما في أثناء هذه الفرقة أن يعقد زواجه على شخص آخر . ويعتمد المذهب الكاثوليكي في ذلك على ما ورد في إنجيل متى على لسان المسيح إذ يقول : « لا يصح أن يفرق الإنسان ما جمعه الله » ؛ على حين أن المذهب الأرثوذكسي يبيح الطلاق في حالة الخيانة الزوجية من الزوج أو الزوجة مع تحريمه الزواج على المطلق والمطلقة بعد ذلك . ويعتمد المذهب الأرثوذكسي في ذلك على ما ورد في إنجيل متى على لسان المسيح إذ يقول : « من طلق امرأته إلا بسبب الزنا يجعلها تزني » (١) .

### للمذهب البروتستانتي

في أوائل القرن السادس عشر ظهر في العالم المسيحي ، بجانب النحل السابق ذكرها ، نحلة جديدة أطلق عليها اسم البروتستانتية *Protestantisme* أي نحلة الاحتجاج أو الاعتراض وأطلق على معتنقيها اسم البروتستانت *Protestants* أي المحتجين أو المعارضين . وقد دعا إلى ظهور هذه النحلة أمور كثيرة يرجع أهمها إلى مظاهر الفساد التي بدت في كثير من شئون الكنيسة الكاثوليكية ومناهجها وطقوسها ، وما أحدثته من بدع ، ومسالك قسديها والقوامين عليها ، وإلى تحكها

(١) عرضنا فيما سبق لهذا الموضوع وأوضحنا مبلغ مجافاة هذه الأحكام لشئون العمران ، انظر صفحة ٧٨ . وقد درسنا هذا الموضوع بشيء من التفصيل مع الموازنة بين موقف المسيحية في هذا الصدد وموقف الإسلام في كتابنا « حقوق الإنسان في الإسلام » وفي كتابنا « بيت الطاعة وتمدد الزوجات والطلاق في الإسلام » .

في تفسير كل شيء ، ومحاولة فرض آرائها على جميع أتباعها حتى الآراء التي لا علاقة لها بالدين كالآراء المتعلقة بظواهر الفلك والطبيعة وشئون السياسة ونظم الحكم وما إلى ذلك .

فمن ذلك ما اتخذ مجمع لايران الرابع المنعقد سنة ١٢١٥ "Ceoncile de Latiran" بشأن الهرطقة إذ أباح للكنيسة استئصالهم . وكانوا يعنون بالهرطقة كل من يرى رأيا يخالف رأى الكنيسة ولو كان في أمور تتعلق بشئون السياسة ونظم الحكم أو بمسائل العلوم كظواهر الفلك والطبيعة والأحياء . وقد نفذ ذلك القرار بالفعل في كثير من دعاة الإصلاح في الدين وبمن خالفوا آراء الكنيسة في شئون السياسة ومسائل العلوم . فكان يحكم عليهم بالإعدام رجاء أو حرقا ويحرق معهم ما عسى أن يكون لهم من بحوث ومؤلفات . وأنشئ لمحاكمة الهرطقة والمخالفين لآراء الكنيسة في الشئون الدينية وغيرها وللمزاويلين لأعمال السحر محاكم خاصة اشتهر معظمها باسم « محاكم التفتيش » وراح ضحية تفتيشها وتحقيقاتها القريبة آلاف من الأنفس أخذ معظمهم بالظنة والشااية والسكيد . وحتى الملوك أنفسهم لم يكونوا بمنجاة من هذا العسف . فقد حكمت الكنيسة على بعضهم بالطرد والحرمان لجنوحهم لمخالفتها والخروج على طاعتها في بعض الشئون .

ومن ذلك ما سارت عليه كنيسة روما من فرض إتاوات وضرائب باهظة على التابعين لها . وما كان ينفق إلا القليل من حصيلة هذه الإتاوات والضرائب على الشئون المسيحية العامة ، ومعظمه كان يتوزع على رجال الكنيسة بينهم وينفقونه في شئون ترفهم وشهواتهم .

ومن ذلك تحريم الكنيسة الكاثوليكية على القسس والراهبان والراهبات الزواج ، وما أدى إليه ذلك التحريم من انتشار الفسق والفجور بين رجالها ونساءها

حتى لقد كان القسس والرهبان يمتصون بالراهبات أنفسهن ويبررون ذلك بأنه ضرب من « المساكنة الروحية » .

ومن ذلك ما كانت تذهب إليه الكنيسة في صدد « العشاء الرباني » من تفسيرات غريبة لا يسيغها عقل سليم ، إذ تزعم أن الخبز والخمر اللذين تمدهما ليتناولهما المصلون في بعض الأعياد على الأخص يستحيلان إلى أجزاء من جسم المسيح ودمه كما سبق بيان ذلك<sup>(١)</sup> .

ومن ذلك ما اتخذته أحد مجامعهم بشأن غفران الذنوب . فقد قرر أن من حق رجال الكنيسة الكاثوليكية أن يغفروا للمسيء ذنوبه في حالة احتضاره وفي حالة صحته ، وأن يغفروا ما تقدم منها وما تأخر . وقد أفرط رجال الكنيسة الكاثوليكية إفراطاً كبيراً في استخدام هذا الحق ، حتى لقد أنشئوا صكوكاً للغفران تباع وتشتري ، واتخذتها الكنيسة مورداً هاماً لكسب المال ، فلم يستكثر الناس بذل الأموال في الحصول عليها ما دامت تكفل لهم غفران ما ارتكبوه وما يرتكبونه من معاص وآثام . وفيما يلي نص هذا الصك الغريب :

« ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ، ويملك باستحقاقات آلامه التكالية القداسة . وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها ، وكذلك من جميع الأفرات والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وقضية ، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسي الرسولي ، وأمحو جميع أقدار المذنب وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابحتها في المطهر<sup>(٢)</sup> ، وأردك حديثاً إلى الشركة في استمرار

(١) انظر الفقرة السابقة .

(٢) انظر شرح هذه الكلمة بصفحة ٨١ .

الكنيسة ، وأقرنك في شركة القديسين ، أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كاناك عند معموديتك<sup>(١)</sup> ، حتى إنه في ساعة الموت يفتق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يودى إلى فردوس الفرح ، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتى ساعتك الأخيرة ، باسم الآب والابن وروح القدس .

لهذه الأسباب وأسباب أخرى كثيرة من هذا القبيل ظهر فى القرن السادس عشر دعاة للإصلاح الدينى وتخليص المسيحية من هذه الأدران ، وتكونت من إصلاحاتهم نحلة جديدة هى النحلة البروتستانتية . وكان على رأس هؤلاء المصلحين مارتن لوثر الألمانى Martin Luther وزونجلى السويسرى Zwingli وكالفن الفرنسى Calvin

أما مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦) فهو أسبقهم جميعاً وإليه تنسب النحلة البروتستانتية أكثر مما تنسب إلى غيره . وقد ثار فى أول الأمر ضد صكوك الغفران وأعلن بطلانها وكتب فى ذلك احتجاجاً علقه على باب الكنيسة (ومن ثم سميت نحلته بالبروتستانتية أى نحلة الاحتجاج أو الاعتراض) . فأعذر البابا قراراً بجرمانه واعتباره كافراً زائغ العقيدة . فلم يأبه لوثر لهذا القرار بل عمد إلى الإنذار الذى أرسل إليه فى هذا الصدد فحرقه فى ميدان من أكبر ميادين المدينة فى جمع حاشد من الناس . فجمع البابا سنة ١٥٢٠ مجماً قرر محاكته . فلم يذعن مارتن لوثر لهذا القرار . ولما حاول الإمبراطور فى سنة ١٥٢٩ أن ينفذ هذا القرار ثار أنصار لوثر واحتجوا على ذلك (ومن ثم سمي أتباع هذه النحلة بالبروتستانت أى للمحتجين) . وأخذ لوثر من ذلك الحين ينشر مبادئه المعارضة للكنيسة

(١) انظر شرح هذه الكلمة بصفحة ٦٩ .

الكاثوليكية والتي تتكون منها النحلة البروتستانتية ، وأخذ الناس يدخلون في نحلة أفواجاً .

وأما زونجلى السويسرى ( ١٤٨٤ -- ١٥٣١ ) فقد ظهر في العصر نفسه الذى ظهر فيه لوثر ودعا إلى كثير مما دعا إليه لوثر في شئون الدين وثار على صكوك الغفران وغيرها من مفاسد الكنيسة الكاثوليكية وتبعه كذلك خلق كثير . ولكنه مات قتيلاً في أثناء صراع وقع بين أنصاره وأنصار الكنيسة الكاثوليكية . وكانت دعوته منفصلة عن دعوة لوثر وإن التقت معها في مبادئها .

وأما كلشن الفرنسى ( ١٥٠٩ - ١٥٦٤ ) فقد قام بعد لوثر بالدعوة إلى البروتستانتية ونشر مبادئها وألف في ذلك بحوثاً ورسائل كثيرة نشر معظمها بعد فراره إلى جنيف بسويسرا - فإليه يرجع الفضل الأكبر في تنظيم البروتستانتية وتحرير مبادئها .

\* \* \*

وقد انتشرت البروتستانتية في كثير من بلاد العالم ويعتقها الآن معظم أهل ألمانيا والدانمرك وسويسرا وهولندا والسويد والنرويج وانجلترا واسكتلنده وإيرلنده الشمالية والولايات المتحدة الأمريكية ؛ وأخذت الآن ، بفضل جمعيات التبشير البروتستانتية وعظيم نشاطها وواسع إمكاناتها المالية وإخلاص رجالها لمبادئها ، تغزو كثيراً من معازل الكاثوليكية والأرتودكسية ، وتنتشر في السودان الجنوبي وأواسط أفريقيا والصين واليابان .

\* \* \*

هذا ، ولا تختلف البروتستانتية عن النحل السابقة فيما يتعلق بجوهر العقيدة . فهي مثلها تؤمن بالتثليث وألوهية المسيح وبنوته لله وصلبه وقيامته ورفعه وحسابه

للعالم يوم القيامة وبأنه سلب التكفير الخطيئة الأزلية التي ارتكبها آدم وعلقت  
بجميع نسله .. وما إلى ذلك من الأمور التي استقرت عليها العقيدة للمسيحية  
والتي أشرنا إليها فيما سبق . وإنما تختلف البروتستانتية عن غيرها من النحل  
المسيحية بوجه عام وعن الكاثوليكية بوجه خاص في أمور فرعية من أهمها  
ما يلي :

١ — تستمد البروتستانتية جميع الأحكام المتعلقة بالمقائد والعبادات  
والشرائع من الكتاب المقدس وحده ، ولا تقيم لغيره وزناً في هذا الصدد إلا إذا  
كان تفسيراً معقولاً لما ورد في هذا الكتاب ؛ على حين أن الكنائس الأخرى  
تستمد أحكامها من الكتاب المقدس ومن قرارات المجامع وآراء البابوات  
ورؤساء الكنائس . ومن ثم سميت الكنائس البروتستانتية الكنائس الإنجيلية  
لإعتمادها على الإنجيل خاصة وعلى سائر أسفار الكتاب المقدس بوجه عام ،  
بينما سميت الكنائس الأخرى الكنائس التقليدية لإعتمادها على التقاليد المستمدة  
من المجامع ومن آراء رؤساء الكنيسة وجعلها لهؤلاء الرؤساء سلطاناً في تقرير  
حقائق المقائد والعبادات والشرائع .

٢ — لا تقر البروتستانتية البابوية أو الرياسة العامة في شؤون الدين . ولذلك  
ليس لكنائسهم رئيس عام كما هو الشأن في الكنائس الأخرى ، وإنما تجمل لكل  
كنيسة بروتستانتية رياسة خاصة بها ، وليس لها إلا سلطان الوعظ والإرشاد  
والقيام على شؤون العبادات والواجبات الدينية الأخرى وعلى تعاليم مسائل الدين .  
ولا يسمون رجال الدين قساكاً كما هو الشأن في الكنائس الأخرى ، وإنما يسمونهم  
« رعاة » Pastors . لأهم يرعون تابعي كنيستهم ويؤدون لهم ما يجب على  
الراعي أن يؤديه نحو رعيته من واجبات .

٣ — ليس في البروتستانتية نظام الرهبنة ، وهي لا تحرم الزواج على رجال

الدين كما تحرمه الكاثوليكية على جميع الرهبان والقسوس بمختلف درجاتهم<sup>(١)</sup>.

٤ - تنكر البروتستانتية كل الإنكار أن يكون لرجل الدين الحق في غفران الذنوب في حالة الاحتضار وغيرها ، وإنما تجعل ذلك الحق لله وحده ، فيقبل إن شاء توبة العاصي ويففر له ما تقدم من ذنبه ، بل إن أهم ما توجهت البروتستانتية في نشأتها إلى القضاء عليه هو ما كانت تزعمه الكنيسة الكاثوليكية لرجالها من السلطان في محو الذنوب ، وما تبع هذا الزعم من نظام صكوك الغفران كما تقدم بيان ذلك<sup>(٢)</sup>.

٥ - تقرر البروتستانتية أن الغرض من أكل الخبز وشرب الخمر في العشاء الرباني هو أن يكون وسيلة رمزية لتذكرك ما قام به المسيح في الماضي إذ قدم جسمه للصلب ودمه للإراقة لتخليص الإنسانية من الخطيئة الأزلية ولتذكرك ما سيقوم به يوم القيامة إذ يدين الناس ويحاسبهم على ما كسبت أيديهم . وبذلك تنسك البروتستانتية كل الإنكار ما تذهب إليه الكنائس الأخرى إذ تزعم أن ما تجريه على الخبز والخمر من طقوس يحولها إلى أجزاء من جسم المسيح ومن دمه كما تقدم بيان ذلك<sup>(٣)</sup>.

٦ - تنكر البروتستانتية إنكارا باتا جميع ما تقيمه الكنائس الأخرى للسيدة مريم أم المسيح من طقوس واحتفالات وعبادات وأعياد<sup>(٤)</sup> ، وتعتبر ذلك خروجا على أصول الدين .

٧ - تحرم البروتستانتية ما تسير عليه الكنائس الأخرى من وضع الصور والتماثيل في أماكن العبادة واتجاه المصلين لها بالسجود ، معتمدة على تحريم التوراة.

(١) انظر في ذلك كتابنا « قصة الزواج والعزوبة في العالم » .

(٢) انظر في أول هذه الفقرة الأسباب التي دعت إلى قيام البروتستانتية ،

(٣) انظر صفحتي ١١٥ ، ١١٦ .

(٤) انظر صفحة ٩٩ .



فذلك وعلى أن شريعة موسى شريعة للمسيحيين إلا ما ورد نص صريح من المسيح بنسخه أو تعديله . فقد جاء في الإصحاح الخامس من سفر التثنية ، وهو من أهم الأسفار التشريعية في التوراة المزعومة ، : « لا تجعل لك تمثالا منحوتا يعثل شيئا ما من ظواهر السماء من فوق أو مما في الأرض من أسفل أو مما في الماء من تحت الأرض ، ولا تسجد لمن ولا تعبدن ، فإنني أنا إلهك الباقي إياه غيور أعاقب الأولاد بظلم الآباء حتى الجيل الثالث والرابع وأسيغ نعمتي على من يخلصون لي ويتبعون أوامري وعلى ذريتهم من بعدهم إلى ألف جيل »<sup>(١)</sup>

٨ — تحرم البروتستانتية أن تقام الصلاة بلغة غير اللغة المفهومة للمتعبد ، كما تفعل الكنائس الأخرى إذ تقيمها بلغة ميتة كاللاتينية والقبطية<sup>(٢)</sup> .

---

(١) فقرات ٨ — ١٠ من الإصحاح الخامس من سفر التثنية .  
(٢) من أهم المراجع في الموضوعات التي درسناها في الفقرات الخمس الأخيرة من هذا الفصل ( فقرات ٩ — ١٣ ) البحث القيم الذي نشره صديقنا العلامة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة تحت عنوان « محاضرات في النصرانية » .

## الفصل الثالث

### أسفار الديانة الزرادشتية

سنمهد لهذا الفصل بفقرتين : نعرض في أوّلها لشخصية زرادشت واختلاف الآراء بشأنها ، وفي الأخرى لتاريخ حياته ورسالته وانتشار دينه .  
ثم نقف بقية فقرات هذا الفصل على الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية (أسفار الأبتاق) وشروحها وما تقرره من عقائد وعبادات وشرائع وأخلاق .

— ١ —

#### شخصية زرادشت

يطلق العرب عليه اسم « زرادشت » ، وهو اسمه في الفارسية الحديثة ؛ وكان اسمه في الفارسية القديمة ( لغة الأسفار المقدسة للسماء « الأبتاق » ) زراتسترا Zarathoustra أو سبيتاما زراتسترا Spitama Zarathoustra (والراجح أن سبيتاما هو اسم أحد أجداده) ، ويسمى في الفهلوية ( الفارسية في مراحلها المتوسطة ) زراتشت ، ويسميه المسعودي في كتابه « مروج الذهب » وابن الفديم في كتابه الفهرست زرادشت بن سبتان ، ويسميه الفرنجة زورواستر Zoroastre أخذنا من اسمه في اللاتينية . — ويذكر « الأبتاق » ( مجموعة الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية التي سنتكلم عليها في الفقرة الثالثة ) أن أباه كان يسمى پوراشاسب Pourashasp وأن أمه كانت تسمى دُغْدُها Dughdh—Huova وتسمى في الفهلوية دُغْدَافو Doghdavo وفي الفارسية الحديثة دُغْدُويه .

وقد اختلف الباحثون في شخصية زرادشت ، وانقسموا في صددّها إلى

ثلاث فرق :

١ — ففريق ينكر وجوده ، ويقرر أنه شخصية أسطورية خيالية ، قد نسجت حولها طائفة من العقائد والتقاليد والشرائع والعبادات التي كان يسير عليها الإيرانيون . ولا يقدم هذا الفريق بين مدى مذهبه دليلاً يعتمد به ، بل لقد دلت الكشوف الحديثة على بطلان هذا الرأي ، ولم يعد له وزن ما بين المحدثين من الباحثين .

٢ — وفريق يرى أنه شخصية حقيقية ، وأنه هو إبراهيم الخليل الذي ورد ذكره في التوراة والقرآن ، وأن أسفار « الأبتاق » هي صحف إبراهيم التي تحدث عنها القرآن الكريم<sup>(١)</sup> .

وقد ساد هذا الرأي لدى كثير من الزرادشتيين خاصة وعامتهم . فالأسدي في كتابه « لغت فرس » يقول « الأبتاق تفسير الزند وكان الزند صحف إبراهيم »<sup>(٢)</sup> . ويقول صاحب « برهان قاطع » : « كان إبراهيم زرادشت يدعى أن الزند نزل عليه من السماء ، ويقول بعضهم إنه صحف إبراهيم »<sup>(٣)</sup> .

ولعل التشابه بين ما تذكره الكتب المقدسة عن حياة إبراهيم وما تذكره التراجم والأساطير الفارسية عن حياة زرادشت ، وخاصة ما يتعلق باتجاه كليهما إلى التأمل في كواكب السماء وملاحظة بزوغها وأفولها والانهاء من هذا التأمل وهذه الملاحظة إلى أن كانت هذا شأنها لا يمكن أن تكون آلهة<sup>(٤)</sup> ، وما يتعلق

(١) - إن هذا في الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى ، آخر آية من سورة

الأعلى .

(٢) يحمل الأسدي الأبتاق تفسيراً للزند ، مع أن الأمر على العكس من ذلك ، فالزند هو شرح الأبتاق كما سيأتي بيان ذلك في الفقرتين الثالثة والرابعة من هذا الفصل .

(٣) يخطئ صاحب هذا الكتاب بين « الأبتاق » و « الزند » . فالكتاب الأصلي الذي يزعم الزرادشتيون أنه نزل من السماء هو « الأبتاق » ، وأما الزند فهو شرح للأبتاق كما سيأتي بيان ذلك . انظر الدكتور أمين عبد الحميد : « القصة في الأدب الفارسي » ، ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) أشار القرآن الكريم إلى هذه التأملات والملاحظات إذ يقول : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكباً »

بمخاربة كليهما لما كان يعكف عليه قومه من عبادة الكواكب وما يمثلها ويرمز إليها من أصنام<sup>(١)</sup> ، وما يتعلق بإلقاء كليهما في النار وجعلها برداً وسلاماً عليه<sup>(٢)</sup> ، لعل التشابه بينهما في هذه الأمور وما إليها هو الذي دعا هذا الفريق إلى القول بأن زرادشت هو إبراهيم الخليل وأن الأستاق هو صحيف إبراهيم . .

وليس لهذا الرأي أي سند يعتد به ، بل إن أدلة كثيرة تتضافر على القطع ببطلانه . فمن ذلك أن زرادشت قد ظهر في أصح الروايات في القرن السابع قبل الميلاد ، على حين أن إبراهيم الخليل كان ظهوره حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد أي قبل زرادشت بنحو عشرة قرون . ومن ذلك أن إبراهيم الخليل قد نشأ في بلدة أور ببلاد السككندان وأنه سأمى الجنس ، على حين أن زرادشت قد نشأ بأذربيجان إحدى مقاطعات ميديا في بلاد إيران وأنه آرى الجنس . ومن ذلك أن القرنين يحدنا عن رحلة إبراهيم إلى مكة وإسكانه فيها ابنه إسماعيل

== قال هذا ربي ؟ فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي ؟ فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ؟ فلما أفلت قال يا قوم لئن لم يهدني ربي ما كنت منكم . ( الأنعام ٧٥ — ٧٨ ) .

(١) أشار القرآن الكريم إلى مخاربة إبراهيم لعبادة الأصنام في عدة سور ، منها قوله تعالى في سورة الأنبياء : « ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به غلبيين . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ... قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ؟ أف لسكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » ( الأنبياء ٥١ — ٦٧ ) . ومنها قوله تعالى في سورة الصافات في قصة إبراهيم : « إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ؟ أنفكأ آلهة دون الله تريدون ؟ ... قال أتعبدون ما تتعبدون ؟ والله خلقكم وما تعملون » ( الصافات ٨٥ — ٩٦ ) . ومنها قوله تعالى في سورة الأنعام : « ولما قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة ؟ لئن أراك وقومك في ضلال مبين » ( الأنعام ٧٤ ) .

(٢) ذكر القرآن الكريم قصة إلقاء إبراهيم في النار وجعلها برداً وسلاماً عليه في سورة الأنبياء إذ يقول : « قالوا حرّ قوه وانصروا آلهتكم لئن كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخرسين » ( الأنبياء ٦٨ — ٧٠ ) . وفي سورة الصافات إذ يقول : « قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم . فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين » ( الصافات ٩٧ ، ٩٨ ) .

وأمه هاجر وبنائه للكعبة ، بينما يدل تاريخ زرادشت على أنه لم يرحل إلى بلاد الحجاز ولم تكن له صلة ما بمكة ولا بالبيت الحرام .

٣ — والرأى الصحيح هو ما يذهب إليه الفريق الثالث الذى يقرر أن زرادشت شخصية حقيقية وأنه غير إبراهيم الخليل . وقد اختلف هؤلاء فى تحديد جنسيته وتحديد الزمن والمكان اللذين ظهر فيهما . وأرجح الآراء فى هذا الصدد أنه إيرانى الجنس ، وأنه ولد فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد حوالى سنة ٦٦٠ قبل الميلاد بأذربيجان إحدى مقاطعات ميديا على مقربة من بحيرة أورميا ، وأنه قد هاجر منها إلى بختري فى شرق إيران فى مرحلة شبابه ، وأنه مات قتيلا فى بيت من بيوت النار فى بلخ حوالى سنة ٥٨٣ عندما أغار عليها الطورانيون . وقد اعتمد أصحاب هذا الرأى على أدلة تاريخية كثيرة يكاد بعضها يصل إلى درجة اليقين . وفى مقدمة المنتصرين لهذا الرأى من العلماء المحدثين دارمستيتير وهوارت من القرنين وويست الإنجليزى وجاكسون الأمريكى<sup>(١)</sup> .

Darmesteter, Huart, West, Jackson .

ولا يعتقد أحد من العلماء الباحثين فى الوقت الحاضر بما كان يزعمه اليهود — حسب ما يروى عنهم الطبرى وابن الأثير وغيرهما من مؤرخى العرب — من أن زرادشت كان من أهل فلسطين ، وكان من خاصة الخدم لبعض تلاميذه أرمياء النبى ، فخاناه وكذب عليه ، فأصيب بالبرص ، وفر من فلسطين ، ولحق ببلاد أذربيجان . وشرع بها دينه .

(١) انظر حامد عبد القادر : «زرادشت الحكيم» ، ٢٨ — ٣١ .

حياته ورسالته وانتشار دينه

الراجح أن زرادشت ولد حوالي سنة ٦٦٠ قبل الميلاد بأذربيجان إحدى مقاطعات ميديا على مقربة من بحيرة أورميا في القسم الغربي من بلاد فارس كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

ويروى عن مولده وعن الفترة السابقة لمولده قصص وأساطير كثيرة يشبه بعضها ما يقوله المسيحيون عن المسيح وأن روح الله قد حلت فيه أو أنه أحد الأقانيم المكونة للإله، ويشبه بعضها ما حدث لإبراهيم الخليل من إلقائه في النار بدون أن يمس منها ضرر، ويقص بعضها نبأ حوادث كونية وفلكية وحيوانية غريبة كانت إرهاباً لبعثته وبشيراً بقرب ظهوره . فمن ذلك ما ترويه أساطير الإيرانيين من أن ثورا قد ظهر قبل مولده وتكلم منبئاً بقرب ظهور منقذ للعالم من سيطرة قوى الشر؛ وتنسب أساطير أخرى هذه البشارة إلى ثورين اثنين لا إلى ثور واحد . ومن ذلك ما شاع اعتقاده عند قدامى الإيرانيين من أن الله قد نفخ في رحم أمه من روحه . فتمصت روح الله جسد زرادشت ، فنشأ جامعاً بين اللاهوت والناسوت ، على نحو ما يعتقد المسيحيون في المسيح ، وأنه لما ولد أحاط بالدار التي ولد بها نور قدسي وهاج ، وهبط من السماء نجم عظيم ودنا من الأرض وأعلن النبأ السار ، وظهر في عرض الأفق في السماء كوكب عظيم ملاً ضياؤه جميع أنحاء الفضاء ، وأنه قد ضحك عقب ولادته بصوت مرتفع سمعه جميع الحاضرين ، وكان المنجمون قد أخبروا حاكم أذربيجان أن نبيا سيظهر قريبا وأنه سيتم على يديه إلغاء دين الفرس وإبطال السحر وأنه ستبدو منه أمور ( م ٩ - الأسفار المقدسة )

خارقة للعادة عقب ولادته، ولما سمع الحاكم بولادة زرادشت وأنه ضحك عقب ولادته ذهب في طلبه إلى دار أبيه پوراشاسب وهم بقتله بخنجره ، ولكن يده قد جمدت ولم تستطع تحريك السيف ، فأشار عليه السحرة بأن يبنى بنيانا كبيرا ويملاء وقودا ويشعل فيه النار ويلقى فيه زرادشت ، فأنفذ ما أشاروا به، ولكن النار لم تحرق الطفل ، بل كانت برداً وسلاماً عليه . وأخذته سنة من النوم فنام في وسط الرماد ؛ وما برح نائماً حتى جاءت أمه مستخفية على حين غفلة من الناس فحملته إلى دارها سليماً<sup>(١)</sup> .

ولما بلغ زرادشت العشرين من عمره أحس رغبة شديدة في الوقوف على حقيقة الكون وخالفه ومحتويات الطبيعة وما وراءها ، فأثر العزلة والرياضة الروحية والتأمل العميق في ملكوت السماوات والأرض ، لتصفو روحه ، ويوقن بقدرة الإلاه ، وتطهر نفسه من جميع عقائد الشرك والسحر ونسبة الأفعال للسكرابك والمخلوقات ، ويتمهياً لتلقى الإشراف والاهتداء إلى معرفة الحق ، وأخذ يطوف بمختلف بلاد إيران لتزداد تجاربه وتزداد معرفته بالمجتمعات وشؤون حياتها. وقد استغرقت هذه المرحلة عشر سنين ، فبلغ في نهايتها الثلاثين من عمره وكان حينئذ قد وصل إلى أرق درجات الصفاء الروحي .

وتروى أسفار الديانة الزرادشتية أنه حينما بلغ هذه المرحلة نزل عليه الوحي من السماء . فبينما هو واقف على شاطئ نهر ديتي Daiti في مقاطعة أذربيجان إذا به يرى كأنه مضيئاً يهبط من السماء ، وكأنه عمود من نور ، حجمه تسعة أمثال حجم الإنسان ، ويحمل في يده عصا من اللهب ، ولما دنا منه أنبأه أنه فاهومانا Vahumana كبير الملائكة أرسله الله إليه ليعرج به إلى الملائكة الأعلى ليحظى بشرف الثول أمام رب العالمين « أهورا مزدا » . وهناك أشرقت عليه معرفة

(١) حامد عبد القادر ، زرادشت الحكيم ٣٦ — ٣٩ .

الخلق ، وتكشفت له أسرار الكون ، ورفعت عن بصره الحجب ، ووقف على ما كان يسعى للوقوف عليه وأصبح نبيا مرسلا ، وأوحى الله إليه بتفاصيل دين كامل يبلغه للخلق ، وبكتاب مقدس هو « الأستاق » الذي سنتكلم عليه في الفقرة الثالثة من هذا الفصل .

وقضى زرادشت عشر سنين يطوف فيها ببلاد إيران ، ويبلغ الناس رسالته ، ويدون أن يجد مستجيبا لما يدعو إليه . وقد قام في أثناء ذلك من المتعاب والأهوال مالا يصبر على احتمال مثله إلا أولو العزم من الرسل . ولما لم يظفر في بلاده بأتباع يدخلون في دينه رحل إلى بلاد الطورانيين ، فلم يجد منهم خيرا سما وجده من أهله ، بل لقد كانوا شرأ عليه من أهله ، فقد لقي منهم عنتا وأذى شديدين ، بل لقد تعرض للهلاك أكثر من مرة .

ولم يودعه أهورا مزدا ولم يجرمه عنانيته في هذه المدة ، بل ظل يؤيده ويقوى عزيمته ويربط على قلبه ، ويثبت عقيدته بالوحي المتوالي ، ويمده بأن الآخرة ستكون خيرا له من الأولى وأن ربه سوف يعطيه حتى يرضى . وقد نزل عليه اللوح في أثناء هذه السنين العشر سبع مرات ظهر له فيها الملائكة الستة كبار الملائكة .

وفي السنة الحادية عشرة بعد نبوته أي حينما جاوز الأربعين من عمره بدت في أفقه طلائع النجاح ، فأمن به ابن عمه مَتيوماه Metyomah ، واتصر لدينه ، فحشد الله به أزره ، وقوى به دعوته .

ومضت سنتان بعد ذلك لم يؤمن به في أثناءهما أحد ، وإن كانت محتويات رسالته قد انتشرت وأصبحت معروفة لكثير من الناس .

وبعد أن بلغ الثانية والأربعين أوحى الله إليه أن يذهب إلى كشتاسب (أو يوشتاسف أو يُستاسف كما يسميه العرب) ملك إيران حينئذ ليبلغه رسالة



ربه لعله يتذكر أو يخشى . فصدع بما أمر به ، وشخص إلى عاصمة الملك ببلخ «  
ودعا الملك إلى الدخول في دينه ، بعد أن وقفه على أصوله ، وتلا عليه آيات من  
كتابه المقدس الذي أوحى إليه به . فتأثر الملك بما سمع ورق قلبه لهذا الدين وإن  
كان لم يدخل فيه ، وأنزل زرادشت مُنزلاً كريماً ، وأحاطه بحفاوة عظيمة ، وأعدت  
لإقامته جناحاً خاصاً في قصره زوده بفاخر الأثاث والرياش والخدم والأتباع .  
ويروى الطبري وابن الأثير وغيرهما من مؤرخي العرب أن المجوس يزعمون أنه نزل  
على الملك كشتاسب من سقف إيوانه ويده كبة من نار يلب بها ولا تحرقه .

وقد أثارت حفاوة الملك بزرادشت حسد كثير من رجال الحاشية والمقربين  
للملك ، فأخذوا ياتَمرون بزرادشت ، ويسعون ضده بالوشاية ، ويدبرون له المكائد  
ويتربصون به الدوائر . ولكن انتهى الأمر بعد محن كثيرة أصابت زرادشت ،  
بانتصاره على أعدائه وإقامة الحججة عليهم وإثبات نبوته بظهور معجزات كثيرة  
على يديه وإبرائه لأمرض وعاهات يعجز الطب العادي عن شفاؤها : فمن ذلك  
شفاؤه لجواد الملك كشتاسب . فقد كان لهذا الملك جواد أسود يحبه ويمتز به ،  
فأصابه مرض تقلصت من جرائه قوائمه الأربع جميعاً ودخلت في بطنه ولم يظهر  
منها إلا أطرافها ؛ وعجز جميع بياطرة الدولة عن علاجه ، فأشير على الملك أن  
يعرضه على زرادشت ، وكان حينئذ سجيناً ، فأخرجه من السجن وطلب إليه  
أن يدعوربه أن يبرىء الجواد من مرضه ، فاشتراط زرادشت لذلك أربعة شروط ،  
وهي : أن يؤمن الملك والملئكة برسالاته ؛ وأن يعلن الملك الحرب على الطورانيين ؛  
ويكون ولي العهد على رأس جيشه ؛ وأن يعاقب من تسببوا في سجن زرادشت  
عقاباً صارماً . فقبل الملك شروطه ، وكان كلما حقق شرطاً منها توجه زرادشت  
بالدعاء إلى ربه فتخرج إحدى قوائم الجواد من بطنه ، وهكذا حتى خرجت قوائمه  
كلها ، وعاد كأن لم يكن قد أصابه شيء من قبل . ومن ذلك أيضاً أنه أعاد

«البصر إلى أعمى من بلدة الدينور بأن وصف له حشيشة وطلب أن يُعصر ماؤها  
بني عينيه فأبصر» (١).

فأمن به الملك والملكة وولي العهد وتبهمهم رجال الحاشية والجيش والخاصة .  
« وكان في مقدمة من اعتنقوا الدين الجديد من حاشية الملك رجلان قدر لهما  
أن يكونا الحواريين العظميين المخلصين للزرادشتية ، المجاهدين في سبيل نشرها  
والدفاع عنها ، هما « جاماسب » وزير الملك ونجّيته « وفراشا أوسترا » وزير  
الملك الثاني . وقد رأى زرادشت أن يوثق الصلة بينه وبين حاشية الملك بإيجاد  
رابطة نسب بينه وبين هذين الحواريين . فزوج أخته من « جاماسب » ، وتزوج  
هو من أخت « فراشا أوسترا » . فحين انضمت رابطة النسب إلى رابطة الدين  
توثقت العلاقة بين زرادشت ووزيري الملك . ولا ريب أن هذا كان من أسباب  
سرعة انتشار الزرادشتية » (٢) .

وأخذ الناس بعد ذلك يدخلون في هذا الدين أفواجا ، ولم تمض بضعة سنين  
حتى اعتنق الزرادشتية معظم أهل إيران ، بل يقال أنه قد دخل في هذا الدين  
كثير من أهل البلاد المجاورة لإيران ، وخاصة بعض بلاد الهند ، بل يقال  
إنه انتشر كذلك في بعض بلاد اليونان نفسها .

وشن كشتاسب ورجال دولته حربا دينية لا هوادة فيها على مخالفيهم في  
العقيدة . فاضطر فريق ممن لم يؤمنوا بزرادشت ودعوته إلى الهجرة عبر جبال

---

(١) من الطريف أن الشهرستاني لا يسلم بأن هذه معجزة ، بل يرى أنها خاصة من  
خواص الحشائش التي عصر ماؤها ، فيقول : « وهذا من جملة معرفته بمخاصية الحشيش وليس  
من المعجزات في شيء » ! ! مم أنه من الواضح أن الرابطة بين الحشيش والإبصار في هذا  
الحادث — لأن صحت هذه القصة — ليست رابطة سبب بمسبب ، بل مجرد مصاحبة اتفاقية ،  
كضرب قتيل بني إسرائيل بجزء من البقرة المذبوحة وبمته إلى الحياة بعد هذه الضربة . ولو أن  
شخصاً آخر غير زرادشت وصف هذا الإجراء ما أدى إلى هذه النتيجة .

(٢) حامد عبد القادر ، زرادشت الحكيم ، ص ٥٧ .

هندوكوش ونزلوا أرض البنجاب ، وبقى الفريق الآخر بإيران نفسها محتملين ، آثار الاضطهاد<sup>(١)</sup> . ولم تصبح الزرادشتية ديانة رسمية للدولة إلا أيام الساسانيين في القرن الثالث الميلادي . ولكنها على الرغم من ذلك لم تكن عقيدة الإيرانيين عامة ؛ بل كانت تقوم إلى جانبها وتتصارع معها عقائد شتى تعتنقها أقليات من الإيرانيين ؛ ومن أم هذه العقائد اليهودية والبوذية والنصرانية والمناوية والمزدكية . ثم جاء الإسلام فدخل فيه معظم أهل إيران ولم يبق على الزرادشتية إلا نفر قليل هاجر بعضهم إلى بلاد الهند ولا تزال منهم في الوقت الحاضر طائفة في بومباي تعرف بالفرسيين وتمسك بهذا الدين إلى يومنا هذا ، وبقيت فئة منهم في فارس تقيم شعائر دينها وتوقد النار في المعابد في كثير من الولايات الفارسية . وعاشت هذه الفئة مع الأقليات الدينية الأخرى في أمان واطمئنان في ظل المسلمين . ثم أخذ أتباع الزرادشتية في إيران يتناقص عددهم شيئاً فشيئاً منذ القرن الثالث الهجري حتى أوشكوا على الانقراض ولم يبق منهم في العصر الحاضر إلا عدد قليل .

\* \* \*

هذا ، وقد قضى زرادشت نحبه حوالي سنة ٨٥٣ قبل الميلاد على أرجح الأقوال وهو في نحو السابعة والسبعين في أحد الهياكل المقدسة في بلخ . ومات قتيلاً وهو يقوم على خدمة النار في أثناء غارة الطورانيين على بلاد إيران . فقد وصلوا إلى بلخ بينما كان زرادشت وثمانون من كبار الكهنة يقدمون الوقود للنار في هيكل هذه المدينة ، فهجم عليهم الأعداء وطعنوهم بسيفوفهم ، فخر الجميع صرعى ، وسالت دماؤهم فلطخت جدران موقد النار ، وامتدت إلى النار المقدسة نفسها فأخذتها .

(١) أمين عبد المجيد ، القصة في الأدب الفارسي ص ٩٦ .

## الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية

### « الأبتاق »

يطلق على الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية اسم « الأبتاق » وهو تعريب لكلمة « الأفتا » Avesta (ومعناها الأساس أو الأصل أو اللين أو السند). والمقرر في هذه الديانة أن الأبتاق موحى به من الإلاه المسمى عندهم « أهورا مزدا » وليس من وضع زرادشت .

وكان الأبتاق يشتمل على واحد وعشرين سفرأ ، وكان مجموع الفصول التي تشتمل عليها هذه الأسفار ألف فصل . ويحوى تفصيلا لعقائد الديانة الزرادشتية وعباداتها وشرائعها وتاريخها وما اجتازته من مراحل وتاريخ نبيا زرادشت من قبل رسالته ومن بعدها .

ويقال إنه سجل على اثني عشر ألف جلد من جلود البقر أو الثيران أو المعز<sup>(١)</sup> ، وأنه قد كتب حفرأ في الجلد ونقشا بالذهب . وفي هذا يقول للسعودي في « مروج الذهب » : « إن الأبتاق كتب في اثني عشر ألف مجلد بالذهب ، فيه وعد ووعيد وأمر ونهى وغير ذلك من الشرائع والعبادات »<sup>(١)</sup> .

وقد فقدت جميع نسخ الأبتاق بعد غزو الإسكندر لفارس سنة ٣٣٠ قبل الميلاد وفقدت معها تفاسيره والمؤلفات التي كانت تشتمل على شيء من أجزائه . والراجح أن اليونانيين قد تعمدوا لإعدامها لما عرف عنهم من الاعتزاز بحضارتهم

(١) يرى صديقنا الفاضل الأستاذ العلامة حامد عبد القادر في كتابه القيم « زرادشت الحكيم » أن رواية كتابته على جلود المعز هي أصح الروايات وأكثرها اتفاقاً مع العبارة الفارسية ، ( انظر « زرادشت الحكيم » ص ٦٦ ) .  
(٢) أمين عبد المجيد ، المرجع السابق ص ٣١ .

وعدائهم لحضارة الفرس وثقافتهم، ولما طبعوا عليه من ميل للانتقام من الإيرانيين،  
ومجازاتهم على ما فعلوا بالآثار اليونانية إبان انتصارهم على اليونان قبل ظهور  
الإسكندر. ومن ثم يوصف الإسكندر في الأساطير الزرادشتية بأنه « الرومي  
الملعون الذي يستهويه الشيطان فيخرب البلاد ويسفك دماء الأبرياء ويحرق  
برسبوليس عاصمة فارس ويقضى على كتب الزرادشتية المقدسة المدونة على اثنتي  
عشرة ألف قطعة من جلود المعز؛ وأنه لذلك سيذهب إلى الجحيم بعد أن يقضى  
على نفسه بنفسه (١) » .

وظلت بعد ذلك نصوص الأوستاق أو بعضها في حواظ الموازنة ( كبار رجال  
الدين عند الفرس ) والفقهاء يتناقضونها ويتناقضها الناس عنهم مشافهة . فلا بد أن  
يكون قد دخلها من جراء ذلك كثير من التحريف والتغيير والزيادة، وأن يكون  
حظ كبير منها قد عدت عليه عادة النسيان .

وفي النصف الأخير من القرن الأول الميلادي ( ٥١ - ٨٧ ) شرع قولوجيسس  
الأول (Yologeses) ( بلاش الأول ) ملك فارس من الأسرة البارثية في تدوين  
ما بقي من حواظ الناس من الأوستاق . وأكمل عمله هذا في القرن الثالث الميلادي  
الملك أردشير مؤسس الدولة الساسانية . وبلغ ما تم تدوينه في هذين العهدين  
واحداً وعشرين سفرأً تشتمل على ٣٤٨ ثلثمائة وأربعين وثمانية فصول من  
فصول الأوستاق التي كانت تبلغ ألف فصل كما قدمنا، أي إنه قد فقد منه نحو  
الثلاثين ، هذا إلى ما اعتور الفصول المدونة من نقص وزيادة وتحريف وتغيير  
عن أصولها نتيجة لتقدم العهد بها وتناقلها مدة طويلة عن طريق المشافهة كما  
سبقت الإشارة إلى ذلك .

وكما فقد الأوستاق القديم الأصلي ، فقد كذلك هذا الأوستاق الذي دون

(١) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ص ٦٧ .

من حواظ الناس في عهد البارثيين والساسانيين . وجاء في أثناء ذلك الإسلام واعتنقه معظم الإيرانيين ، ولم يبق على الزرادشتية إلا أقليات ضئيلة لا يؤبه لها . وكان من جراء ذلك أن نسي الإيرانيون معظم ما يتصل بالأبستاق ، ولم يبق منه في ذكرياتهم إلا رواسب قليلة يتناقلها الخلف عن السلف . ومن هذه الرواسب دون المؤرخون في هذه العصور ، ومنهم القدامى من مؤرخي العرب ، جميع ما كتبوه عن الديانة الزرادشتية .

وفي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي عثر أحد علماء الآثار الفرنسيين وهو العلامة دو پرون Duperron ، في أثناء بحثه في مكتبه بودليان بمدينة أكسفورد Bodlienne<sup>(١)</sup> ، على قسم من الأبستاق الذي دون في عهد البارثيين والساسانيين ، فقام بنشره وترجمته ؛ وترجم بعد ذلك إلى كثير من اللغات الحية . وهذا القسم هو كل ما وصل إلينا وما نعرفه عن الأبستاق . وهو يشتمل عن خمسة أسفار لاتسكاد تتجاوز في مجموع فصولها ربع الأبستاق الذي دون في عهد البارثيين والساسانيين

وهذه الأسفار هي :

١ — سفر اليساننا Yasan ( ومعناها العبادة أو التسبيح ) . ويشتمل على أدعية وصلوات كان يتجه بها إلى الله وإلى الملائكة والكائنات المقدسة وإشارات إلى تاريخ الدعوة الزرادشتية في مراحلها الأولى .

ومن بين فصول اليساننا سبعة عشر فصلا تعرف باسم « الكاتاهات » وهي أقدم أجزاء الأبستاق وأكثرها قداسة . ويسوق الباحثون عدة أدلة على أنها

---

(١) هي مكتبة من أشهر مكتبات العالم ، تشتمل على أكثر من نصف مليون مجلد وعلى ثلاثين ألف مخطوط ؛ وقد أنشأها توماس بودلي Thomas Bodley من رجال السياسة الإنجليز فنسبت إليه .

أقدم ما ألف من فصول الأبتساق جميعاً . ومن هذه الأدلة أنها هي وحدها التي كتبت في الأصل باللهجة الميمنية ، وهي لهجة المنطقة التي ولد فيها زرادشت ، فكانت إذن أول لغة استخدمها في حديثه وتأليفه ، قبل أن يهاجر إلى زنجتر في شرقي إيران ويأخذ عن أهلها لغتهم ، وهي اللغة التي كتبت بها في الأصل ما عدا السكاتاها من أسفار الأبتساق .

وفيا يلي بعض نصوص من اليسنا ترجمها بشيء من التصرف الأستاذ حامد عبد القادر في كتابه عن « زرادشت الحكيم » :

« النجدة لهذا الإنسان ، النجدة له مهما يكن أمره . ليتفضل على الخالق الأكبر ، والحاكم الأعظم ، الرب الحى . . . . .

إني أتوسل إليك يا أهورا أن تحمى حى الهداية ، وعسى أن تتفضل على بها . أنت يا من يبعث في النفوس التقوى التي لها من العظمة ما لها ، فهي النعمة للقدسة ، وهي حياة العقول الطيبة الصالحة . إني أتصورك أيها المعطى الأكبر فرداً جميلاً حينما أشاهد أنك القوة العليا ( ذات الأثر الفعال ) في تطور الحياة ، وحينما أرى أنك تكافىء الناس على الأعمال والأقوال . لقد كتبت الشر عقاباً على الشر ، وجعلت السعادة جزاء وفاقاً لمن يفعل الخير ، وذلك بفضلك العظيم الذى يظهر أثره حينما تتبدل الخليقة التبدل النهائى » .

ويتحدث زرادشت في هذا السفر عن تاريخ الدعوة الزرادشتية في مراحلها الأولى فيقول :

« مزدا أهورا إني أتوسل إلى بركاتك وكرمك وعدلك أن تكافىء من كانوا السابقين الأولين المسارعين إلى الدخول في دين أهورا . . . وأن تجزيهم الجزاء الذى وعد به زرادشت من يدخل في دينه ويحفظ عهده . إن الملك كشتاسب قد قبل العقيدة التي أوجدها مزدا أهورا . إنه قبل العهد ( الكتاب المقدس ) وأقر بحجته ، كما تقبل الدعوة إلى طريق الكرم والإحسان ، فليتم

هذا وفق مشيئتك ... لقد وعدني فراشا أوسترا أن يهب لي أخته الجميلة المحببة إلى - (هي أخت فراشا أوسترا وزير الملك كشتاسب التي تزوجها زرادشت كما تقدمت الإشارة إلى ذلك) . ففضل أيها الملك العظيم أن تهديها الصراط المستقيم ، حتى تدرك تمام الإدراك معنى السلوك القويم فتصلح به نفسها . وقد تقبل جامسب (الوزير الأول للملك كشتاسب وقد تزوج بزوجت أخت زرادشت كما تقدم) في نفوس وطهارة هذه العقيدة الكريمة العنصر . وكل من اشترك في إسداء الإحسان والاتصاف بالكرم فهو مخلص لهذه العقيدة خاضع لسلطانها ؛ ففضل بالإعانة عليهم حتى يجدوا فيك حصنا منيعا يحميهم . وهذا الرجل متيوماه ( هو ابن عم زرادشت الذي كان أسبق الناس إلى اعتناق الزرادشية والذي شد الله به أزر زرادشت كما سبقت الإشارة إلى ذلك ) قد وضع هذه الطريقة الدينية نصب عينيه بعد أن أدركت روحه أسرارها . وكل من يدرك حقيقة الحياة وتتجلى له أسرار هذه الطريقة فسوف يوهب له العلم بمشيئة مزدا التي ترشد المؤمن إلى (إصلاح) شئون حياته . - تفضل بالوفاء بما وعدت ، فانشروا بركانتك على كل من يقرون بأن الاستقامة في السلوك وإسداء المعروف ومزدا شيء واحد . وكذلك كل من يعبدك أنت يا أهورا ويسبحك ويوقرك<sup>(١)</sup> .

٢ - سفر « الويسپرد » أو « القسپرد » Vesperd . ويشتمل على أدعية وصلوات مكحلة لما في اليسنا وترتل في مناسبات خاصة . ويبلغ عدد فصوله ثلاثة وعشرين أو سبعة وعشرين فصلا .

٣ - اليشتات أي الترنيمات أو للزامير Yashis وهي إحدى وعشرون ترنيمة تتلى في مدح الملائكة للمشرفين على أيام الشهر . فقد كان يعتقد أن لكل

(١) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ، ص ٧١ - ٧٣ .



يُوم من أيام الشهر الثلاثين حاميا وحارسا من اللائكة . وكان يسمى اليوم باسم حاميه وحارسه . وكان لكل ملك ترنيمه دينية خاصة تتلى باسمه . فلا بد أن يكون عدد هذه اليشتات في الأصل ثلاثين وأن يكون قد فقد منها تسع يشتات .

ويذكر البيروني في كتابه «الجمهر في معرفة الجواهر» في صدد هذه اليشتات أنه كان للملوك الساسانيين سبعة من الدر الثمين عدد حباتها واحد وعشرون بعدد اليشتات ، وكانوا يسمونها «نسك شمارة» أي عدد الأسفار ، لأنها بعدد كتبهم المعروفة بالأبستاق<sup>(١)</sup> . — فبحسب هذه الرواية يكون عدد اليشتات في الأصل واحداً وعشرين فقط ، وتكون الحكمة في الوقوف عند هذا العدد هو مطابقتها بعدد أسفار الأبستاق .

وقد كانت اليشتات نظماً ، ثم شرحت نثراً ، وتداخلت شروحها في المتن الأصلي ، فاختلط نظمها بالنثر ، فاضطربت أوزانها .

٤ — الخوردة أئستأى الأبستاق الصغير . وهو سفر جامع لأدعية ووصلوات خاصة بكل وقت من اليوم وبالأيام المباركة من الشهر والأعياد الدينية في العام وأوقات الصحة والمرض التي تعرض في الحياة . ويشتمل كذلك على بعض أحكام العبادات والزواج والزفاف .

٥ — الوانديداد أو القانديداد Vendidad أي القانون المضاد للشياطين . ويتألف من اثنين وعشرين فصلاً يعرض أوبها للأموور نفسها التي تعرض لها الإصحاحات الأولى من سفر التكوين ، وهي خلق العالم والسموات والأرض ،

(١) يتكلم البيروني في هذا الكتاب عن المعادن الثمينة والأحجار الكريمة . وقد عرض لليشتات بنسبة الكلام على هذه السبعة المؤلفه من حبات من الدر الثمين . انظر أمين عبد المجيد المرحوم السابق ص ٣٥ والتعليق الأول .

فيتحدث عما خلقه الله من الأراضى الطيبة المباركة واحدة بعد أخرى ، وما أوجدته قوى الشر (أنكره مينو) من الأرواح الخبيثة . وتعرض بقية فصوله للنظم التي يخضع لها رجال الكهنوت من الزرادشتيين ( وهو في هذه الفصول يشبه سفر اللاويين في العهد القديم ) ولبيان المقائد والشرائع الزرادشتية المتعلقة بالموت والحياة والزواج وما إليه من نظم الأسرة ومشكلات الحياة الاجتماعية والنجاسة والنسل والطهارة وغسل الموتى وتطهير الملابس والبدن والصحة والمرضى ، والقسم وحفظ المهود ونقضها ... وما إلى ذلك . ومن ثم يمد أهم مرجع للوقوف على محتويات الديانة الزرادشتية وتفاصيل شرائعها .

### شروح الأستاق

ترجع شروح الأستاق وشروح شروحه إلى ثلاث مجموعات يطلق عليها اسم « الزند » و « البازند » و « الإيارد » . وقد فقدت معظم هذه الشروح ولم يصل إلينا منها إلا القليل :

١ - أما « الزند » فهو الشرح المباشر للأستاق ، وقد دون باللغة الفهلوية ، وهى اللغة الفارسية فى مراحلها الوسطى ( وتختلف عن اللغة التى دون بها الأستاق ، وهى الفارسية فى مراحلها القديمة ) . وهذا دليل على أنه قد ألف فى عصر متأخر بأمد طويل عن العصر الذى ألف فيه الأستاق لأول مرة . والراجح أنه بدى فى تدوينه فى عصر قلوچيسس الأول ( بلاش الأول ٥١ - ٨٧ م ) حينما بدى فى جمع الأستاق وتدوينه للمرة الثانية<sup>(١)</sup> ؛ والراجح كذلك أنه لم يتم تدوينه إلا فى أواخر عهد بنى ساسان ، أى حوالى منتصف القرن السادس الميلادى .

(١) انظر صفحتى ١٣٦ ، ١٣٧ .

هذا ، وكافي كثير من قدامى الزرادشتيين يعتقدون أن الأُستاق والزند كليهما نزل من السماء ؛ بل لقد كان بعضهم يخلط بين الكتابين فيزعم أن الزند هو الكتاب الأصيل للزرادشت ؛ ومن هؤلاء صاحب كتاب « برهان قاطع » إذ يقول : « الزند كتاب كان إبراهيم زرادشت يدعى أنه نزل عليه من السماء ، ويقول بعضهم إنه صحف إبراهيم » ؛ ومنهم كذلك الأُسدي في كتابه « لغت فرس » إذ يقول : « الأُستاق تفسير الزند وكان الزند صحف إبراهيم »<sup>(١)</sup> . — وكان كثير ممن يعرفون حقيقة الزند ، وهو أنه شرح للأُستاق ، يذهبون إلى أنه من عمل زرادشت نفسه . وقد جرى المسعودي أصحاب هذا الرأي إذ يقول « ... ثم عمل زرادشت للأُستاق تفسيراً عند عجزهم عن فهمه وسموا التفسير زنداً » .

وبعض المتزمتين من الزرادشتيين كانوا يتمسكون بالأُستاق وحده ولا يعترفون بالزند ويعتبرون من يعول على هذا الشرح خارجاً على أصول الشريعة ويسمونه « زنديا » . ولعل كلمة زنديق المستعملة في لغتنا العربية معرفة عن هذا الأصل الفارسي . وإلى هذا الرأي ذهب المسعودي في كتابه « مروج الذهب » إذ يقول : « وذلك أن الفرس حين أتاهم زرادشت بن سبتمان بكتابه المعروف بالئستا ( الأفتستا ) باللغة الأولى ( القديمة ) من الفارسية ، وعمل له التفسير وهو الزند ... وكان الزند بالتأويل غير المقدم للنزل ، وكان من أورد في شريعتهم شيئاً غير المنزل الذي هو الأفتستا ( الأفتستا ) وعدل إلى التأويل الذي هو الزند قالوا هذا زندي ، فأضافوه إلى التأويل وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل إلى تأويل هو بخلاف التنزيل . فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس ، وقالوا زنديق وعربوه »<sup>(٢)</sup> .

(١) أمين عبد المجيد ، المرجع السابق ص ٣٦ — ٧٢ .

(٢) مروج الذهب على هامش نصح الطيب الجزء الأول ص ٢٨٧ وما بعدها . نقلنا عن

حامد عبد القادر ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .

٢ - وأما « البازند » فهو تفسير للزند ، أى شرح لشرح الأبتاق .  
وقد كتب باللغة الفهلوية فى مراحلها التالية لفتح العربى حوالى القرنين الثانى  
والثالث الهجرين أى حوالى السابع والثامن الميلاديين على الأرجح .  
وكان بعض الزردشتيين يعتقد أن البازند من عمل زرادشت نفسه . وقد  
جارى المسعودى أصحاب هذا رأى إذ يقول : « . . . ثم عمل زرادشت للتفسير  
تفسيراً وسماه بازند » .

٣ - وأما الإياردة بكسر الهمزة وفتح الراء وكسرهما وفتح الدال فهو شرح  
للپازند ، أى شرح لشرح الشرح أو تفسير لتفسير التفسير . وإلى هذا يشير  
المسعودى إذ يقول « . . . ثم عمل علماءهم بعد وفاة زرادشت تفسيراً لتفسير التفسير  
وشرحاً لسائر ما ذكرنا وسماهوا هذا التفسير ياردة » .

### العقيدة فى أسفار الزرادشتيين

كانت الديانة الزرادشتية فى أصلها ديانة توحيد تدعو إلى عبادة إله واحد  
هو « أهورا مزدا » وتحارب الشرك وعبادة الأصنام والكواكب وقوى  
الطبيعة ، وكانت جميع أديعتها وصلواتها وآيات أسفارها تتجه إلى هذا الإله  
وحده ، كما يظهر ذلك من التأمل فى النصوص التى نقلناها عن سفر « اليسنا<sup>(١)</sup> »  
وتصفه بصفات القدم والبقاء والقدرة والإرادة والعلم والمخالفة للحوادث ، وأنه  
يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار ، ويعلم حقيقة ما فى السماوات والأرض  
ولا يصل أحد إلى معرفة حقيقته . فأهورا مزدا يطلق فى الأبتاق على الذات  
المتصفة بهذه الصفات . بل إن اسم « أهورا مزدا » نفسه يدل معناه فى الفارسية

(١) انظر صفحتى ١٣٨ ، ١٣٩ .

على ذلك . « فهو مركب من ثلاث كلمات وهي « أهو » و « را » و « مزدا » ومعناها على الترتيب : أنا - الوجود - خالق ؛ أي أنا وحدي خالق الوجود أو الكون » (١).

غير أنه يظهر أنه قد دخل الديانة الزرادشتية فيما بعد كثير من التحريف والتبديل ، فأنهى بها الأمر في عصورها الأخيرة إلى أن أصبحت ديانة مثنوية أو ثنوية أي تعتقد بوجود إلهين: أحدهما « أهورا مزدا » وتجعله إلهاً للخير ؛ والآخر « أهريمان » وتجعله إلهاً للشر ، وتعتقد أن بينهما صراعاً دائماً لأن كليهما يرى إلى السيطرة على العالم ؛ مع أن « أهريمان » هذا - وهو في الأصل « أنكره مينو » ومعناه الخبيث أو الشر - لا يذكر في الأسفار المقدسة للزرادشتيين في مقابل « أهورا مزدا » على أنه شريك له ، ولكنه يذكر في مقابل « سبتامينو » ومعناه القدسية أو الخيرية . فلم يكن في أصل العقيدة الزرادشتية إلهان ، وإنما كان فيها قوتان متضادتان أو مجموعتان من القوى المتضادة : إحداهما مجموعة قوى الخير والنور والحياة والحق ، ويرمز إليها جميعاً « سبتامينو » ويعمل على تحقيق أغراضها سبعة ملائكة قدسيون يمثلون الفضائل السبع العليا وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والإخلاص والأمانة والكرم ؛ والأخرى قوى الشر والظلام والموت والخداع ، ويرمز إليها جميعاً « أنكره مينو » الذي تحول اسمه إلى « أهريمان » ويقوم على تحقيق مقاصدها الآتمة سبعة شياطين خبيثة تمثل الرذائل الإنسانية الرئيسية وهي النفاق والخديعة والخيانة والجبن والبخل والظلم وإزهاق الأرواح (٢) .

وكلتا المجموعتين من القوى أو الدوافع مع توابها وملحقاتها كانت خاضعة

(١) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ، ٨٠ ، ٨١ .

(٢) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ، ص ٨٣ .

للإلاه الواحد المسيطر على كل شيء في الوجود وهو «أهورا مزدا». — وقد يكون العلامة الشهرستاني في مقدمة المدركين لحقيقة الديانة الزرادشتية في نشأتها الأولى وأنها كانت ديانة توحيد ، وذلك إذ يقول في كتابه الملل والنحل : « وكان دين زرادشت عبادة الله والكفر بالشیطان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الخبائث » ، وإذ يقول في موضع آخر : « وقال زرادشت إن البارئ تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لا شريك له ولا ضد ولاند »<sup>(١)</sup>.

ولما كانت ذات «أهورا مزدا» ذاتا روحانية خالصة مجردة من شوائب المادة لاتدركها الأبصار ولا تحيط بكنهها العقول ، ولما كان كثير من الناس لا يستطيعون الإيمان بذات هذا شأنها إلا إذا رمز إليها برموز مادية يستطيعون تصورها ، فقد رمزت الديانة الزرادشتية إلى الذات العلية برمزين ماديين مشاهدين تقوى عقول الجماهير على إدراكهما ، ويشتمل كلاهما على بعض مظاهر من صفات الخالق ، فيستطيع الناس بالتأمل في صفاتهما تصور شيء من صفات أهورا مزدا على وجه التقريب والتمثيل ؛ وهذان الرمزان أحدهما سماوي وهو الشمس والآخر أرضي وهو النار . فكلاهما عنصر متلألئ مضئ طاهر مطهر لا يتطرق إليه الخبث ولا الفساد ، وتتوقف عليه الكائنات . وهذه الصفات تشبه طائفة من صفات الخالق نفسه وترمز إليها .

ومن ثم حرصت الديانة الزرادشتية على أن يوحد في كل هيكل من هياكلها شمعة من النار ، وأن تظل هذه الشمعة متوهجة مضئية ، يتعهدوا المواظبة ( كبار رجال الدين ) والمواظبة ( صغار رجال الدين ) ورجال السكهنوت ، فيقدمون لها ، خمس مرات في اليوم وقودا من خشب الصندل وما إليه من الأعشاب والمواد العظمية

(١) الملل والنحل للشهرستاني ، الجزء الأول ، ٢٣٧ طبعة مصطفى الحلبي .  
(م ١٠ — الأستفار القديسة)

فيمتلى الهيكل بعرفها الطيب ويريحها الزكي، وترتل حولها الأدعية وتقام الصلوات.  
وكان من عادة الزرادشتيين إذا أقاموا هيكلًا جديدًا للنار أن يحملوا إليه من كافة  
الدواحي شعلات موقدة، وأن يبالبغوا في تطهير هذه الشعلات، فيقتبسوا من  
الشعلة الأولى شعلة ثانية ومن الثانية ثالثة وهكذا حتى يصلوا إلى التاسعة  
فيعتمدوا أنها قد وصلت إلى أرقى درجات الطهارة، فيوقدوا بها نار الهيكل  
الجديد (١).

وقد بالغ الزرادشتيون في تقديس نار الهيكل فأوجبوا على رجل الدين أن يتلثم  
عند اقترابه من النار خشية أن يصل زفيره إليها فيلوثها. وكان عليه أن يتذكر  
حينما يدنو من هذه القوة الأرضية أن هذا النور الفياض إنما يرمز إلى  
أهورا مزدا (٢).

غير أنه يظهر أنه قد دخل الديانة الزرادشتية، فيما بعد، التحريف والتبديل  
فيما يتعلق بتقديس النار، فانتهى بها الأمر في عصورها الأخيرة إلى أن أصبحت  
ديانة مجوسية يعبد أهلها النار لذاتها، بمد أن كانت مجرد رمز للإله، تشتمل على  
شيء من صفاته، وتقرب تصوره للأذهان.

وكان يشارك النار في صفة التقديس ثلاثة عناصر أخرى من العناصر الأرضية  
وهي التراب والهواء والماء، وإن كانت في مستوى أقل من مستوى النار.

وأما الكائنات الأخرى فقد كان من بينها في العقيدة الزرادشتية الطيب  
والخبيث. ويعرف كل نوع بعمله وآثاره. فالطيب ما حسنت أعماله والخبيث  
ما كان مصدر شر وضرر كالثعابين والمقارب وكل ضار من الحيوانات. والعناصر  
الخبيثة تظل خبيثة ما دامت على قيد الحياة؛ فإذا ماتت طهرت وجاز اتصالها

(١) حامد عبد القادر، المرجع السابق، ٨٦، ٨٧.

(٢) حامد عبد القادر، المرجع السابق، ٨٧.

بِالعنصر المقدسة ، فيجوز دفنها في التراب وإلقاؤها في الماء . والعناصر الطيبة تظل طيبة ما دامت على قيد الحياة ؛ فإذا فارقتها الحياة استحوطت أجسامها إلى رجس ونجس . فلا يجوز لمسها إلا بطقوس خاصة ولا يجوز اتصالها بالعناصر المقدسة . ومن ثم كانت جثة الميت من الأناسى منجسة لسكل من يقربها ولكل طريق تمر به ، ولا يجوز أن تدفن في باطن الأرض ولا تحرق بالنار ولا تلقى بالأهبار ، لأن التراب والنار والماء عناصر مقدسة لا يصح إلقاء نجس فيها . ولذلك أقيم لجثث الموتى فوق قمم الجبال أبراج منقرلة عالية الجدران لا سقف لها يسمى كل برج منها « دِخْما » Dekhuma أو برج الصمت ، وتحمل إليها جثث الموتى نهراً على نعوش من حديد ثم تلقى فيها طعاماً لجوارح الطيور . وكان كل من يلمس جثة ميت أو تلمسه جثة ميت يعد ملوثاً ولا يطهر إلا بعد طقوس دينية معقدة كل التعقيد . بل إن نجاسته هذه كانت تنتقل إلى كثيرين من المجاورين له ، وإلى غيرهم . فقد ورد في أسفار الأبتساق أنه إذا مات شخص وكان جالساً بجواره وقت موته شخص آخر ، فإن هذا الشخص الآخر يصبح متلبساً بجرمة ملامسة الميت ( على الرغم من أنه لم يقصد هذا اللمس ولا أحدثه ) ، ويجب عليه أن يولي مسرعاً حتى يصادف في طريقه أول رجل حي فيقف على بعد منه ويطلب إليه بصوت مرتفع أن يطهره من خطيئته بعد أن يظهره على مجمل ما حدث له ، فيخاطب قائلاً : « إننى قد لمت ميمتاً لا حراك به . ولا قدرة له على التفكير ولا على النطق والنس منك أن تطهرنى » <sup>(١)</sup> . وورد في الأبتساق كذلك أنه إذا مات شخص بين جماعة متلاصقين فإن إثم الملامسة لجثة الميت لا يقتصر على المجاور له فحسب ، إنما ينتقل إلى عدة أفراد من المجتمعين . فإن كان الميت من رجال الدين انتقل إثم الملامسة من المجاور له مباشرة إلى تسعة الأشخاص الذين يلونه ؛ وإن كان من رجال الحرب انتقل من المجاور له إلى ثمانية الأشخاص الذين يلونه ؛ وإن كان مزارعاً انتقل من

(١) انظر كتابنا في « المسئولية والجزاء » ، الطبعة الثالثة من ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ .



المجاور له إلى سبعة الأشخاص الذين يلونه . وورد فيها كذلك أن للتلبس بهذا الإثم عن طريق اللامسة المباشرة أو عن طريق الانتقال يجب عليه أن يولى مسرعه حتى يصادف في طريقه أول رجل حي ، فيقف على بعد منه ويطلب إليه بصوت مرتفع أن يطهره من خطيئته بالصيغة التي سبق نصها ، فإن قام بإجراءات التطهير الممهودة طهر اللامس وأثيب المطهر على ما فعل . وإن رفض تطهيره انتقل إليه ثلث الجرم . وفي هذه الحالة يجب على اللامس أن يوالى سعيه حتى يصادف رجلا آخر فيطلب إليه ما طلبه إلى الأول ، فإذا رفض تطهيره انتقل إليه نصف الباقي من الإثم ( ثلث مجموع الإثم ) ؛ ثم يغادره إلى ثالث فإن رفض الثالث تطهيره انتقل إليه جميع ما بقى الإثم ( الثالث الباقي )<sup>(١)</sup> .

وقد خصصت الزرادشتية طائفة معينة من الناس لإعداد جثث الموتى وحملها إلى برج الصنم كما كانوا يسمونه ، وقررت أنه « لا يجوز أن يستقل شخص واحد من هذه الطائفة بهذا العمل ، بل يجب أن يشاركه اثنان آخران يشهدان عليه . وعلى الثلاثة أن يتطهروا بعد الانتهاء من عملهم ، ولا يجوز لهم مع ذلك أن يختلطوا بالناس ... ومن التقاليد الزرادشتية المترتبة على الاعتقاد بأن جثة الميت نجسة أنه إذا مرت جثة ميت بأحد الطرق العامة فإنه لا يجوز لأحد أن يسير فيه إلا بعد تطهيره . ومن وسائل تطهيره تلاوة دعاء آهونا أو دعاء كمتا مزدا Kemta mazda الذي يعد أشد الأدعية قداسة ، وترجمته :

« مزدا من يستطيع أن يحمي شخصا ضيفا فانيا مثلي حينما يستمد الكافرون الاعتداء على ؟ ! أي كائن آخر غيرك — بمالك من عقل وقوة نارية — يقوى نشاطه على تنفيذ مبدأ التقوى والاستقامة ؟ ! مزدا ! اكشف لي عن أسرار هذه المعرفة كي تساعدني على نشر دينك . من غيرك يقدر على لعن الأعداء ، ويمدني

(١) انظر كتابنا في « المسئولية والجزاء » ص ١١٢ .

بِكلماتك الصادقة التي هي درعي والمجنّ الذي يحميني؟ دلتني - مزدا - على  
خاند مخلص حكيم متلطف يقودني إليك ، ثم اجعل زعيم ملائكتك المزود بالعقل  
الخير المستنير يدنو مني من تحب كأننا من كان . تفضل فاحمنا جميعاً من أعدائنا أيها  
الإله المقدس مزدا . وهلاك لإدريج (إدريج أو دروج Druj هو رمز لقوى الشر  
مجتمعة أو لإبليس) الشيطاني ، وهلاك لجميع الشياطين ، وهلاك لجميع أشياع  
الشياطين ؛ الهلاك التام لك يا إدريج ! اخساً واذهب بعيداً عنا إلى الشمال حتى  
لا نعبث بمخلق مزدا ، المبدأ المقدس » (١)

وتوجب الديانة الزرادشتية الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب  
والجنة والنار على وجه لا يختلف كثيراً في جملته بل لا يختلف كثيراً في تفاصيله  
نفسها عما يقرره الإسلام . فتقرر عقائدهم أن الساعة ستقوم على أثر حادث فلنكني .  
وذلك أن كوكبا يصطدم مع الأرض ، فتميد بالناس ، وتخر الجبال هدا ،  
وتذوب العناصر ، ويصهر النحاس ، ويسيل إلى جهنم ، ويفنى أهريمان وأنصاره  
من الشياطين ، ويفسل الناس في منصهر النحاس ، ويجده الصالحون برداً وسلاماً .  
ثم بعد ذلك يجمع هرمز (أهورا مزدا) الخلائق ، ويمدهم بحياة جديدة ويجازيهم  
بأعمالهم . وهذا فيما يتعلق بمن يسكنون على قيد الحياة وقت قيام الساعة . أما  
الذين يموتون قبل ذلك فتحاسب أرواحهم عقب موتهم مباشرة . وذلك أن  
الروح تحوم عقب الوفاة فوق الجسد ثلاثة أيام تشقى فيها أو تنعم وفقاً لسيرة صاحبها  
في الحياة : إن خيراً فخير ؛ وإن شراً فشر . وفي اليوم الرابع تهب من الجنوب  
على الروح الصالحة ريح طيبة تتوضع بالمسك وتلتقي روح الميت عند أول الصراط  
(بل جنوات) أي جسر المفارقة المضروب فوق جهنم ، بفتاة بيضاء الذراعين  
منقطعة النظير في جمالها ، فتسألها من أنت فتقول : أيها الشاب الطيب السريرة

(١) حاد عبد القادر المرجم السابق ، صفحتي ٧٧ ، ٧٨ .

الطيب القول الطيب العمل ( يلاحظ أن قوام الأخلاق عند زرادشت كما سيأتي بيان ذلك في الفقرة الأخيرة من هذا الفصل ثلاثة أمور : الفكر الطيب ؛ والكلم الطيب ؛ والعمل الطيب ) أنا وجدانك وضميرك ، كنت محبوبة فزودت الناس محبة في ، وكنت جميلة فزودتني جمالا ، ورفعت من شأنى بفكرك الصالح وقولك الطيب وعملك المبرور . ثم تمضى الروح بإرشاد هذه الفتاة وهدايتها إلى حضرة أهورا مزدا ، فتعبر الصراط إلى الجنة حيث يستقبلها ملك جالس على كرسى من ذهب عند باب الجنة فيفتح بابها ويقول لصاحبها ادخل سالما آمننا وتمتع بحياة هنيئة . أما روح الشقى فتلتقى بمخلوق بشع المنظر تئن الراححة ، ولا تستطيع العبور على الصراط فتهوى في دركات النيران . — وجنة زرادشت تقع أقصى شرقي جبال البرق ( هرايرازيتى Haraberasisi ) ويرتفع الجبل متجاوزا النجوم إلى عالم النور اللانهائى ويصل إلى جنة أهورامزدا في منزل النعم وهو أم الجبال وقته ساجحة في العزة الأبدية حيث لا ليل ولا برد ولا مرض<sup>(١)</sup> . — وتذكر بعض الأسفار المقدسة لدى المتأخرين من الزرادشتيين أن الروح بعد أن تعبر صراط الحساب « تحتل إحدى منازل ثلاث : منزلة الأشقياء في جهنم دار الجحيم ؛ ومنزلة السعداء في الجنة فردوس النعيم ؛ ومنزلة وسطى بين هؤلاء وهؤلاء . فمن ثقلت موازينه ورجحت حسناته سيئاته احتلت روحه للمنزلة الأولى ؛ ومن خفت موازينه ورجحت سيئاته حسناته ذهبت روحه إلى المنزلة الثانية ؛ ومن تساوت حسناته وسيئاته احتلت روحه المنزلة الثالثة »<sup>(٢)</sup>

(١) أمين عبد المجيد ، المرجع السابق ص ٢٢ نقلا عن دكتور محمد معين : « مزدديستة وتأثير آن در أدبيات فارسى » ص ٢٤ وما بعدها .  
(٢) خالد عبد القادر ، المرجع السابق ص ٩٢ .

## العبادات والشرائع والأخلاق

### في أسفار الزرادشتيين

١ - العبادات : من أهم العبادات في الديانة الزرادشتية تقديس النار على النحو الذي سبق شرحه ، والأدعية التي يتجه بها إلى الإله والملائكة والأرواح المقدسة وقوى الخير ، والصلوات التي كانت تقام في الهياكل خمس مرات حول النار المقدسة ، وتحتّم كل صلاة منها بمظان يلقى فيها رجال الدين على المصلين ليبينوا لهم معالم دينهم ويرشدوهم إلى طرق الخير والفضيلة ويحذروهم من المعاصي وتمدى حدود الله . وتقام واحدة من هذه الصلوات عند بزوغ الشمس ، وواحدة عند الزوال ، وواحدة عند الغروب ، وتقام الصلاتان المسكلتان للخمس بين هذه الصلوات الثلاث . والصلوة في الزرادشتية دعاء يوجه إلى أهورا مزدا ، وترجمته ما يلي : أرجو منك أيها الرب الخالق المطلق القدير أن تغفر لي ما ارتكبت من سيئات وما دار بخلدِي من تفكير سيء وما صدر عني من قول أو عمل غير صالح . إلهي أرجو منك أن تباعد بيني وبين الخطايا حتى أحشد يوم الدين مع الأطهار الأخيار» (١) .

« وكان الزرادشتي مقيدا بعمدة طقوس وعبادات في كثير من شئون حياته الخاصة كالأكل والنوم والاستيقاظ منه وإضاءة المصابيح . وكان عليه أن يبتقي نار اللوحد في داره مشتعلة لا تخبو ، وألا يسمح لضوء الشمس أن يقع على النار ، ولا للماء أن يلقى على النار ، ولا ليده أن تلمس جمجمة ميت ، أو جسد امرأة حائض ، وألا يلوث الماء ، وألا يتكلم ولا يبكي في أثناء الطعام . - وكان

(١) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ص ٩١ ، ٩٢ .

عليه إذا أشكل عليه أمر من أمور الدين أن يرجع إلى رجال الدين . وكان الزرادشتيون يذهبون إلى هياكل النار في أيام أعيادهم الرئيسية ليقيموا الصلوات ويبتهلوا إلى أهورا مزدا بالدعوات ، وبخاصة يوم التوبة ، وهو عيد النيروز . ففي هذا اليوم يفعل الزرادشتيون مثل ما يفعل المسلمون يوم عيد الفطر مثلا ، فيتزاورون للتهنئة بالعيد الجديد ، ويستيقظ الواحد منهم من نومه مبكرا فيستحم ويلبس ملابسه الجديدة ، ويبتهل إلى الإلاه بالدعاء أن يغفر له ولأهله سيئاتهم التي اقترفوها في العام المنصرم . ثم يذهب إلى هيكل النار فيجتمع هو وإخوانه هناك ، ويستأنف معهم الدعاء ، ويطلب من الإلاه الرحمة والرضوان ، ثم يتصدق على الفقراء والمساكين . — هذا في الأعياد . أما في المآتم فكان من عاداتهم بعد إلقاء جثة الميت في برج الصمت أن يعزى أهله ثلاثة أيام ، وأن يقام في المساء السابق لليوم الرابع حفل ديني يحضره أهل الميت وأصدقائه ، وأن توزع الصدقات رجاء أن يغفر الله له ، وأن تجلس قريباته على مقربة من المسكان الذي مات فيه على بساط يفرش على الأرض لتقبل العزاء من صديقاتهن ، من ثلاثة أيام إلى عشرة بعد الوفاة<sup>(١)</sup> .

وليس في الديانة الزرادشتية رهبانية ، بل لأنها لتكره كل ما يؤدي إلى الخمول وإضعاف الجسم ، ولذلك تنهى عن الصوم إلا في ظروف خاصة نادرة . وكان يشرف على شؤون العبادات وما إليها من الشؤون الدينية طبقتان من رجال الدين : إحداهما طبقة الموابذة ، ويسمى كل واحد منهم موبدان . وكانوا يتولون الوظائف الدينية العليا ويرأسهم الموبذ موبدان أى رئيس الموابذة ، وكانت وظيفته تعد أرقى الوظائف الدينية جميعا ، وهو الذى يوجه رجال الدين على اختلاف درجاتهم ويوليهم ويعزلهم . ولم يكن نشاط الموابذة مقصورا على

(١) حامد عبد القادر المرجع السابق ٩٧ ، ٩٨ .

الشئون الدينية بل إنهم كانوا يمارسون كذلك شئون الطب والقضاء والتعليم ويشترون في إدارة الشئون السياسية للدولة وفي شئون التشريع والتنفيذ . ومن ثم كان لهم سلطان كبير حتى على الملوك أنفسهم . فقد كان زرادشت نفسه موجها سياسيا للملك ، كشتاسب ، يرجع إليه في شئون السياسة ويستمع إلى نصائحه . والطائفة الأخرى طائفة الهوابذة ، وكانت منزلتهم دون منزلة الموابذة وكانوا يتولون إقامة الشعائر الدينية في هياكل النار (١) .

٢ — الشرائع : تحت الشريعة الزرادشتية على العمل والسعي في مناكب الأرض لكسب الرزق وإنتاج الثروة ، وخاصة الإنتاج الزراعي وتربية الماشية . فمن نصوصها المقدسة أن من يشق الأرض بحراثة خير ممن يقدم ألفا من القرابين ومن يقدم عشرة آلاف من الأدعية والصلوات . وتحت على النظافة والقضاء على الحيوانات المؤذية والهوام ، وتضع على كاهل الفرد واجبات نحو نفسه وجسمه وأفراد أسرته وأفراد مجتمعه والإنسانية جمعاء ، وتوجب صيانة النفس والحفاظة على الصحة ، وتحرم الانتحار تحريما باتا ، لأنه جناية على النفس والوطن ، وتجعل الزواج واجبا على كل قادر عليه ، وتحت على تعدد الزوجات ليكثر النسل ويزداد عدد الجنود المحاربين في سبيل النور .

وقد ورد في الأستاق أن أهورا مزدا قد أوحى إلى زرادشت أن المتزوج أعلى منزلة من الأعزب ولو كان تقيا عفيفا ، وأن من له بيت (أسرة وزوجة) أعلى منزلة عند الله ممن ليس له بيت ، وأن من له خلف أعلى منزلة ممن ليس له خلف<sup>(٢)</sup> . وكانت أكبر كارثة تحمل بالرجل عند الزرادشتيين ألا تكون له ذرية . وكانوا يمتقدون أن من يدركه الموت من قبل أن ينجب أولادا لا يلج

(١) للرجع السابق ٩٨ .

(٢) V. Westermarek : Idées Morales (trad. fr.) . T. II, 386 .

باب الجنة ، وأن أول سؤال يلقيه خزنة الجنة على من يقف ببابها هو سؤاله عما إذا كان قد ترك في الدنيا من يخلفه ، فإن أجاب بالنفي حيل بينه وبين دخولها ، إذ لا يدخلها إلا من ترك من بعده خلفا يخلد اسمه ويقدم لروحه ما تقرر الشريعة تقديمه من صلوات وقرابين ، وأن أشهى فأنجوهى Ashi Vaagubi ( وهى لديهم رمز العفة ومصدر الخير والبركة والتماء ) لا تقبل قربانا يقدمه إليها العقيم من الناس ، وأن أكبر جرم يرتكبه الأفراد والرؤساء هو أن يعضلوا الفتيات عن الزواج ، ويحولوا بذلك بينهم وبين إنجاب الأولاد<sup>(١)</sup> .

وتشبه أسفار الأبرصاق وشروحها أسفار اليهود في استيعابها لجميع فروع الشريعة فهى لاتفادر أى فرع من فروع الحياة الفردية والاجتماعية إلا وضعت له قواعد يسير عليها حتى شئون الأكل والشرب وحلق الشعر وتقليم الأظافر . ومن الغريب أن سفر « الونديداد »<sup>(٢)</sup> يضع في صدد قلامات الأظافر والشعر تعاليم واحتياطات تشبه مايعتقده الآن كثير من العامة في مصر وغيرها ، فيذكر أنه من الواجب على الإنسان أن يضع قلامات أظفاره وقصاصات شعره على منضدة أمامه ، ويحرص عليها كل الحرص حتى لا يضع منها شئ ، ثم يحملها بعناية ويخفيها في حفرة عميقة ، وإلا كانت عرضة لأن تمتد إليها أيدى السحرة والمشعوذين فيستخدموها في سحر صاحبها .

وتدل هذه التعاليم على تأثر الزرادشتية بعقيدة قديمة مؤداها أن شعر الشخص وأظفاره تتجمع فيها جميع صفاته الشخصية . ولذلك كان للتأثير فيها بخير أو شر وسيلة للتأثير في الشخص نفسه<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر كتابنا « قصة الزواج والعزوبة في العالم » ص ١٠ .

(٢) انظر الفقرة الثالثة من هذا الفصل .

(٣) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

هذا ، وفي كثير من الأمور السابق ذكرها وما إليها يختلط التشريع في شئون الحياة الدنيا بالعبادة التي يقصد بها وجه الله والدار الآخرة ، فيكون الشيء الواحد شريعة وعبادة في آن واحد .

٣ - الأخلاق : تدعو الديانة الزرادشتية إلى الفضائل نفسها التي يدعو إليها الإسلام وتنتهى عما ينتهى عنه من مظاهر الرذائل والفحشاء والمنكر والبنى .

وقوام الأخلاق عند زرادشت ثلاثة أمور: الفكر الطيب ؛ والكلم الطيب ؛ والعمل الطيب . وكان لا يقبل دخول أحد في الدين الزرادشتي إلا بعد أن يؤخذ عليه بهذه الأمور ميثاق مدونة صيغته في الأستاق وينتهى بالعبارة الآتية :  
«لن أقدم على سلب أو نهب أو تدمير، أو تخريب. أقرأنى أعبد أهورا مزدا، وأعتنق دين زرادشت، والتزم التفكير في الخير والكلام الطيب والعمل الصالح» (١) .

(١) حامد عبد القادر ، المرجع السابق .



## الفصل الرابع

### أسفار الديانة البرهمية<sup>(١)</sup>

تعد الديانة البرهمية من أقدم الديانات في الأمم الآرية؛ فإن تاريخها يرجع إلى عصر سحيق يصعد به بعضهم إلى نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد . ويعتقها الآن معظم سكان الهند وبعض سكان الباكستان .

وهي منسوبة للإله Brahmā ، وهو عند معتنقي هذه الديانة اسم للإله الخالق . ولا صحة لما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل من أنها تنسب إلى رجل عظيم منهم يقال له براهيم<sup>(٢)</sup> .

ويطلق على الأسفار المقدسة لهذه النحلة اسم « الفيدا » Védas ، ومنها المعرفة أو العلم<sup>(٣)</sup> .

ومن أسفار « الفيدا » استمدت « قوانين مانو » Lois de Manou التي تنسب لمشرع هندي قديم اسمه مانو أو مانافا وهي تفصيل وشرح وبيان لما اشتملت عليه أسفار الفيدا من قصص دينية وعقائد وعبادات وشرائع وأخلاق . وينزل البرهميون هذه القوانين منزلة التقديس كذلك ، حتى لقد اعتقدوا أن مؤلفها أحد الآلهة المبعثقين عن الإله الخالق « براهما » .

(١) من أهم مراجعتنا في هذا الفصل :

Loiseleur -- Delongchamps : traduction du sanscrit des « Lois de Manou » accompagnée de notes explicatives et d'une notice sur les Védas .

وسنكتفي في الإحالة على هذا المرجع فيما يلي بكلمة لوازليز .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ، الجزء الثاني ، ص ٢٥١ ، طبعة مصطفى الحلبي ١٩٦١ .

(٣) يعرب البيروني في كتابه « تحقيق ما للهند ... الخ » كلمة « فيدا » إلى « بيد » .

بيضاء فياء . فذال .

وسنقف الفقرة الأولى من هذا الفصل على التعريف بأسفار « الفيدا » ،  
والفقرة الثانية على التعريف « بقوانين مانو » ، ثم نلتقي في بقية فقرات هذا  
الفصل نظرة على ما تشتمل عليه هذه الأسفار من عقائد وعبادات وشرائع  
وأخلاق<sup>(١)</sup>.

— ١ —

### أسفار الفيدا

يطلق البرهميون اسم الفيدا Védas ( ومعناها في اللغة السنسكريتية القديمة  
المعرفة أو العلم ) على مجموعة أسفار قديمة يمتقدون أنه موحى بها من الإله براهمانسه ،  
وأنه قد جمعها حكيم من حكمائهم اشتهر باسم « فيدا فياسا » Védas - Vya'sa أي  
جامع الفيدا<sup>(٢)</sup> . وهي أربعة مجموعات من الأسفار ، تنقسم كل مجموعة منها  
قسمين : قسم للأدعية والصلوات وتسمى « منترا » Mantras ؛ وقسم للتعالم  
المتعلقة بالعبادات والشرائع وما إلى ذلك ويسمى « براهمانا » Brāhmanas<sup>(٣)</sup> .  
وهذه المجموعات الأربع هي :

١ — « ريج فيدا » أو « ريتش فيدا » Rig-Véda, ou, Ritch - Véda

( ومعناها الفيدا النارية أي المنسوبة للنار ) . وهي قسان : يتمثل أحدهما في أدعية  
وصلوات وأوراد منظومة تتلى في بعض المناسبات ( مفترا ) ، ويشتمل الآخر على  
تعالم تتعلق بالعبادات والواجبات الدينية ( براهمانا ) .

٢ — « ياجور فيدا » أو « ياجوش فيدا » Yadjour-Véda, ou, Yadjouch - Véda

( ومعناها الفيدا الهوائية أي المنسوبة للهواء ) وهي مجموعتان : يطلق على إحداها

(١) سنمعرض في أثناء كلامنا على هذه الأمور المعنى من القصص الديني في أسفار هذا الدين .

(٢) لوازير ٣٨٠ .

(٣) لوازير ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

اسم « ياچور — فيدا البيضاء » ؛ وعلى الأخرى اسم « ياچور — فيدا السوداء » .  
وكل مجموعة منهما تنقسم قسمين . يتمثل أحدهما في أدعية وصلوات وأوراد نثرية  
تتلى في بعض المناسبات ( منقرا ) ؛ ويشتمل الآخر على تعاليم تتعلق بالواجبات  
الدينية ( براهانا ) .

٣ — « سامان فيدا » أو « ساما فيدا » Saman-Véda, ou, Sama-Véda  
( ومعناها الفيذا الشمسية أى المنسوبة للشمس ) ، وهى قسمان كذلك : يتمثل أحدهما  
في مزامير دينية يتغنى بها في بعض المناسبات ( منقرا ) ؛ ويشتمل الآخر على تعاليم  
متعلقة بالعبادات والواجبات الدينية ( براهانا ) .

٤ — « أتارفانا فيدا » ( لعلها نسبة لحكيم من حكماء الهند يدعى  
« أتارفانا » ) ، وهى كذلك تنقسم قسمين : يتمثل أحدهما في أوراد وأدعية للاستغفار  
والرقى ضد السحر وضد الأرواح المدمرة الخبيثة ( منقرا ) ؛ ويشتمل الآخر على  
طائفة من شرائع الديانة البرهمية ( براهانا ) وبخاصة ما يتعلق منها بالترقية العنصرية  
بين الطبقات ، وهو النظام الذى تقوم عليه أهم العلاقات الاجتماعية بين طبقات  
الناس الذى يحدد مركز كل طبقة ووظائفها عند البرهمنين ، وسنعرض لهذا النظام  
بشيء من التفصيل عندما نتكلم على الشريعة فى الديانة البرهمية . — وهذه الطائفة  
من الشرائع الاجتماعية يمتاز هذا السفر عن الأسفار الثلاثة السابقة .

هذا ، وقد ظهر للمحققين من المشتغلين بالدراسات الهندية ، وعلى رأسهم  
العالمة وليم جونس William Jones أن الكتب الثلاثة الأولى هى أقدم هذه  
الكتب جميعاً فى تاريخ تأليفها ، وأن أقدمها هو الريج فيدا الذى يصعد تاريخ  
تأليفه ، فى نظر بعضهم ، إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وأن السفر الرابع  
هو أحدثها جميعاً . بل إن المشرع الهندى الشهير « مانو » ، الذى سنتحدث  
عنه فى الفقرة التالية ، وغيره من قدامى المشرعين الهنود ، حينما يتكلمون على الفيذا

لايكادون يذكرون إلا الأسفار الثلاثة الأولى ، ولما يرد للسفر الرابع ذكر في كلامهم ؛ فلم يرد له ذكر في قوانين « مانو » إلا مرة واحدة فحسب ؛ وحينما يشيرون إليه لا يذكرونه على أنه جزء من « الثيدا » أى لا يضيفون إليه كلمة « ثيدا » . ويمكن أن يستنتج من هذا أنه لم يكن في الأصل من الكتب المقدسة ، وأنه قد أقحم عليها فيما بعد ، وأنه أحدث منها كثيراً في تاريخ تأليفه . ولكن العلامة كولبروك Cofebrook — وهو من ثقات الباحثين في أسفار البرهيين — يذهب إلى أن قسماً غير يسير من « الأترقانا » يرجع تاريخه إلى العصر نفسه الذى ألفت فيه الأسفار الثلاثة السابقة<sup>(١)</sup> .

وقد اكتسبت أسفار الثيدا بتقدم العهد قداسة عند الهنود ، واعتقدوا أنها وحى منزل من الإلاه براهما ، وحرصوا أياً حرص على صيانتها . ولذلك سلمت من الأحداث التى أصابت أسفار « الأستاق » وأضاعت قسماً كبيراً منها ، كما سبق بيان ذلك فى الفصل الثالث من هذا الكتاب .

هذا ، ويضيف بعضهم إلى هذه الكتب الأربعة كتاباً خامساً يتألف من قسمين ، وهما « الإيتهازا » Itihasa و « الپورانانا » Puranas ، ويسمونه « الثيدا الخامس » . ولكن الصحيح أن هذين السفرين وأسفاراً أخرى مثل « السوترا » Les Sotras والبرهانا واليوانيشاد Upanichade والثيدانتا Vedanta هى شروح وتعليقات على الثيدا ، وليست من أسفار الثيدا نفسها ، وأنها قد ألفت فى عصور متأخرة عن العصور التى ظهرت فيها أسفار الثيدا الأصلية .

\* \* \*

وقد كتبت أسفار الفيدا في الأصل بإحدى اللهجات السنسكريتية القديمة. وقد انقرضت هذه اللهجة منذ أمد بعيد من لغة الكتابة ولغة التخاطب، وأصبحت غير مفهومة إلا لطائفة من كبار رجال الدين. وكانت عقائدهم تحرم عليهم أن يعلموا هذه الأسفار أو يبوحوا بمقائدها لغير أهل ملتهم. ومن أجل ذلك ظلت هذه الكتب مجهولة للعالم حتى القرن العاشر الميلادي. وفي أواخر هذا القرن استطاع العلامة أبو الريحان البيروني (محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني المولود سنة ٣٦٢ هـ الموافقة لسنة ٩٧٣ ميلادية والمتوفى سنة ٤٤٠ هـ) أن ينقل إلى العربية طائفة كبيرة من محتويات الفيدا (وجرى على تعريبها بكلمة «بيد») في كتابه الشهير الذي ألفه حوالي سنتي ٣٩٠، ٣٩١ هجرية وجعل عنوانه:

تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مزدولة

وذلك أنه ذهب في سن مبكرة إلى بلاد الهند مرافقا للسلطان محمود الغزنوي في حملاته وغزواته، وعكف هناك على دراسة اللغات الهندية القديمة والحديثة وعلى دراسة آداب الهند وثقافتهم حتى أتقنها جميعا، واستطاع بفضل ذلك أن ينقل في كتابه القيم المشار إليه أهم ما يتعلق بأسفار الفيدا وبعقائد الهند وفلسفتهم وآدابهم وعلومهم وثقافتهم على العموم، وقسمه ثلاثة أقسام: قسم خاص بالفلك؛ وقسم خاص بالرياضة؛ وقسم خاص بالفلسفة وما يتصل بها من العقائد. والقسم الأخير هو أشد أقسام الكتاب علاقة بأسفار الفيدا وشروحها. فكان كتابه هذا أول مفتاح لدراسة هذه الأسفار وأول كاشف لأسرارها<sup>(١)</sup>.

(١) نشر هذا القسم على حدة وحققه وقدم له صديقنا الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود تحت عنوان الفلسفة الهندية مع مقارنة بفلسفة اليونان والتصوف الإسلامي. وسنجد على هذا الكتاب فيما نقله عن البيروني.

وفي منتصف القرن السابع عشر الميلادي استطاع أحد علماء الفرس وهو داراشيكو Dara - Chékou أن يحصل على بعض أجزاء من الفيدا، واستطاع كذلك ، بفضل إتقانه للغة السنسكريتية المدونة بها أسفار الفيدا ، أن يترجم هذه الأجزاء إلى اللغة الفارسية ، وظهرت هذه الترجمة سنة ١٠٦٧ هـ الموافقة لسنة ١٦٥٧ الميلادية . ثم أتيج بعد ذلك في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لكثير من العلماء الأوربيين المشتغلين بدراسة الثقافة الهندية أن يمتروا في للكتبات الهندية القديمة على نسخ مخطوطة لأسفار الفيدا ، وأتيج لهم كذلك بفضل دراساتهم اللغوية وتمكنهم من معرفة اللغة المؤلفة بها هذه الأسفار ، بعد أن اهتموا إلى حل جميع رموزها ، أن يترجموها إلى اللغات الأوربية الحديثة . ويرجع أكبر قسط من الفضل في هذا الصدد إلى عالين انجليزيين وهما سير وليم جونز William Jones وكولبروك Colebrook .

### قوانين مانو

تشمّل « قوانين مانو » أو « مانافا دهارما ساسترا Manava - Dharma Sastra » (أي كتاب قوانين مانو) على تفصيل للدين البرهمي عقائده وعباداته ومعاملاته ونظمه الاجتماعية بمختلف فروعها (نظم السياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء والحرب والقوانين المدنية وقوانين العقوبات ونظم التربية والأخلاق ... وهلم جرا) ، كما تشتمل على تاريخ السكون ونشأته وخلق الإنسان وتقسيم الطبقات .

وينسب هذا السفر لمشرع قديم اسمه « مانو » أو « مانافا » . ولا نعلم تاريخه على وجه اليقين . وأرجح ما قيل في هذا الصدد من آراء أنه عاش حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

وينزل البرهميون هذا السفر منزلة التقديس ، حتى لقد اعتقدوا أن مؤلفه هو أحد الآلهة الستة المنبثقين عن الإله الخالق (براهما) ، والذين تتابعوا في حكم العالم .

وهو أهم مرجع للباحثين في الدين البرهمي ، لأنه قد استوعب جميع نواحي هذا الدين قصصه وعقائده وعباداته وشرائعه ، ولم يفادر أى فرع من هذه الفروع إلا فصله تفصيلاً . ويستمد أحكامه من أسفار الفيدا نفسها ، كما يصرح بذلك في مقدمته .

وقد ألف في شعر منظوم ، ويشتمل على ٢٦٨٤ مادة ، تندرج تحت اثني عشر كتاباً :

الكتاب الأول في الخلق ويعرض لخلق براهما للكون والعالم والإنسان وتقسيمه للطبقات

ويشتمل على ١١٩ مادة ؛

ويشتمل على ٢٤٩ مادة ؛

والكتاب الثاني في الأدعية والصلوات والأخلاق

ويشتمل على ٢٨٦ مادة ؛

والكتاب الثالث في نظم الأسرة والزواج وما يتصل بذلك

ويشتمل على ٢٦٠ مادة ؛

والكتاب الرابع في النظم الاقتصادية وشئون العمل والمعاش

والكتاب الخامس في شئون الاستغفار والتكفير والتقوى والطهارة وواجبات المرأة

ويشتمل على ١٦٩ مادة ؛

والكتاب السادس في شئون التصوف والزهد ... وما إلى ذلك ويشتمل على ٩٧ مادة ؛

والكتاب السابع في النظم السياسية والحربية وواجبات الملوك والحكام ورجال الجيش

ويشتمل على ٢٢٦ مادة ؛

والكتاب الثامن في النظم القضائية والشئون المدنية وقانون العقوبات ويشتمل على ٤٢٠ مادة ؛

والكتاب التاسع تكملة للقوانين المدنية وقانون العقوبات وواجبات طبقة التجار وطبقة الخدم والعبيد

ويشتمل على ٣٣٦ مادة ؛

والكتاب العاشر في طبقات المجتمع والنظم الخاصة بكل طبقة منها وما يجب مراعاته في أوقات المجاعة

ويشتمل على ١٣١ مادة ؛

والكتاب الحادى عشر في قوانين التكفير والاستغفار من الخطايا والذنوب

ويشتمل على ٢٦٥ مادة ؛

والكتاب الثاني عشر في تناسخ الأرواح وتجوالها والسعادة الأخروية ويشتمل على ١٢٦ مادة .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى معظم اللغات الحية . ومن أهم تراجمه ترجمته

الفرنسية التي نشرها العلامة لوازيردولونشان A. Loiseur - Delongchamps مصحوبة بتعليقات هامة كثيرة ، ومذيلة ببحث قيم عن أسفار الفيدا التي استمدت منها هذه القوانين .

- ٣ -

### العقيدة في أسفار الدين البرهمي وتطورها

تقوم العقيدة البرهمية في أسفار الفيدا وقوانين مانو على الدعام الثلاث الآتية:

١ - وحدانية الله ووحدة الوجود. تقرر أسفار الدين البرهمي أن الله واحد لا شريك له ، وأنه قد صدرت عنه جميع الكائنات ، وسرت منه روح في الجماد والنبات والحيوان. فالوجود بحق هو الله وحده ، وليست هذه الكائنات إلا مظاهر منه ؛ وهذا هو ما يعبر عنه بنظرية وحدة الوجود التي انتقلت إلى التصوف الإسلامي ونظريات رجاله وخاصة ابن عربي والحلاج .

وإلى هذا تشير أسفارهم المقدسة وهي الفيدا إذ تقول على لسان براهما : « إنني أنا الله نور الشمس وضوء القمر ، وبريق اللهب ، وميض البرق ، وصوت الرياح ، والعرف الطيب ينبعث في الأرجاء ، والأصل الأزلي لجميع الكائنات ، وحياة كل موجود ، إنني صلاح الصالح ، أنا الأول والأخر ، أنا الحياة والموت لكل كائن . إنني أنا الله الذي لا إله غيري ، رب الأرباب ، مالك السماوات والأرض » . - وتقول في موضع آخر : « إن الله واحد لأنه الجميع ( أي جميع الكائنات ، فهي كلها مظاهر منه ) ، وهو الله الذي لا إله غيره ، رب الأرباب ، مالك العالمين وخالق السماوات والأرضين » .

ويقول أبو الريحان البيروني في كتابه القيم « تحقيق ما للهند من مقولة . . . : « واعتقاد الهند ( يقصد البراهمة ) في الله سبحانه أنه الواحد الأزلي ، من غير



ابتداء ولا انتهاء ، المختار في فعله ، القادر الحكيم ، الحى الحى ، المدبر المبقى ، الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد ، لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء .  
ثم أخذ يورد نصوصاً كثيرة من كتبهم تؤيد ما ذكره عن اعتقادهم بوحداية الله وقدمه وبقائه ومخالفته للحوادث<sup>(١)</sup> .

هذا ، وتبدو فكرة التوحيد واضحة كل الوضوح في شرحين من شروح الفيدا وهما اليوباناشاد والفيديانتا . وفي هذا الكتاب الأخير (الفيديانتا) تتبلور فكرة وحدة الوجود التى يقوم عليها الدين البرهمنى وتصل إلى ذروتها ، فيقرر هذا السفر في عبارة صريحة أن الله والنفس الإنسانية وجميع الكائنات شئ واحد .  
٣ - تناسخ الكائنات وتحوال الأرواح (الكارما) . وتقرر العقيدة البرهمنية أن أرواح الكائنات التى صدرت عن الموجود بذاته وهو الله متجولة متناسخة ينتقل بعضها إلى مواطن بعض ويتقمص بعضها أجسام بعض . وهذا هو ما يعبر عنه بالتناسخ أو تحوال الروح . فهم يعتقدون أن الروح جائلة متنقلة فى أطوار شتى من الوجود ، تنتقل من جسد إلى جسد ، سواء أكان من الإنسان أم من الحيوان ، فى طريقها إلى هدفها الأخير (الذى سنبينه فى الداعمة الثالثة) . ويعتقدون أن كل ما يصيب الكائن فى أى مرحلة من مراحل تناسخه إنما هو نتيجة لمقدمات وأعمال حدثت فى مرحلة ما من مراحل وجوده . فإى صيب الإنسان مثلاً من سعادة وآلام إنما يكون جزاء أو نتيجة لأعمال صالحة أو شريفة عملها فى وجوده الحالى أو فى وجود سابق ، حينما كانت روحه متقمصة كائناً آخر . فكل عمل يأتى به الإنسان له ثمرته ونتيجته حتماً ، وهذه الثمرة لا بد أن تحدث فى دور من أدوار الميلاد المتكررة التى تنتقل فيها الروح . فإن لم تحدث فى الدور الذى حدث فيه العمل ، فهى لا بد حادثة فى دور من الأدوار التالية له . ويعبرون عن هذه الفكرة بكلمة « كارما » .

(١) البيروني ، المرجع السابق ، ص ٣٠٧ وتوابها .

وإلى هذا يشير البيروني إذ يقول: «كأن الشهادة بكلمة الإخلاص إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، والإسبات علامة اليهودية، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية، فمن لم ينتحلها لم يك منها ولم يعد في جملتها».

ويؤيد هذه القضية بنصوص من كتبهم فيقول: «حقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئاً من صريح كلامهم في هذا الباب... قال باسديو لأرجن يجرضه على القتال وهما بين الصفين: إن كنت بالقضاء السابق مؤمناً فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن معاً بموتى ولا ذاهبين ذهاباً لا رجوع معه؛ فإن الأرواح غير مائة ولا مئيرة، وإنما تتردد في الأبدان على تباير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والسنهولة ثم الشيخوخة، التي عقبها موت البدن ثم العود. وقال له: وكيف يذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود، لا عن ولادة، ولا إلى تلف وعدم، بل هي ثابتة قائمة، لا سيف يقطعها، ولا نار تحرقها، ولا ماء يفيضها، ولا ريح يُببِّسها، لكنها تنتقل من بدنها إذا عتق (بمعنى قدم أى أصبح قديماً لا يصلح لاحتمال الروح) نحو آخر ليس كذلك، كما يستبدل البدن اللباس إذا خُنق (أى بيلي)، فما عَمَّكَ لنفس لا تبيد؟»<sup>(١)</sup>.

وأما الطريقة التي يجرى بها التناسخ فسنعرض لها عند كلامنا على اعتقادهم في الجنة والنار.

٣ - رجوع الأرواح إلى مصدرها الأول وهو الله. تقرر العقيدة البرهمية أن روح كل كائن تعود في نهاية مطافها إلى مصدرها الأول الذي نشأت منه وهو الله. والإنسان أحد هذه الكائنات، فيعرض له ما يعرض لها، وروحه قطرة من نوز الله، انفصلت عن الله إلى أجل محدود، واتصلت به، ثم تتصل بعده بكائن آخر وأخر وهكذا على طريق التناسخ وتجوال الروح، ثم تعود في النهاية إلى الله متى جاء

(١) البيروني، المرجع السابق، ص ٥٣.

الأجل ، كاتقطرة من الماء العذب ، تصعد بخاراً من البحر ، وترقى في السماء ، وتنتقل من جهة إلى جهة ، وقد تتحول إلى قطع من الثلج أو البرد أو غير ذلك ، ثم تسقط على قمم الجبال ، وتجري في الأنهار ، ثم ترجع في نهاية المطاف إلى البحر الذي انفصلت عنه في أول الأمر . أو كالهواء الحبيس في قده مقلوب — حسب تشبيه أسفارهم نفسها — يظل منفصلاً عن الهواء الخارجي وإن كان منه ، حتى يتحطم القده ، وحينئذ يزول الفاصل بينهما ويتحدان .

\* \* \*

فالديانة البرهمية كانت في أصلها — على ما يبدو من نصوص أسفارها — ديانة توحيد، مشوبة بمقائد وحدة الوجود وتناسخ الأرواح ورجوع الكائنات إلى الخالق وما إلى ذلك من المعتقدات التي انتقل كثير منها إلى التصوف الإسلامي ونظريات بعض رجاله .

ولكنها تغيرت وحرقت على مر الأيام ، وحلت محلها عقيدة تثليث ؛ لأنهم زعموا أن براهما كان قبل الوجود في فضاء لا نهاية له ، فرغب أن يكون كثيراً ، فخلق العالم بقوة إرادته وبفيض من ذاته ( نظرية وحدة الوجود ) وسمى نفسه الخالق . ثم انبثق منه الإلاه المدمر ، وهو الإلاه سيما Civa اللوكل بالخراب والقضاء ، فلا يذر من شيء أتى عليه إلا جملة كالرميم . ولو ترك هذا الإلاه وشأنه لغنيت السماوات والأرض ومن فيهن ولهذا انبثق من براهما إلاه ثالث حافظ مجدد وهو الإلاه فيشنو Vichnow .

وبذلك اعتدت عقيدة التوحيد الأصلية في الدين البرهمي ، واستبدل بها هذا الثالث . — ويتجه البرهميون الآن بمعظم عباداتهم إلى الإلاه فيشنو، وهو الإلاه الحافظ المجدد . أما الإلاه سيما فهو إلاه مدمر يتقى شره . وأما الإلاه براهما وهو أصلهم جميعاً فيزعمون أنه قد أدى وظيفته وهي الخلق ، وأنه ينعم الآن بالراحة المطلقة الكاملة .

وقد سرت صفة القداسة عندهم مع تقادم العهد إلى بعض الأنهار والجمادات وبعض الحيوانات ، وعلى الأخص فصيلة البقر ، التي ينزلونها منزلة كبيرة من القداسة تقرب من درجة العبادة ، ويحرمون ذبحها ، ويعتبرون التعرض لها بأذى من أكبر الجرائم .

وسرت إليهم كذلك عبادة الأصنام التي ترمز إلى الآلهة أو إلى الملائكة أو إلى الكواكب أو إلى القديسين ، وتفنونوا في صنعها ، ووضعوا لنحتها قواعد ومقاييس مضبوطة تختلف باختلاف ما ترمز إليه ، وأعطوا كلا منها اسماً خاصاً . وتقربوا إليها بالصدقات والقرابين <sup>(١)</sup> .

وذكر الشهرستاني أن من أهم عقائد البرهمنيين إنكار النبوة ، وأنهم يرون استحالتها في العقول ، فيقولون « إن الذي يأتي به الرسول لا يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون معقولا ؛ وإما ألا يكون معقولا . فإن كان معقولا فقد كفانا العقل التام إدراكه والوصول إليه . فأى حاجة إلى الرسول ؟! . وإن لم يكن معقولا ؛ فلا يكون مقبولا ؛ إذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حد الإنسانية ودخول في حريم البهيمية » <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

ويعتقد البرهمنيون في الجنة والنار ، ولكن في صورة تختلف اختلافاً كبيراً عن عقيدة المساميين . ويشرح البيروني عقيدة البرهمنيين في الجنة والنار فيقول :  
« الجمع يسمى « لوك » . والعالم ينقسم قسمة أولية إلى علو وسفل وواسطة : فيسمى العالم الأعلى « سفر لوك » وهو الجنة ؛ والعالم الأسفل « نا كلوك » أي مجمع الحيات وهو جهنم . ويسمى أيضاً « نزلوك » ، وربما سموه « باتال » أي

(١) انظر في ذلك البيروني ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ - ١١١ .

(٢) - الشهرستاني : الملل والنحل ، الجزء الثاني ، ص ٢٥١ ( الطبعة السابقة ) .

أسفل الأرضين ؛ وأما الأوسط الذي نحن فيه فيسمى « مادلوك » و « مانس لوك » أى مجمع الناس . والأوسط للاكتساب ، والأعلى للثواب ، والأسفل للعقاب . وفي هذين الأخيرين يستوفى جزاء العمل من استحقهما مدة مضروبة بحسب مدة العمل . والسكون فى كل واحدة منهما للروح مجردة عن البدن . وللقاصر عن السمو إلى الجنة أو الرسوب إلى جهنم « لوك » آخر ، يسمى « ترجكوك » وهو النبات والحيوان غير الناطق : يتردد الروح فى أشخاصها بالتناسخ إلى أن ينتقل إلى الإنسان على تدرىج من أدون المراتب النامية إلى عليا المراتب الحساسة . وكونها فيه على أحد وجهين : إما لقصور مقدار المكافأة عن محلى الثواب والعقاب ، وإما لرجوعها من جهنم . فعندهم أن العائد إلى الدنيا ( من الجنة ) متأس فى أول حالته . والعائد إليها من جهنم متردد فى النبات والحيوان إلى أن يبلغ مرتبة الإنسان<sup>(١)</sup> . أى أن أرواح الناس فى حياتهم الأولى تكون فى المنزلة الوسطى وهى منزلة العمل والكسب ، فإذا ماتوا انتقلت أرواح الخيرين منهم إلى الجنة ( المنزلة العليا ) تستوفى فيها جزاء العمل مدة مضروبة بحسب قدر العمل وكاله ، وانتقلت أرواح الخاطئين منهم إلى جهنم ( المنزلة السفلى ) تستوفى فيها جزاء عملها كذلك مدة مضروبة بحسب مبلغ جرمها . وبعد استيفاء جزاء عملها فى الجنة أو فى النار ، تنتقل الأرواح الخيرة من الجنة إلى آدميين آخرين فترجع إلى المنزلة الوسطى ، وأما الأرواح الخاطئة فتنتقل من النار إلى الحيوان والنبات . ومنزلة الحيوان والنبات منزلة رابعة غير المنازل الثلاث السابق ذكرها ، تستقر فيها فى بادىء الأمر الأرواح غير الأدعية لأنها قاصرة عن المنزلة الوسطى وعن السمو إلى الجنة وعن الرسوب إلى النار ، وتستقر فيها كذلك أرواح الآدميين العائدة من جهنم . وهاتان الطائفتان من الأرواح المستقرتان فى الحيوان والنبات تتجولان فى أشخاص الحيوان والنبات بالتناسخ إلى أن تنتقلا إلى الإنسان على تدرىج من أدنى المراتب النامية إلى عليا المراتب الحساسة ، فتصبحا فى المنزلة الوسطى ..

(٢) البيرونى : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

وهكذا دواليك . فالثواب والعقاب عندهم في الجنة والنار إنما يكونان للروح وحدها مجردة عن البدن ويكونان مؤقتين لأجل محدود لا دائمين .

ويذكر البيروني أنهم يكثرون من الجهنمات وصفاتها وأسمائها ، ويفردون لكل ذنب أو لكل مجموعة من الذنوب جهنم خاصة أو محلاً خاصاً في جهنم ، حتى إن عددها قد بلغ في بعض أسفارهم إلى ثمانية وثمانين ألفاً ، ذكر البيروني منها ثلاث عشرة جهنم : « منها ما يسمى « رور » وهي مخصصة للكاذب وشاهد الزور والمعاون لها وللمستهزئ بالناس ؛ ومنها ما يسمى « رودة » وهي مخصصة لسافك الدم بغير حق وغاصب حقوق الناس ، وللغير عليهم وقاتل البقر ؛ ومنها ما يسمى « كُنْب » وهي مخصصة لقاتل البرهمن (المنتمى إلى الطبقة العليا وهي طبقة رجال الدين) وسارق الذهب ومن يصحبهم والأمراء الذين لا يقومون بواجبهم نحو رعائهم ومن يزني بأهل أستاذه ومن يضاحج أم زوجته ؛ ومنها ما يسمى « مهاجال » وهي مخصصة لمن يفضي على فاحشة زوجته طمعاً في منفعة ومن يزني بابنته أو زوجة ابنه أو يبيع ولده أو يبخل على نفسه بما يملك ... »<sup>(١)</sup>

ويذكر البيروني مذاهب أخرى للبرهمنين في الجنة والنار ، منها ما يراه بعضهم من أن جهنم ليست شيئاً آخر غير الأخطاط عن البشرية وتردد روح الخاطيء في الحيوان والنبات<sup>(٢)</sup> .

(١) البيروني المرجع السابق ، ٥٩ — ٦١ : « وهم يكثرون من عدد الجهنمات وصفاتها وأسمائها . ويفردون لكل ذنب منها محلاً . وقيل في « بشن بران » إنها ثمانية وثمانون ألفاً .  
(٢) المرجع السابق ص ٦١ وتوابها .

### العبادات في أسفار الدين البرهمنى

تتجه العبادة في الدين البرهمنى إلى غاية واحدة وهى الفناء فى الله والاندماج فى الكائن الأسمى . ويساعد على الوصول إلى هذه الغاية الإنابة إلى الله والرجوع إليه والندم على ما فرط من المعاصى والآثام والورع والتعشف فى الحياة وإهمال مطالب الجسم لتصفو الروح التى هى قبس من الخالق . ومن ثم تحت البرهمنية — على عكس الديانة الزرادشتية — على الإكثار من الصوم لما يؤدى إليه من إهمال المطالب الحيوانية للجسم وإضعاف القوى الجسمية وإضعاف تحكمها فى العبد ، بل إنها لتفرضه فرضا على جميع الطبقات أو على بعضها فى مناسبات كثيرة .

فمن ذلك أنها تفرض الصوم على طبقة رجال الدين ، الذين يطلق عليهم اسم البرهمنيين كما سيأتى بيان ذلك ، فى أيام الاعتدالين والاقطابين ( أوائل فصول الخريف والربيع والشتاء والصيف ) وفى اليومين الأول والرابع عشر من كل شهر قمرى (مبدأ ظهور الهلال وحينا يصير بدرا) وروى فى أسفارهم المقدسة كذلك أنه فى أثناء كسوف الشمس يجب الكف عن الأكل والشرب والاتصال الجنسى وهذا فيما يتعلق بالطبقات الدنيا . وأما الطبقات العليا ( طبقة البرهمنيين رجال الدين وطبقة السكثريين رجال الحرب ) فلا يقتصر واجبهم على ما تقدم ، بل يحرم عليهم كذلك الانتفاع بشيء من الأطعمة التى تكون بمنازلهم وقت الكسوف ، ويجب عليهم التصديق بها على غير أفراد طبقتهم بعد تحطيم الآنية التى كانت بها . وتوجب قوانين مانو على طبقة السيناتانا Sinata ( وهم كبار رجال الدين من البرهمنيين ) أن يكفوا عن الأكل والشرب والنوم والسفر من

غروب الشمس إلى غروب الشفق الأحمر كل يوم (١).

وهذا فيما يختص بالصيام المفروض على بعض الطبقات والصيام الذي يؤدي بمناسبة كسوف الشمس. وأما الصيام العام فقد ذكر البيروني أنه عندهم « تطوع ونوافل ، وليس شيء منه مفروضاً » ، وذكر له أنواعا كثيرة ، منها أن يعين الشخص اليوم المصوم ، ويضم اسم من يتقرب إليه ويصوم لأجله ، من الله أو أحد للملائكة أو غيرهم ، ثم يتقدم هذا الفاعل ويجعل طعامه في اليوم الذي قبل يوم الصوم ، عند الظهيرة. وينظف الأسنان بالتخليل والسواك ، وينوى صوم الغد ، ويمتنع من وقتئذ عن الطعام . فإذا أصبح يوم الصوم استاك ثانية ، واغتسل وأقام فرائض يومه ، وأخذ بيده ماء وورمى به في جهاته ، وأظهر اسم من يصوم له بلسانه ، وبقي على حاله إلى غد يوم الصوم ، فإذا طلعت الشمس فهو بالخيار في الإفطار ، إن شاءه في ذلك الوقت ، وإن شاء أخره إلى الظهيرة ، فهذا النوع يسمى «أوب ياس» . . . ومنه نوع آخر يسمى « كرجر » وهو أن يطعم في وقت ما وقت الظهيرة ، وفي اليوم الثاني وقت العتمة ، ولا يأكل في اليوم الثالث إلا ما يدفع إليه غير مطلوب ، ثم يصوم اليوم الرابع . ومنه نوع يسمى « تراك » وهو أن يجعل طعامه وقت الظهيرة ثلاثة أيام متوالية ، ثم يحوله إلى وقت العتمة ثلاثة أيام متوالية ، ثم يصوم ثلاثة أيام متتالية لا يفطر فيها ألبته . . . ومنه نوع يسمى « جندراين » وهو أن يصوم يوم الاستقبال ، ويتناول في اليوم الذي يتلوه من الطعام قدر مضغة ملء الفم ، ويضعفها في اليوم الذي بعده ، ويجعلها في اليوم الثالث ثلاثة أضمافا ، إلى أن يبلغ يوم الاجتماع على هذا التزايد فيصومه ، ثم يتراجع من المقدار الذي بلغه طعامه بنقصان مضغة مضغة إلى أن يفنى عند استقبال بلوغ الاستقبال . ومنه نوع يسمى « ماسواس » وهو أن يصوم بالوصال أيام شهر

(١) Westermarck op. cit. T. II. p. 296 . وانظر كذلك كتابنا في « غرائب النظم والتقاليد والمادات » الجزء الأول ٦٧ ، وكتابنا في « الصوم والأضحية » ٢٠ ، ٢١ .



متوالية لا يفطر فيها بقية» (١). ثم ذكر الأيام التي يستحب فيها الصوم عندهم وهي كلها مرتبطة بمواقيت فلكية ، وخاصة بمنازل القمر . فمن ذلك « اليوم الثامن والحادي عشر من النصف الأبيض من كل شهر ويوم الاستقبال من شراين ( اسم شهر عندهم ) ٠٠٠ وفي « أشوجج » ( اسم شهر ) إذا كان القمر في السرطان والشمس في السنبله ٠٠٠ واليوم الثامن من هذا الشهر وفطره مع طلوع القمر ٠٠٠ واليوم الخامس من بها درو ( اسم شهر ) ويصام هذا اليوم باسم الشمس ؛ وفي السادس من « بوش » ( اسم شهر ) صوم للنساء دون الرجال ... يكون تمام يوم بليته ... (٢) . وأشار إلى بعض طقوس غريبة ترتبط عندهم ببعض أنواع الصيام ، فذكر أنه في بعض هذه الأنواع « يجتنب الصائم اللحم والسمك والحلوى واقترب النساء ويجعل أكله مرة كل يوم ويجعل الأرض وطاء من غير فرش ولا ارتفاع عنها بسرير ... » ، وفي بعض أنواع الصيام « يتلو الصائم بأخشاء البقر ويفطر بلبنها وبولها وأخنائها ٠٠٠ » (٣) .

ويشتمل الدين البرهي - بجانب الصوم - على عبادات أخرى تقسمها أسفارهم ثلاثة أقسام : منها ما يشبه الصوم في تعلقه بالجسم ؛ ومنها ما يتعلق بالصوت ؛ ومنها ما يتعلق بالقلب .

أما العبادات المتعلقة بالجسم فمن أهمها « الصلاة ، وخدمة الملائكة وعلماء البراهمة ، وتنظيف البدن ، واحترام الحياة الإنسانية ، واحترام الأعراض » .

وأما العبادات المتعلقة بالصوت فمن أهمها « قراءة الأوراد والدعوات الدينية

(١) البيروني ، المرجع السابق ١٣٠ - ١٣٢ . « ويوم الاجتماع » ، و« يوم الاستقبال »

للذان وردا في عباراته يراد بهما مواقيت فلكية .

(٢) البيروني : المرجع السابق ١٣٣ - ١٣٥ .

(٣) البيروني : المرجع السابق ١٣٤ ، ١٣٥ .

والتسبيح ، ولزوم الصدق ، وملاينة الناس في الحديث ، وإرشادهم ، وأمرهم بالمعروف .

وأما العبادات المتعلقة بالقلب فن أهمها « تقويم النية، وترك التعظم ، ولزوم التآني ، وجمع الحواس مع انشراح الصدر » (١) .

### الشرائع في أسفار الدين البرهمي

من أهم شرائع الدين البرهمي النظم المتعلقة بالفرقة العنصرية ، وتقسيم المجتمع إلى طبقات، ووظائف كل طبقة منها واختصاصاتها، وانتقال هذه الوظائف والاختصاصات بطريق الوراثة .

وذلك أن أسفار الفيدا وقوانين مانو لا تعترف بمبدأ المساواة بين الناس في القيمة الإنسانية المشتركة، بل تقرر التفاضل بينهم بحسب عناصرهم ونشأتهم الأولى . فتزعم أن الإلاه براهما قد خلق أربع طبقات من الناس ، وخلق كل طبقة من هذه الطبقات من طيبة خاصة ومن موضع خاص من جسمه . فخلق طبقة « البرهمنيين » Brahmins من فم ؛ وطبقة الكشتريين Kachtriyas من ذراع ؛ وطبقة « القيسائيين » Vaisyas من فخذ ؛ وطبقة « الشودرا » أو المنبوذين Sudras من قدمه . ولما كان أشرف الأعضاء وأطهرها هو ما علا السرة ، وأشرفها وأطهرها جميعاً هو الفم ، ويليه في ذلك الذراع ؛ ولما كان أخط الأعضاء هو ما كان أسفل السرة ، وأخطها جميعاً هو القدم ؛ لذلك كان أشرف الناس جميعاً وأطهرهم بحسب المنصر والنشأة الأولى هم الذين انحدروا من فم براهما وهم « البرهمنيون » ؛ ويليهم في الفضل الذين انحدروا من ذراعه وهم « الكشتريون » ؛

(١) البيروني ، المرجع السابق ٧٥ .

وكان أحط الطبقات الإنسانية الذين انحدروا من فخذه وقدمه وهم «القيسائيون»  
«والشودرا» أو «المنبوذون»؛ وأكثرهم رجسا ونجسا هم «الشودرا» المنحدرون  
من قدم براهما .

وتقسم هذه الأسفار الوظائف الاجتماعية بين هذه الطبقات بحسب منزلة كل طبقة  
منها وبحسب شرف الوظيفة نفسها وأهميتها. فلبرهمنيين أرقى الوظائف، وهى الوظائف  
الدينية. فهم وحدهم الذين يعلمون الناس أسفار «الفيدا» ، ويشرفون على المذابح  
والضحايا ، وهم وحدهم الذين لهم الحق فى «الإعطاء والمنع والقبول والرفض» .  
وللكشتريين الوظائف الحربية وحماية الشعب والذود عن حياض البلاد والعمل  
على استتباب الأمن . وللقيسائيين القيام على تربية الأنعام وفتح الأرض وشئون  
التجارة . وأما الشودرا أو المنبوذون فلم يعطهم السيد الأعلى إلا وظيفة واحدة ،  
وهى أن يكونوا خدما للطبقات السابق ذكرها . وهم فوق ذلك رجس ونجس ،  
فلا يصح لمسهم ولا مؤاكلتهم ولا مصاهرتهم ولا الارتباط بهم بأية رابطة غير  
رابطة السيد بالأسود (١) . وفى أحياء كثيرة من الهند يعتبر مجرد لمس المنبوذ دنسا  
ورجسا؛ وفى أحياء أخرى يلحق الدنس والرجس بالشخص إذا مرّ به المنبوذ على بعد  
بضعة أمتار . وديانة المنبوذين غير ديانة بقية الشعب . فهى تنحصر فى عبادة  
الأرواح . وأعظم الآلهة عندهم يظهر فى شكل كومة من الآجر أو فى هيئة  
أخرى ساذجة .

وهذه الطبقات وهذه الوظائف طبقات . ووظائف وراثية : فأولاد البرهمن  
يولدون برهمنيين ويزاولون وظائف أبيهم ، وأولاد الكشترى يولدون كشتريين

(١) قوانين مانو الكتاب الأول مادة ٣٦ وتوابها ومادة ٩٣ وتوابها والكتب  
السابع والثامن والتاسم والعاشر .

ويزاولون وظائف أيهم ... وهكذا بقية الطبقات. ولا يصح لفرد من طبقة ما أن ينتسب إلى غير طبقته ولا أن يزاول غير الوظائف المخصصة لها .

وقد اجتهد غاندى فى القضاء على هذه الفوارق ورد الاعتبار إلى المنبوذين . ولكن جهوده لم تسلك بالنجاح ؛ وبقى نظام الطبقات على ما كان عليه من قبل . وإلى هذا النظام يشير البيرونى إذ يقول : « وللهند فى أيامنا من ذلك ( أى تقسيم الناس إلى طبقات ) أوفر الحظوظ . حتى إن مخالفتنا لإياهم ، وتسويتنا بين السكافة إلا بالتقوى ، أعظم الحوائل بينهم وبينهم وبين الإسلام . ( أى إن سير المسلمين على مبدأ أن الناس سواسية لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى كان من أعظم الحوائل بين المهنود والدخول فى الإسلام لشدة تمسكهم بالتفرقة العنصرية ) ؛ وهم يسمون طبقاتهم « برن » أى الألوان ، ويسمونها من جهة النسب « جانك » أى المواليذ . - وهذه الطبقات فى أول الأمر أربع . عليها « البراهمة » قد ذكر فى كتبهم أن خلقهم من رأس برهم وأن هذا الإسم كناية عن القوة المسماة طبيعة ، والرأس علاوة الحيوان ، فالبراهمة نقاوة الجنس ، وبذلك صاروا عندهم خيرة الإنس ؛ والطبقة التى تتلوهم « كشتى » خلقوا بزعمهم من مناكب برهم وبديه ، ورتبتهم عن رتبة البراهمة غير متباعدة جداً . ودونهم « بيش » ( القديسائيون ) خلقوا من فخذ برهمو « شودرا » خلقوا من رجلى برهم . وهاتان المرتبتان الأخيرتان مقاربتان » (١) .

ويضيف البيرونى إلى ذلك أنه بجانب هذه الطبقات الأربع توجد طبقتان أخريان تشتمل كل طبقة منهما على عدة فروع : إحداهما طبقة الصناعات ؛ والأخرى طبقة المشتغلين برذالات الأعمال .

ويقول فى صدد الطبقة الأولى : « ثم ( أرباب ) المهن غير هؤلاء ( أى غير الطبقات الأربع السابق ذكرها ) . . . ويسمون « أنتر » وهم ثمانية أصناف

(١) البيرونى المرجع السابق ٩١ .

بالحرف . . . وهم القصار والإسكاف والاعاب ونساج الزناويل والأترسة ،  
والسفان، وصياد السمك ، وقصاص الوحوش والطيور ، والحائك . وهؤلاء  
لايساكنهم الطبقات الأربع في بلدة ، وإنما يأوون إلى مساكن تقربها وتكون  
خارجها». وذكر ما يفهم منه أنه يلحق بكل مهنة من هذه المهن ما يشبهها من  
المهن الأخرى التي لا تدخل تحت هذه المهن الثمان، ما عدا القصار والإسكاف  
والحائك فإنه لا ينحط إلى حرقهم ولا تلحق بها أية حرفة أخرى .

ويقول في صدد الطبقة الثانية : « وأما « هادى » و « دوم » و « جنرال »  
و « بدهتوا » فليسوا معدودين في شيء ، وإنما يشتغلون برذالات الأعمال ، من  
تنظيف القرى وخدمتها، وكلهم جنس واحد ، يميزون بالعمل .. وقد ذُكر أنهم  
يرجعون إلى أب (شودر) وأم (برهن) خرجوا منها بالسفاح فهم منفيون  
منحطون » (١) .

ومن أهم ما تعنى به شريعتهم كذلك النظم المتعلقة بالزواج وشئون الأسرة .  
وهي تعتبر الزواج واجباً على كل قادر عليه . ومن ثم ينظر البرهميون إلى الأعزب  
نظرتهم إلى عنصر فاسد ضار، أو إلى مخلوق عجيب ومسخ وغير طبيعي ، ويعتقدون  
أن من يموت بدون عقب تتخبط روحه كمن يتخبطه الشيطان من المس ، أو  
كمن وقع تحت عبء دين ثقيل لا يستطيع الوفاء به (٢) . ولكن نظم الزواج والأسرة  
في الشريعة البرهمية تختلف اختلافاً كبيراً في كثير من الوجوه عن نظائرها في  
اليهودية والنصرانية والإسلام .

فمن ذلك أنها تعتبر الاستيلاء على المرأة بالقوة وسيلة مشروعة لاتخاذها زوجة

(١) البيروني ، المرجع السابق ٩١ ، ٩٢ .

(٢) انظر كتابنا في « قصة الزواج والعزوبة في العالم ٩ ، ١٠ ، وكتاب وستمارك

Westermark, op. cit. II, 386.

تتفق طبقة الكشترين ألمحى رجال الحرب . فقد ورد في المادة الثالثة والثلاثين من الكتاب الثالث من قوانين مانو أنه « إذا استولى رجل على امرأة بالقوة وسبأها من منزل أهلها عهى تكيكى وتصرخ في طلب النجدة وانتصر على من حاولوا مقاومته فقتلهم أو جرحهم . . . فإن طريقته هذه تسمى طريقة الجبارة Mode de Géant . وتنص للمواد الثالثة والعشرون والخامسة والعشرون والسادسة والعشرون من هذه القوانين على أن « طريقة الجبارة » طريقة مشروعة الزواج في طبقة الكشترين ( رجال الحرب ) (١) .

ومن ذلك أنها تبيح أن يلحق نسب الولد بجده لأمه إذا اشترط ذلك في العقد . . . وإلى هذا النظام يشير البيروني إذ يقول : « وقد يكون النسب من صلب الخن في بطن الابنة المزفوفة إذا شورت على أن يكون الولد لأبيها . فيكون حينئذ ولد الابنة للجد المشارط دون الأب الزارع » (٢) . ( أى الذى وضع النطفة ) . ومن ذلك أنها تبيح للمرأة أن تتصل بزواج أختها إذا كان زوجها هى عقيماً لتأتى بأولاد يلحق نسبهم بزواجها من الناحية الشرعية (٣) . ومن ذلك أنها تبيح « نكاح الاستبضاع » وهو أن يتصل بالزوجة ، برضا زوجها ، رجل آخر تقوى نجيب لتأتى لزواجها بأولاد نجباء ، فيعتبر الزوج هو الأب من الناحية الشرعية ، ويعتبر الرجل الآخر مجرد أداة استخدمت لإنجاب الأولاد . وإلى هذا النظام يشير البيروني إذ يقول : « وقد يكون النسب من صلب الأجنبي في بطن الزوجة ، لأن الأرض للزوج ، فيكون أولاد المرأة لزواجها ، إذا كانت الزاوعة برضا منه » (٤) .

(١) انظر كتابنا في « الأسرة والمجتمع » الطبعة الخامسة ص ١٢٤ .

(٢) البيروني : الرجم السابق ص ٩٧ ، والخن بفتحين يطلق أحياناً على زوج الابنة .

وهو المراد هنا .

(٣) الأسرة والمجتمع ص ٧٦ .

(٤) البيروني : ٩٧ ، هذا ونكاح الاستبضاع كان جائزاً عند شعوب كثيرة منها

العرب في الجاهلية ، انظر كتابنا في « الأسرة والمجتمع » ص ٧٥ ، ٧٦ .

( م ١٢ - الاستفار المقدسة )

ويؤخذ من بعض أسفارهم وقصصهم أنه كآل يباح في شريعتهم أن يشترك في المرأة الواحدة عدة أزواج وخاصة إذا كانوا إخوة<sup>(١)</sup>. فقد جاء في «المهاباراتا» - Mahābhārata (وهي ملحمة شعرية شهيرة عند الهندوس تشبه الإلياذة والأوديسيا عند قدماء اليونان) أن أرجونا ثالث أبناء الملك ياندو الخمسة فاز بدوبادى، ابنة ملك بانشالا بأن أطلق خمسة أسهم داخل حلقة ضيقة ومعلقة في الهواء<sup>(٢)</sup>. ولكن أمه قالت له إن كل شيء يجب أن يكون مشاعاً، وهكذا اقترن الإخوة الخمسة بالفتاة وعاشوا جميعاً في قصر واحد<sup>(٣)</sup>. ويروي البيروني هذه القصة على وجه آخر يختلف قليلاً عن الوجه السابق إذ يقول: «وقد كان لأثولاد ياندو الأربعة زوجة مشتركة فيما بينهم تقيم عند كل واحد شهراً»<sup>(٤)</sup>. ولا يزال نظام تعدد الأزواج للزوجة الواحدة، وخاصة إذا كانوا إخوة، متبعاً إلى الوقت الحاضر في عدة مناطق من الهند، وبخاصة لدى القبائل الجبلية على حدود الهند الشمالية. ومن أشهر القبائل التي لا تزال تسير على هذا النظام في الوقت الحاضر قبائل «جوانسواريس»<sup>(٥)</sup>. ويذكر البيروني أن كثيراً من هذه الأنواع الغريبة من الفكاح قد ورد لديهم فيما بعد الأمر بتحريمها، وأن هذا دليل على أنهم يجيزون النسخ في الأحكام<sup>(٦)</sup>. - وأما تعدد الزوجات للزوج الواحد فقد أباحته جميع كتبهم المقدسة ولم يرد أى نص بتحريمه ولا بسخرائته.

وتضع كتبهم المقدسة قيوداً كثيرة فيما يتعلق بالطبقات التي يحل بينها

(١) انظر البيروني، المرجع السابق، ٩٨، وكتابتنا في «الأسرة والمجتمع» ص ٧١ - ٧٣.

(٢) يشبه هذا ما تنسبه الأوديسيا إلى أوليس، انظر كتابنا في الأدب اليوناني القديم، ص ٨٣.

(٣) الأسرة والمجتمع، ٧٢.

(٤) البيروني: المرجع السابق، ٩٨.

(٥) الأسرة والمجتمع، ٧١ - ٧٣.

(٦) البيروني: المرجع السابق، ٩٨.

التزواج والطبقات التي يحرم أو يسكره بينها التزواج ، فلا يجوز للرجل من طبقة  
ما أن يتزوج إلا من امرأة تنتمي إلى طبقة أو طبقات معينة ؛ وقد تختلف هذه  
القيود في الزواج الثاني وما يليه (أى حينما يريد الرجل مثلاً أن يجمع بين زوجتين  
فأكثر) عن قيود الزواج الأول . وفي الكتاب الثالث من « قوانين مانو »  
تفصيل كبير لهذه القيود .

وعلى الرغم مما كان للزواج في نفوس البرهمنين من منزلة كبيرة ، فإنهم كانوا  
يرون العزوبة واجبة على كل من يصل إلى منزلة القديسين من رجال الدين .  
وكان يجب لديهم كذلك على البراهما كارين Brahmacarine وهو التلميذ في أدوار  
دراسته الدينية قبل أن يصل إلى مرتبة القسيس ، أن يظل أعزب وألا يقرب  
النساء حتى يفرغ من دراسته .

ومن غريب ما تذهب إليه الشريعة البرهمنية في شؤون المسؤولية والجزاء أنها  
تأخذ بنظام المسؤولية الجماعية في بعض الجرائم وتجهز أن ينتقل الجرم وتبعته إلى  
غير مقترفه ، وقد نصت قوانين مانو على أمور كثيرة من هذا القبيل . فمن ذلك أنها  
تقرر أن نكاح السفاح أو الفكاح المحرم يقع إثمه على جميع الأولاد الذين يجيئون  
منه كما يقع على الزوجين نفسيهما ؛ وأنه إذا عقد شخص زواجا لا كفاءة فيه بين  
الزوجين ، أو أهمل رسماً من رسوم الدين ، أو لم يدرس أسفار « القيدا » ، أو أهان  
أحد أفراد البرهمنين (طبقة رجال الدين) ، فإن جرم هذه الأعمال يقع على المجرم  
وينتقل منه إلى جميع أفراد أسرته ؛ وأن شاهد الزور يعاقب بجرمه في جهنم خمسة  
أو عشرة أو مائة أو ألف من أقربائه تبعاً لخطورة شهادته ومبلغ ما يترتب عليها من  
الإضرار بالغير ؛ وأن الرجل الخليع *exclut de son caste* (وهو الذى تتبرأ منه  
طبقتة وتخلعه من ذمها لعل ارتكبه) إذا عاشره رجل آخر أو قدم ضحية عنه  
أو علمه أو صاهره أو شاركه في ركوب عريته أو في مقده أو في طعامه . . . فإن



هذا الرجل الآخر يصبح هو نفسه خلوفا ؛ وأن من يقتل برهنيا ( أحد رجال الدين ) ينتقل جرمه إلى من يؤاكله ؛ وأن المرأة التي تحون زوجها ينتقل جرمها إلى زوجها نفسه ؛ وأنه إذا قرب رجل من طبقة راقية امرأة من طبقة الشودرا (المنبوذين) ثم دعى إلى مأدبة انتقل إليه ما ارتكبه أصحاب هذه المأدبة من معاص وسينات ؛ وأن الحاكم إذا لم يعاقب سارقا معترفا بالسرقه ينتقل إليه جرمه كاملا ؛ وأن الملك الذي لا يحمي أفراد شعبه ينتقل إليه سدس خطاياهم جميعا ، والذي يحميه ينتقل إليه سدس حسناتهم جميعا<sup>(١)</sup> .

— ٦ —

### الأخلاق في أسفار الدين البرهمي

تدعو الديانة البرهمية إلى كثير من الفضائل التي يدعو إليها الإسلام ، وتنبه عن كثير مما ينهى عنه من مظاهر الرذائل والفحشاء والفساد والبغى . وتقوم أخلاقها الإيجابية على عشر دعائم أساسية هي الوصايا العشر للدين البرهمي ، وهي : مراعاة الكائن الإلهي ؛ ومقابلة الإساءة بالإحسان ؛ والقناعة ؛ والاستقامة ؛ والطهارة ؛ وكبح جماح الحواس ؛ ودراسة الفيدا ؛ والصبر ؛ والصدق ؛ واجتناب الغضب .

ويذكر البيروني في صدد هذه الدعائم رواية أخرى لا تختلف كثيرا عن هذه الرواية إذ يقول : « والسيرة الفاضلة وهي التي يفرضها الدين وأصوله ، بعد كثرة القروع عندهم ، راجعة إلى جوامع عدة هي : ألا يقتل ؛ ولا يكذب ؛ ولا يسرق ؛ ولا يزني ؛ ولا يدخر ؛ ثم يلزم القدس والطهارة ؛ ويديم الصوم والتعشف ؛ ويمتصم

(١) انظر كتابنا في المسؤولية والجزاء ، الطبعة الثالثة ، ١١٢ ، ١١٣ و

بعبادة الله تسبيحاً وتمجيداً؛ ويديم إخطار « أوم » ، التي هي كلمة التكوين والخلق ، على قلبه بدون التسكلم به (١) .

ومن أهم الرذائل التي تخصها أسفارهم بالذكر وتحدد مكان مرتكبيها في جهنم ، الكذب ، وشهادة الزور وسفك الدم بغير حق والاستهزاء بالناس وغصب حقوقهم والسرقة وخاصة سرقة الذهب وقتل البقر والزنا وخاصة الزنا بالابنة وزوجة الابن وأم الزوجة واتصال التلميذ بزوجة أستاذه وجماع المرأة في الأيام لمنظمة وإتيان البهائم والإغضاء على فاحشة الزوجة طمعاً في منفعة والاحتيال والغدر وعقوق الآباء والأجداد والشح والبخل على النفس وإخفاء المال طمعاً في صلوات الأمراء وإحراق بيوت الناس وقطع الأشجار وتقصير الأمراء في واجباتهم نحو رعائهم (٢) .

وقد عني بتوضيح نظامهم الخلقى والعمل على تهذيبهم وحضهم على التمسك بالفضائل والابتعاد عن الرذائل كثير من فلاسفتهم ، من أشهرهم « كرشفا » الذي ولد حوالي سنة ٤٨٠ قبل الميلاد . وقد أثرت عنه حكم ونصائح كثيرة : منها قوله : « إن الجسد الذي تهبط إليه النفس شيء زائل ، أما النفس التي لاتدركها العين فهي أبدية » ، وقوله « إذا انحل جسد الشخص بالموت . فإن كانت شهواته متقلبة عليه في حياته فإن روحه ترجع مرة ثانية إلى الأرض ولا يكون لها مكان في السماء ، وإن كانت الحكمة متقلبة عليه في حياته فإن روحه تطير إلى الطبقات العليا حيث ترى وجه الله وتدرك كماله » .

التمسك

(١) البيروني : المرجع السابق ٧١ .

(٢) انظر أواخر الفقرة الثالثة من هذا الفصل .

## استدراك وتصويب

- في السطر الثالث قبل الأخير من صفحة ١٢ اقرأ : فقد كان المصريون من عهد البطالسة...
- في السطر الخامس قبل الأخير من صفحة ٣٢ اقرأ : **Seconde loi**
- في السطر السابع قبل الأخير من صفحة ٥٠ اقرأ : وحقوقها وواجباتها
- في السطر الثاني من التطبيق الأول من صفحة ٦٥ اقرأ : يوحنا بن زبدي
- في السطر السابع من صفحة ٧٢ اقرأ : لم يكن واحد منهم مبرأ ...
- في السطر التاسع من صفحة ٧٦ اقرأ : ابن الله أن يكفر بدمه ...
- في السطر الثامن من صفحة ٨٢ اقرأ : لاختلافها اختلافاً جوهرياً
- في السطر الحادى عشر من صفحة ٩١ اقرأ : **Apocryphe**
- في السطر السابع قبل الأخير من صفحة ٩٤ اقرأ : وصحة نسبتها إلى أمحائها
- في السطر الثانى عشر من صفحة ٩٩ اقرأ : وتقرر أنه ابن الله وتصور حقيقته
- في السطر الحادى عشر من صفحة ١٠٢ اقرأ : **Concile de Nicée**
- في السطر الثانى عشر من صفحة ١٠٩ اقرأ : يعقوب البرادعى **Jacob Barados**
- في السطر الثالث عشر من صفحة ١١٠ اقرأ : **Nestorius**
- يضاف إلى السطر الأخير من التعليق بصفحة ١١٠ ما يلى : وانظر تمليقنا بصفحة ٧٥٢ في الجزء الثانى من مقدمة ابن خلدون طبعة لجنة البيان العربى
- في السطر الثانى عشر من صفحة ١١١ اقرأ : بحم القسطنطينية
- في السطرين ١٢ ، ١٣ من صفحة ١١٦ اقرأ : أصغر أجزاء ... وجميع أجزائه
- في السطر الأول من صفحة ١١٧ اقرأ : ٣ — ويحرم المذهب الكاثوليكي
- في السطر الثانى عشر من صفحة ١٤١ اقرأ : البازند **Pa-Zend**
- في السطر الثانى من صفحة ١٤٢ اقرأ : كليهما نزلا من السماء
- في السطرين ١١ ، ١٤ من صفحة ١٤٤ اقرأ : سينتامينو
- في السطر السابع قبل الأخير من صفحة ١٤٧ اقرأ : فيخطبه قائلا
- في السطر الرابع قبل الأخير من صفحة ١٤٧ اقرأ : ولأما ينتقل
- في السطر الثالث قبل الأخير من صفحة ١٤٩ اقرأ : وتلتقى روح الميت
- في السطر الخامس قبل الأخير من صفحة ١٥٩ اقرأ : **Pourana**

# الفهرس

صفحة	الموضوع
١٠	مقدمة
٥	الفصل الأول: أسفار الديانة اليهودية
٦	١ - نظرة مجملة في تاريخ بني إسرائيل
١٠	٢ - نظرة مجملة في اللغات العبرية والآرامية واليونانية
١٣	٣ - العهد القديم
١٦	٤ - التوراة أو أسفار موسى أو الأسفار الخمسة وتاريخ كل سفر منها
١٨	٥ - بقية أسفار العهد القديم وتاريخ كل سفر منها
١٩	٦ - اللغات التي ألفت بها أسفار العهد القديم والتي ترجمت إليها
٢١	٧ - الأسفار الخفية عند اليهود
٢٢	٨ - أسفار التلمود وتاريخ تأليفها
٢٣	٩ - اللغات التي ألفت بها أسفار التلمود والتي ترجمت إليها
٢٤	١٠ - العقيدة في أسفار اليهود وتطورها
	١١ - الشريعة في أسفار اليهود وقيامها على التفرقة العنصرية وعدم وحدتها واضطرابها
٣١	
٣٨	١٢ - القصص في أسفار اليهود والفرق بينه وبين قصص القرآن الكريم
٤٨	١٣ - فرق اليهود

صفحة	الموضوع
٥٣	الفصل الثاني : أسفار الديانة المسيحية
٥٣	١ - الحواريون أو الرسل
٦٠	٢ - التلاميذ والتابعون
٦٣	٣ - العهد الجديد
٦٤	٤ - الأناجيل الأربعة
٦٨	٥ - نظرة في محتويات الأناجيل
٧٤	٦ - نظرة في موقف الإسلام من هذه الأناجيل
٨٠	٧ - الأناجيل غير المعتمدة عند المسيحيين
٨٩	٨ - بقية أسفار العهد الجديد
٩٦	٩ - تطور العقيدة المسيحية واستقرارها أخيرا على التثليث
١٠٦	١٠ - المصادر الأولى لعقيدة التثليث
١٠٧	١١ - نشأة اختلافات فرعية بين طوائف المسيحيين في مسائل العقيدة
١١٥	١٢ - اختلاف فرق المسيحيين في مسائل الشرائع والعبادات
١١٧	١٣ - المذهب البروتستانتي
١٢٥	الفصل الثالث : أسفار الديانة الزرادشتية
١٢٥	١ - شخصية زرادشت
١٢٩	٢ - حياته ورسالة وانتشار دينه
١٣٥	٣ - الأسفار المقدسة في الديانة الزرادشتية : الأستاق

الوضع	صفحة
٤ — شروح الأستقاق	١٤١
٥ — العقيدة في أسفار الدين الزردشتي وتطورها	١٤٣
٦ — العبادات والشرائع والأخلاق في أسفار الدين الزرادشتي	١٥١
<b>الفصل الرابع: أسفار الديانة البرهمية</b>	
١ — أسفار القيديا	١٥٧
٢ — قوانين مانو	١٦١
٣ — العقيدة في أسفار الدين البرهمي وتطورها	١٦٣
٤ — العبادات في أسفار الدين البرهمي	١٧٠
٥ — الشرائع في أسفار الدين البرهمي	١٧٣
٦ — الأخلاق في أسفار الدين البرهمي	١٨٠
استدراك وتصويب	١٨٢

## ( من مؤلفات الدكتور على عبد الواحد وافي )

### باللغة الفرنسية :

- ١ — نظرية اجتماعية في الرق .
- ٢ — الفرق بين الرجل ورق المرأة ( طبعاً باللغة الفرنسية وحصل بها المؤلف على شهادة الدكتوراه بدرجة الشرف الأولى من جامعة باريس ) .
- ٣ — نظرية جديدة في وأد البنات عند العرب في الجاهلية ( نشر باللغة الفرنسية في مطبوعات « المحجم الدولي لعلم الاجتماع » ) .

### مؤلفات باللغة العربية :

- ٤ — عام اللغة ( الطبعة الخامسة ، مزيدة ومنقحة )
- ٥ — فقه اللغة ( الطبعة الخامسة ، مزيدة ومنقحة )
- ٦ — نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ( الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة )
- ٧ — اللغة والمجتمع ( الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة ) .
- ٨ — الأسرة والمجتمع ( الطبعة الخامسة ، مزيدة ومنقحة )
- ٩ — المشولية والجزء ( الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة ) .
- ١٠ — قصة الملكية في العالم ( الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة )
- ١١ — قصة الزواج والعزوبة في العالم
- ١٢ — ابن خلدون ، مذهب علم الاجتماع
- ١٣ — عبد الرحمن بن خلدون : حياته وآثاره ومظاهر عبقريته ( العدد الرابع من السلسلة التي تصدرها وزارة الثقافة تحت عنوان « أعلام العرب » ) .
- ١٤ — مشكلات المجتمع المصري والعالم العربي وعلاجها في ضوء العلم والدين
- ١٥ ، ١٦ — غرائب النظم والتقاليد والعادات ( جزآن )
- ١٧ — المنود الجمر
- ١٨ — الطوطمية
- ١٩ — الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي ( الكتاب السادس عشر من السلسلة التي تصدرها « دار المعارف » بعنوان « مكتبة الدراسات الأدبية » )
- ٢٠ — الاقتصاد السياسي ( الطبعة الخامسة ، مزيدة ومنقحة )
- ٢١ — البطالة وسائل علاجها والتعليم الإقليمي وأثره في علاج البطالة ( نال جائزة المبارات الأدبية سنة ١٩٢٥ ) .
- ٢٢ — في التربية ( الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة )
- ٢٣ — عوامل التربية
- ٢٤ — أصول التربية ونظام التعليم ( مع آخرين )

- ٢٥ — الوراثة والبيئة  
٢٦ — اللب والعمل  
٢٧ — مواد الدراسة  
٢٨ — حقوق الإنسان في الإسلام ( الطبعة الثالثة )  
٢٩ — بيت الطاعة والطلاق وتعدد الزوجات في الإسلام ( الكتاب السابع من سلسلة « ممر الإسلام » ) تصدرها مؤسسة المطبوعات الحديثة  
٣٠ — المساواة في الإسلام  
٣١ — الصيام والأضحية ، بين الإسلام والأديان السابقة ( الكتاب السادس والعشرون من السلسلة التي يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحت عنوان « دراسات في الإسلام » )  
٣٢ — الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام  
٣٣ — ٣٦ « مقدمة ابن خلدون » مع تمهيد وتكملة وتصحيح وتحقيق وشرح وتعليق وفهارس ( أربعة أجزاء ، ١٣٧٢ صفحة ، بها نحو ثلاثة آلاف تعليق ، طبعة لجنة البيان العربي )  
٣٧ — فصول من « آراء أهل المدينة الفاضلة » للفارابي ، مع مقدمة وتصحيح وشرح وتعليق

### بحوث باللغة العربية طبعت على حدة وفصول من كتب :

- ٣٨ — النظم الدينية عند قدماء اليونان  
٣٩ — أقدم البحوث الاجتماعية عند قدماء اليونان  
٤٠ — الشعر الحماسي عند قدماء اليونان  
٤١ — النزعات الاجتماعية الفطرية عند الحيوان  
٥٢ — الفلاسفة الاجتماعية لابن خلدون وأوجيست كونت  
ظهرت هذه البحوث الخمسة في مؤلفات « الجمعية المصرية لعلم الاجتماع »  
٤٣ — الحرية والإخاء والمساواة في الإسلام ( التقرير في مؤتمر « الإسلام والاصلاح الاجتماعي » سنة ١٩٤١ ، وقامت بطبعه ونشره « جماعة التعريف الدولي بالإسلام » )  
٤٤ — الصوم ( فصلة من مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة عدد مايو ١٩٥٠ )  
٤٥ — الرد على الشيوعيين المراقبين ( الكتاب رقم ٣٠٢ من « كتب قومية » )  
٤٦ — الإسلام في المجتمع العربي ( من مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر )  
٤٧ — نظام الأسرة في الإسلام ( فصل من كتاب « الإسلام اليوم وغداً » )  
٤٨ — مقدمة ابن خلدون ( فصل من العدد الرابع من المجلد الأول من السلسلة التي تصدرها وزارة الثقافة تحت عنوان « تراث الإنسانية » )  
٤٩ — ابن خلدون أول مؤسس لعلم الاجتماع ( فصل من أعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة من ٢ إلى ٦ يناير سنة ١٩٦٢ — وقد نشر هذه البحوث « المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنتائية » )  
٥٠ — رغبات المؤتمر الدولي الخامس للتربية الأسرية ( ترجمة عن الفرنسية وتعليقات )